* * *

وقال فى اللوح

ما مُكرَمٌ هيّنٌ الآباء يكرهه ... أبناءُ قومٍ ويَرضَى عنـــه آباءُ
صِينَ لدى الله باسمٍ واحدٍ وغدَا ... مُشهَّرًا فيه بين الناس أسماءُ
تَلقَى به شِقَّةَ عيناك، وهو غدًا ... فيـه شـفاءٌ لأقوامٍ وَنُعـماءُ
اذا وسمتَ علاماتٍ به فبدت ... تلوح، فهى له سِـتْرٌ وإخفاءُ
فإن كسته ثيـابَ العزّ ناسجةٌ ... يدٌ صناعٌ، نَفَتْهـا عنـه خرقاءُ

* * *

وقال فى النيلوفر

ساهرةُ الليلِ نؤومُ الضُّحَى ... ريَّانةٌ، والأرضُ تشكو الظَّمَا
رائحةٌ فى السِّربِ لم تُقتَنَصْ ... ظبـاؤه إلا بأمر الدُّجَى
مُلتثمٌ فوهاه، وإن لم يكن ... فى شفتيهـا ما لهـا من لَمَى
حَيَّـةُ ماءٍ، ناقـعٌ سُمُّهـا ... وناقـعٌ سُمُّ أفاعى الصَّـفا
تعطيـك منهـا أَلْسُـنًا عِدَّةً ... مجتمعاتٍ كلُّهـا فى لَهَـا

* * *

قافيـــة البـــاء

وقال وهى من أول قوله فى غرض له

أيهـا العـاتبُ ما ذا ... ك وما أعرِفُ ذنبى؟
أتظُنُّ الدمعَ دَيْنًـا ... تتقـاضـاه بعَتْـبِ؟

---

(١) صاع : حاذقة .

إن تكن أنكرتَ حِفظى لك وارتبتَ بحُسبى
فبعين الله، يا ظـ ـبى، عيناى وقلبى

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين هلال(١) بن المحسّن بن إبراهيم الصابئ الكاتب، وقد عتب عليه فى مودة بينهما عتابا فى غير مكانه، ونسبه الى هجر كان أبو الحسين جانيه، وذلك فى ذى القعدة من هذه السنة

عَذيرِىَ مِنْ باغٍ علىّ أُحبُّهُ ولم أرَ بغيًا قبلَه جرّه الحبُّ
يعاتبنى فى الهجر، والهجرُ دينُه وقد كان حُلوًا لو حلا ودُّه العَتْبُ
وأسلك طُرْقَ الوصلِ وهو محبَّبٌ فإن ضلَّ حقٌّ بيننا فله الذنبُ
بعثتَ نُدوبًا(٢) من تجنّيك يا "أبا الـ ـحسين" سهامًا لا يقومُها قلبُ
أذكّرًا بما سرّ الوشاةَ، وتُهمةً لعهدى، وقولًا فىَّ أسهلُهُ صعبُ
وذَمًّا، ولو ما جاء غيرُك خاطبًا جزاءً به منى، لقد سَهُلَ الخطبُ
وكم جُرّعتْ منى رجالٌ، بحورُها كنفوسُ آنتقامٍ، مُرّها فى فمى عَذْبُ
بأىّ وفاءٍ خلتنى حُلتُ عن هوًى ومثلى لا يسلو، وفى الأرض مَن يصبو
تصفّحْ صحابَ الخير والشرّ وآنتقد بقلبك، تحرُزنى اذا نُبِذَ الصَّحْبُ
ولا تتمكّنْ من يقينك رِيبةٌ فتنبو، فإنّ الصارمَ العضبَ(٣) لا ينبو
سلمتُ من الحسّادِ فيك فإنهم اذا مُكّنوا من نارِ فتنتهم شَبُّوا
ولا أطفأتْ منك الليالى بجَوْرها على العبد، رأيًا كان يقدحُهُ القلبُ

(١) كذا بالأصل وفى آبن خلكان وشذرات الذهب "هلال".
(٢) ندوب جمع نَدبة وهى أثر الجرح.
(٣) العضب: القاطع.

* * *

وقال وكتب بها الى أبي القاسم سعد بن أحمد بن الوزير الكافى مع قصيدة أنفذها الى أبيه الوزير الكافى أبي العباس الضبّيّ وأنفذهما معًا فى هذا التاريخ

حَمامَ اللِّوَى رفقًا به، فهو لُبُّهُ ... جوادًا رِهانٍ نوحُكنّ ونَحْبُهُ

قَراكُنّ (١) من لا يَقَعُ الطيرَ ماؤه ... ولا يُشبعُ النُّوقَ السواغبَ (٢) عُشْبُهُ

وطِرتنّ حيث القانصُ آمتدّ حَبلُهُ ... وطالت، فلم تعدُ القوادمَ (٣)، قَضْبُهُ (٤)

أعمدًا تُهيِّجْن آمرأً بانَ (٥) أنسُه ... وأسلَمَهُ حتى أخوه وصَحْبُهُ؟

أمرّ ومُهرى مُغرَمَيْنِ على اللِّوى ... فأسأله أو (٦) كاد يَنطق تُربُهُ

من الحيّ تَستَقُّ العِرَضْنَةَ (٧) عِيسُهُ (٨) ... إزاءك، حتى آمتدّ كالسطر رَكبُهُ

وفى الظُّعْنِ (٩) محسودُ الحواضر مُترَفٌ ... تُلاث (١٠) على خدّ الغزالة نُقبُهُ (١١)

تطولُ على الصَّوّاغ حين يمدّها ... خَلاخيلُهُ المَلْأَى، وتقصُرُ حُقْبُهُ (١٢)

جَهِدنا، فلم نُدرِك، على أنّ خيلَنا ... سواءٌ عليها سهلُ سيرٍ وصَعْبُهُ

وقد فَطِنتْ للشوق، فهى تسرّعا ... تكاد تعدّ السير يومَ تَغِبُّهُ

أكلَّ ظَمائى، غائضَ ما يَبُلُّه؟ ... وكلّ سَقامى، مُعوِزَ مَنْ يَطُبُّهُ؟

تلاعبتَ بى يادهرُ حتى تركتنى ... وسيّانِ عندى جِدّ خطبٍ ولَعْبُهُ

وأبعدتَ مَنْ أهوَى فإن كنتَ مزمعا ... لتسلبنى عنهم "فسعدٌ" وقربُهُ

---

(١) قراكنّ : ضافكنّ . (٢) السواغب : الجياع . (٣) القوادم : ريشات فى مقدّم الجناح، الواحدة قادمة . (٤) القضب : جمع قضيب وهو الدقيق من السهام . (٥) بان : غاب . (٦) أو : بمعنى حتى . (٧) العرضنة : الاعتراض فى السير من النشاط ، أو العدو فى استفاق . (٨) العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . (٩) الظعن جمع ظعينة وهى الهودج . (١٠) تلاث : تلفّ . (١١) نقب جمع نِقاب وهو معلوم . (١٢) حقب جمع حِقاب وهو شئ تعلّق به المرأة الحلىَ وتشدّه فى وسطها .

بودّى، وهل يغنى عن المرء ودّه ... وأتساعُهُ فيما يحاول حزبُهُ؟
سلكتُ مجازَ العزّ بينى وبينه ... تُحَطُّ ركابيه وتُهتَكُ حُجبُهُ
ولو أنّ أرضا مَهلكا، هان قطعُها ... ولو أنّ ماءً من دمٍ، ساغ شربُهُ
الى غيرٍ، طرفى تعلّل دونه ... وكم قمرٍ غطّته دونى سُحبُهُ
"أبا القاسم": المَرْعَى مَريرٌ نباتُه ... يَبِيسٌ، وحلوُ العيش عندك رَطْبُهُ
أقول، وما داجتك زُورًا محبّتى ... وقد يُفرط الإنسانُ فيمن يُحبّه:
زكا غُصنٌ من "آل ضبّة" أصلُهُ ... أبوك له فرعٌ، وإنك عَقْبُهُ
علاءٌ، تملّتْ منه بالودّ عُجْمُهُ ... لصحبتها، واستبقتِ العزّ عُربُهُ
رأى بك ما أنسى ابنَ غيلٍ شُبولَهُ ... فخيرا بخيرٍ أو فشرّا يذبُّهُ
قليلا، على حكم النجابة، شِبْهُهُ ... كثيرا، على ما توجب السنُّ، تِرْبُهُ (١)
لئن أخّرتْنى عن فِنائكما التى ... عتبتُ لها دهرى، فلم يُجْدِ عَتْبُهُ
وسوّفنى رؤياكما فألطُّ بى (٢) ... فعادتُهُ فى أخذ حقّى غصبُهُ
فياليتنى أدنى مَزارِىَ منكما ... وأهلى مَرعاه ودارى نَهبُهُ
وما أنا من تُصبيه أوطانُ بيته ... لعاجلِ أمرٍ سَرّه، والعارُ غِبُّهُ
اذا أنا أبغضتُ الهوانَ ودارَه ... فأهونُ ما فارقتُه مَن أُحبّهُ
صِلونا، فإنا مُجدِبون بمنزلٍ ... يضيق على الايام بالحُرّ رَحبُهُ
سواءٌ به يا "آل ضبّة" ليثُهُ ... اذا سار يبغى الرزق فيه، وضَبُّهُ
وكانوا عِيارًا (٣)، ربما جاد بعضهم ... فأعدَى صحاحَ السَّرْحِ يا "سعدُ" جَربُهُ

(١) الترب: من ولد معك وأكثر ما يستعمل فى المؤنث، يقال: هذه ترب فلانة. (٢) ألطّ بى أي منعنى حقى. (٣) عيار جمع عَير وهو الحمار أيّا كان أهليّا أو وحشيّا وغلب على الوحشىّ.

يعـزّ عليكم: كيف يَرجِعُ مُرْبِلا (١) غلامٌ من الآداب والمجد كاسيهْ
تقـدّمني قـومٌ، وما ذاك ضائري لديكم، إذا ما أخلص الزُّبد وَطْبُهْ (٢)
أبَثُّـهُـمُ تلفيقَ جهـلي بربّهم وأحملني تحقيـقُ فضـلي أريبُهْ
تحلّ بهـا يا "سعدُ" فهي قلادةٌ يُزيّنُ فيهـا فاخرَ الدرّ ثقبُـهْ
هـديّةُ خِلٍّ، إن جعلتَ ودادَك الـ ـصَّداقَ طـامعٍ فقرُه، فهو حسبُهْ
يرفّعُـهُ عن بذلة البعـد عتبُـهُ وهمّتـه العليـا الى النـاس نسبُـهْ
ولي أختُهـا عنـد الوزير تلوح في دجى الليل، أو تبدو فتخجلُ شهبُهْ
بأنّ لهـا مَـدَّ النشـيد ولينُـه ويُزهى بهـا رفعُ الكلام ونصبُهْ
لهـا حُسْنُهـا، لكن أريدك شافعًا وخيرُ شفيعٍ لي الى الجسم قلبُـهْ

* * *

وقال وقد أنعم الله تعالى عليه بالإسلام، ووفقه لما كان يتردد في نفسه من الاستبصار بلطفه وفضله، وذلك في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، يذكر ذلك ويُهجّن قومه بسفيه مذاهبهم عليه ومعايبه، وكتب بها الى الكافي لأوحد يشيد ويمدحه

دواعي الهوى لك أن لا تجيبا هَجَرْنا تُقًى ما وَصَلْنا ذُنوبا
قَفَوْنا (٣) غرورَك حتى انجلتْ أمورٌ أرَيْنَ العيونَ الغيوبا
نَصَبْنا لها أو بلَغنا بها نُهًى لم تدعْ لك فينا نصيبا
وهبنا الزمانَ لها مقبلا وغضّ الشبيبة غضًّا قشيبا
فقل لمخوفنا أن يحول صِبًا هَرِمًا وشبيبٌ مَشيبا

---

(١) المربل: الذي لقد زاده. (٢) الوطب: سقاء اللبن. (٣) قفونا: تبعنا.

وددْنا لعقبنا أننا ... ولدنا اذا كُرِهَ الشَّيْبُ شِيبا
وبلِّغ أخا صحبتي عن أخيك ... عشيرته نائيا أو قريبا
تبدلتُ من ناركم ربَّها ... وخُبثِ مواقدها الخُلدَ طِيبا
حبستُ عنانيَ مستبصرا ... بأيةِ يستبقون الذُّنوبا
نصحتكمُ لو وجدتُ المُصيخ(١) ... وناديتكم لو دعوتُ المجيبا
أفيئوا فقد وعد الله في ... ضلالةِ مثلكمُ أن يتوبا
وإلا هلمّوا أباهيكمُ ... فمن قامَ والفخرَ، قام المصيبا
أمثل محمدٍ المصطفى ... اذا الحكم وُلِّيتموه لبيبا
بعدلٍ مكانَ يكون القسيمَ ... وفضلٍ مكانَ يكون الخطيبا
وثَبْتٍ(٢) اذا الأصلُ خان الفروعَ ... وفضلٍ اذا النقصُ عاب الحسيبا
وصِدْقٍ بإقرار أعدائه ... اذا نافق الأولياءُ الكذوبا
أبان لنا اللهُ نَهْجَ السبيلِ ... ببعثته وأرانا الغيوبا
لئن كنتُ منكم فإنّ الهجيـ ... ـن يُخرِجُ(٣) في الفُلكاتِ النجيبا
أَلِكْنِي(٤) الى مَلِكٍ بالجبا ... ل يدفعُ دفعَ الجبالِ الخطوبا
فتًى يطرُقُ المدحُ من بابه ... قِرًى كافيا وجناباً رحيبا
قوافيَّ تلك وَرَدْنَ النمي ... رَ من جوده ورَعَيْنَ الخصيبا
عواريَ تُكسَى ابتساماته ... وفي القول ما يستحقُّ القُطوبا
ومن "آل ضبّةَ" غصنٌ يهـ ... ـزُّ جَنِيًّا، ويُغمَزُ عُودًا صَليبا(٥)
وكانوا اذا فتنةٌ أظلمتْ ... وأعوزهم مَنْ يُجلّي الكروبا

(١) المصيخ : المصغي . (٢) الثبت : الثابت . (٣) الهجين : الذي ولد من أمة وأبوه عربي أو من أبوه خير من أمه . (٤) ألكني : أرسلني . (٥) صليبا : شديدا .

تداعوه : يا أوحـدًا كافيًـا ... لنـا مستحقًّا الينـا حبيبا
فكان لنـا قمرا ما دجتْ ... وماءً اذا هى شُبَّتْ لهيبـا
أرى مُلْكَ "آلِ بُوَيْه" ارتدَى ... عَواراً بأن راح منـه سليبـا
فإن يُمسِ موضعُه خاليـا ... فما تعرف الشمس حتى تغيبا
لك الخير مَوْلَى، رَمَيتُ المنى ... رِشاءً اليـه، فروّى قليبـا (١)
لحظّى فى حبس سَـيْرِى اليـ ... ـك رأْيٌ سأنظره أن يؤوبا
اذا قلت : ذا العامُ شافٍ بدت ... قوارفُ منعٍ تُجِـدُّ النـدوبا (٢)
ولى عزمةٌ فى ضمانِ القبولِ ... ستُدْرِكُ، إن ساعدتنى هُبوبا
وإلا فتحمِلُ شكرا اليـك ... يُشوِّقُ الخلىَّ ويُغرِى الطروبا
وعذراءَ تُذْكِر نُعمـاك بى ... وإن كنتُ لستُ بها مستريبا
ستُنكِرُ فجأةَ عُنوانهـا ... اذا هو أعطاك وَسْمًـا غريبا
فوفِّ، فقـد جَعَلَ الدَّينُ ما ... تنفَّلتَ فى الجودِ فرضا وُجوبا
وقد كنتُ عبدا فصيّا وجُدتَ ... فكيف وقد صرتُ خِلًّا نسيبا!

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحسين علىّ بن محمد البُندارىّ الكاتب خليفة الكافى الأوحد، يشكره على كثرة وصفه إيّاه وإطرائه له ؛ وبلغه ذلك عنه بلاغة يُرغَبُ مع مثلها فى المودّة

أخى فى الودّ فوق أخى النسيبِ ... وخِلّى دون كلِّ هـوًى حبيبِ
ومـولاى البعيـدُ يقـول خيرا ... قريبٌ قبـل مولاى القـريبِ

(١) القليب : البئر. (٢) قوارف : قواشر، من قولهم : قرف القرحة أى قشرها بعد يبسها.

ومادحى المصرّح شاهداً لى ... فداءٌ للمعرّض فى مغيبى
فلا تتطلّبى غلطاتِ شوقى ... فما إن زلتُ ذا شوقٍ مصيبِ
أردّيني ليملكنى نفاقا ... سليمُ الوجه ذو ظهرٍ مريبِ
وألسنةٌ تظاهرنى صحاحًا ... وأعلمها بطائنَ للعيوب
قد اعتذر الزمانُ بودّ خلٍّ ... محا ما كان أسلفَ من ذنوبِ
أأنّى — طاب ما أنتِ ابتداءً ... بلا حقٍّ عليه ولا وجوبِ —
يدٌ منه وقفتْ بيد العمام ا ... مصيبٍ، همتْ على العام الجديبِ
فمثّله التصوّرُ لى بقلبٍ ... يَرى بالظنّ من خَلَلِ الغيوبِ
"أبا حسنٍ" بدأتَ بها فتمّم ... وإن لم تعطنى إلا نصيبى
صفاتُك وهى تكشف عن قريضى ... يمينُ القَين يشحذ عن قضيبِ
بنا ظمأٌ وعندكمُ قَليبٌ ... وأنت ترشأُ هاذاك القليبِ
"أبو العباس" موئلنا و"سعدٌ" ... فقل فى الطود، أو قل فى الكثيبِ
رضيتك ثمّ لى ذخرا لنشر ا ... سليم الطىّ أو نشر المَعيبِ
وغيرك مَنْ سكنتُ اليه كُرهًا ... كما سكن العِذارُ الى المشيبِ
متى سالمتنى سلمتْ صفاتى ... على ما دسّ قومٌ من ذنوبى
اذا نظر الحبيبُ بعينِ عطفٍ ... فأهونُ ناظرٍ عينُ الرقيبِ

* * *

وقال بعد عوده من حضرة الكافى الأوحد، وقد تأخّر كتابه ورسومٌ له، لغلبة الأشغال عليه، وكتب اليه يعاتبه بهذه القصيدة وأنفذها اليه

شفى الله نفسا لا تَذِلُّ لمَطْلَبٍ ... وصبرا متى يسمعْ به الدهرُ يَعجبِ
وصدرًا، اذا ضاقت صدورٌ رحيبةٌ ... لخطبٍ، تلقّاه بأهلٍ ومَرحبِ

بعيـدا من الأفكار ما كُنَّ حطَّةً ... فإن تك فى كسب المكارم تغـرب

تمرَّنْ بأخلاقى، فتى الحىّ، إن تكن ... رفيقـا، فإنا عاذرى أو مؤنبى

تبغَّضْ اذا كنتَ الفقيرَ وإن تكن ... غنيًّـا فطاوِعْ للغنى وتحبَّب (١)

اذا لم تَجِدْ ما يُعظموك رغبـةً ... وأردت التَّصْف منهـم فأرهب

فإنك ما لم تُرْجَ أو تُخْشَ فيهـمْ ... وتفعلْ مع الوُسطى تُذَمْ فتُعتب

أفق يا زمانى، ربمـا أنا صـائر ... الى سهلٍ ما أرجو بغـرط تصعُّبى

أعرِّك فى ثوب العفافِ تَوَمُّـلى ... وأخـذى مكانَ الآمل المترقِّب؟

اذا أنا طـالت وقفـتى فتـوقَّنى ... فإن لهـا لا بد وثبـةً مُنجِب

ويا صاحبى، والدلّ للرزق مورِدٌ ... أضَنُّ بنفسى عنـه وهى تجودُ بى

خذ النفسَ عنى والمطامعَ إنهـا ... قد استوطأتْ من ظهرها غيرَ مركبى

حرامٌ وإن أمحضتَ مطـعم (٢) ... علىّ، اذا أدّاه أخبثُ مكسبِ

أأنت على هجـر اللئـام معنَّفى؟ ... نعم أنا ثَمَّ، فارض عنّى أو اغضبِ

أألقَى البخيـلَ أجتـديه بمدحةٍ ... خصيمان فيهـا شاهـدى ومغيَّبى

وأكذِبُ عنـه فى عبـارةِ صادقٍ ... كثيرٌ إذًا، فى حيث أصدقُ، مُكذِبى

تعـوّدته خُلْقًـا، شـائى لمحسنٍ ... أقول بمـا فيـه، وذمّى لمذنبِ

---

(١) هكذا بالأصل وهو مختل الوزن وقد ورد فى بعض النسخ المطبوعة هكذا :

إذا لم تجد ما يعظموك رغبة * ورمتَهُمُ أن ينصتوك فرهِّب

وهو مخالف عن الأصل فى لفظه، ومع المحافظة على ألفاظ الأصل لعله يكون هكذا :

اذا لم تجد ما يُعظموك رغبـةً * به وأردت النَّصْف منهم فأرهِب

بزيادة "به" فى أول الشطر الثانى .

(٢) كذا بالأصل ولعله * حرامٌ — وإن أمحضتَ — أطيبُ مطعمِ *

فما سرّنى فى الحقّ أنّى مع العدا ... ولا عابَ أنّى فى المحال على أبى

وحاجةِ نفسٍ دبّر الحزمُ صدرَها ... فأُبتُ بها محمودةً فى المُعقَّب

أريدُ بها "الكافى" بقلبٍ معذَّبٍ ... مُرادَ "ابن حُجْرٍ" قبلها "أمَّ جُنْدَبِ" (١)

وليلٍ نِمتُ (٢) قد قاليتُ نجومَه ... اليه، بُردنَ الشرقَ، يذهبن مَذهبى

وما لانفرادى ما لها من تجمّع ... ولكن بقلبى ما بها من تلهّبِ

وطودٍ تخال الراسياتِ وِهادَه ... متى يَبْغِ ظنُّ العينِ أخراه يُكذَبِ

تراه — ولم تظفر محلّقةٌ به — الـ ... ـعُقابُ بعينىْ عاجزٍ فى تهيّبِ

سلكتُ فأدّانى بقلبٍ ملفّحٍ ... عظائمَ ما ألقَى، وجسمٍ مجرّبِ

إرادةُ حظٍّ أتعبتْنى، ومن تكن ... له حاجةٌ فى ذمّةِ الشمسِ يتعَبِ

فِدًى الأوحدِ "الكافى" جبانٌ، لسانُهُ ... شجاعٌ، بحيث القولُ غيرُ مصوَّبِ

بخيلٌ، لو انّ البحرَ بين بنانه ... وفرقَهما عن قطرِه لم تَشرّبِ

يسامِيه تغريرا برأيٍ مُشعَّثٍ (٣) ... يكدُّ ولا يُجدى، وعِرضٍ مشعَّبِ (٤)

ومنتسبٌ يومَ التفاخرِ مُسفِرٌ ... اذا انتسب "الضبّىُّ" قيلَ: تنقَّبِ

أيا ساريا، إمّا ركبتَ فلا تُنخْ ... مُريحا، وإمّا ماشيا كنتَ فاركبِ

لعلك تأتى شِرعةَ الجودِ سابقا ... بهاذاك، مع فرط التزاحم تُشرَبِ

وقل: يا "أبا العباس" بل يا أبا الورى ... فكلّهُمُ فيما ملكتَ بنو أبِ

أنا ذاك، لم تكفِ اشتياقى زَورةٌ ... بَلَى، زادنى بالبعدِ شَجْوًا تقرُّبى

اذا كنتَ تهوى الشىءَ إمّا رأيتَه ... وأحببتَ أن تشقَى، فزرْ ثمّ جَنِّبِ

---

(١) يشير الشاعر هنا الى قول امرئ القيس بن حجر

خليلىَّ مرّا بى على أمّ جُندَبِ ... لنقضى لُبانات الفؤادِ المعذَّبِ

(٢) ليل التمام بكسر التاء: أطول ليالى الشتاء. (٣) مشعّث: مفرّق. (٤) مشعّب: مصدّع.

أحنّ اذا الوفدُ استقلّوا لقصدكم ... حنينَ الفتى العذرىّ من يربرب
ووالله لم أهجركم العامَ عن قِلًى ... ولا أنّ سيرًا نحوكم كان منْصبى
وما صاحبى قلبٌ بظنّ مُرَجَّم ... الى غيركم فى العالمين مُقلّبى
اذا أطربَ الإبلَ الحُداءُ فإننى ... اليكم متى غنّيْتُ فالجودُ مُطربى
ونفسى لكم: تلك التى لودادها ... ولو أُغْضِبتْ فى واجبٍ ألفُ مُوجِبِ
أأمدحُ منها ما اختبرتم! وإنما ... يُظَنُّ بعتق السيف ما لم يُجرَّبِ
هجرتُ لك الأقوامَ حبًّا فوفّنى ... يَبِنْ بى الى جدوى يديك تحزّبى
وأشتمُهم ذا العامَ أنك جُرتَ بى ... ومَذهَبُك العدلُ الصحيحُ ومَذهَبى
لئن عَتَبوا أنى تفرّدتُ دونهم ... بمدحك، فاشهدْ أننى غيرُ مُعتِبِ
فإن خَبُثَتْ أيديهمُ لى وأَسْهَكَتْ[1] ... فربَّ نوالٍ طاهرٍ لك طيّبِ

* * *

وقال وأنشدها الأمير سندَ الدولة أبا الحسن بن مَزْيَد فى داره بالنيل، وقد لقيه بها فى شهر ربيع الأول سنة ثمانى وتسعين وثلاثمائة

هَبْ من زمانك بعضَ الجِدّ للّعبِ ... واهجرْ الى راحةٍ شيئًا من التعبِ
ما كلُّ ما فات من حظّ بليتُه ... عجزٌ، ولا كلُّ ما يأتى بمُحتلَبِ
لا تحسَبِ الهمّةَ العلياءَ مُوجِبةً ... رزقًا على قِسمة الأقدارِ لم يجبِ[2]
لو كان أفضلُ مَنْ فى الناس أسعدَهم ... ما انحطّتِ الشمسُ عن عالٍ من الشُّهُبِ[3]
أو كان أسيرُ ما فى الأفق أسلمَهم ... دام الهلالُ فلم يُمحَقْ ولم يَغِبِ
يا سائقَ الركبِ غَرْبيًّا وراءك لى ... قلبٌ الى غير نجدٍ غيرُ منقلبِ

(١) أسهكت: أتت فى عَرَقها بريح خبيثة. (٢) فى الأصل: لم تجب. (٣) فى الأصل: مِنْ.

تلفّتًا، خلال الضّيق متّسعٌ ... ورُبّ منجدبٍ فى زىّ مجتنبِ

قف نادِ يا "آل بكر" فى بيوتكمُ ... بيضاءُ يُطرِبها فى حُسنها حَرَبى

لما رأت أُدمةً[1] كُدْرًا وعائرةً ... شهباءَ[2] راكضةً فى الدّهم[3] من قُضُبى[4]

لوتْ ـ وقد أضحكتْ رأسى الخضوبُ لها ـ ... وجهًا الى الصدّ يُبكينى ويَضحَك بى

لا تعجبى اليومَ من بيضائها نظرًا ... انى سبينى، فمن سودائها عجبى

ما زلتُ ـ علمًا بأنّ الهمّ مخترمٌ ... عُمرَ الشبيبة ـ أبكيها ولم أَشِبِ

وسُومُ شَيْبٍ، فإن حقّقتِ ناظرةً ... فإنّهنّ وسُومٌ فى الثّوب

تُرَى نداماىَ ما بين الرّصافة فال[5] ... بيضاءِ بارِين من خمرٍ ومن طَرَبِ؟

أو عالجين ـ وقد بُدّلتُ بَعدَهمُ ـ ... ما دارُ أنسى وما كأسى وما نشبى؟

فارقتهم، فكأنى ـ ذاكرًا لهمُ ـ ... نضوٌ تلاقت عليه عضّة قتب

سقَ رضاىَ عن الأيام بينهمُ ... غيثٌ، وبان عليها بَعدَهم غضبى

إذ تَسكُب الماءَ بُغضًا للمزاج به ... ونطعمُ الشّهدَ إبقاءً على العنب

بنتى السّقاة عليا بين منتصرٍ ... بوغٍ كأسٍ وزأبٍ فستقٍ لبِبِ

كأنما قولنا للبابليّ : أدر ... حلاوةً، قولنا للزّيدىّ : هَبِ

فِدًى على جبانُ الكفّ مقتصرٌ ... من الفخار على الموروث بالنسبِ

يُرَى أبوه ولا تُرْضَى مكارمُه ... الأرضُ صحّت وأودى الداءُ بالعُشُبِ

ومُشبَعون من الدنيا وجارُهمُ ... بادى الطّوَى ضامرُ الجنبين بالسَّغَبِ

(١) الأدمة : السمرة فى الإنسان ، ولون مشربٌ سوادا فى الإبل . (٢) الشهباء : البيضاء يصدعها سواد . (٣) الدهم جمع أدهم وهو الأسود . (٤) القضبُ جمع قضيب وهى الناقة التى لم تُرَضْ ، وكلّ ألفاظ البيت من باب الاستعارة يصف بها ما أصاب وجهه من التلويح وما أصاب رأسه من الشيب كما يتضح من الأبيات التالية . (٥) الرصافة والبيضاء : اسما بلدتين .

قـــل للأمير، ولو قلت : السماءُ به ... مفضوحةُ الجَـودِ[1] لم تَظلِمْ ولم تَجِبِ[2] :

أعطيتَ مالَك، حتى رُبَّ حادثةٍ ... أردتَ فيها الذى تُعطى فلم تُصِبِ

لو شُمتَ نفسَـك أن ترتاضَ تجربةً ... بحفـظ ذاتِ يدٍ يومين لم تَطِبِ

كأنّ مالَك داءٌ أنت ضامنُـه ... فما يُصِحُّك إلا علّةُ النشبِ

لو كان يُنصفك العافون لاحتشموا ... بعضَ السؤالِ، فكنتُم أيسرَ الطلبِ

يا بدرَ عَوفٍ، وعوفُ الشمسُ فى أسَدٍ ... وأسَـدٌ[3] شامةٌ بيضاءُ فى العَـرَبِ

أنتُمُ أولو البأسِ والنعماءِ، طارفةً[4] ... أخبارُكم، وعُلًى[5] تَـلَدٌ من الحِقَبِ

أحيَى القـديمَ حديثًا جاهليَّتُكُمْ ... وقُصّ أسلافِكم من رتبـة الكُتُبِ

ما كنتُمُ مذ جلا الإسلامُ صفحتَهُ ... إلا سيوفَ نبيٍّ أو وصيِّ نبى

بكم "بِصفّينَ" سدَّ الدينُ مسكنَهُ ... و"آلُ حَربٍ" له تحتال فى الحُرَبِ

وقام "بالبَصْرة" الإيمانُ منتصباً ... والكفرُ فى "صَبَّةٍ" جاثٍ على الرُّكَبِ

حتى نقيلتَها إرثًا، وأفضلُ ما ... نقلتَ دينَك شرعًا عن أبٍ فأبِ

إذا رأيتَ نجيبًا صحَّ مذهبُـه ... فاقطع بخيرٍ على أبنائه النُّجُبِ

لا ضاع، بل لم يضعْ يومًا تنصرتَ به ... وأنت كالوِرْدِ[6]، والأعداءُ كالقَـرَبِ

وقـد أتوكَ برايات مكرّرةٍ ... لم تدرِ قبلك ما اسمُ الفرّ والهـربِ

تمشى بهـم صُمَّرٌ، أدمَى رواذفَها ... غرورُ فرسانها بالفارس الذَّرِبِ

لما دعوتَ "عليًّا" بينهم، ضَمِنتْ ... لك الولايةَ فيهـم ساعدُ العطبِ

حكّت رءوسَ القنا فيـه رءوسهمُ ... حتى تموّهتِ الأعناقُ بالعَـذَبِ[7]

---

(١) الجود : المطر. (٢) لم تجب : لم تأثم، وفى الأصل "لم تخب" وهو تحريف. (٣) كلمة "وأسد" فى هذا الشطر يدخلها "الخَبْلُ" وهو ما حُذِفَ ثانيه ورابعه الساكنان. (٤) الطارفة : الحديثة. (٥) التلد جمع تليد وهو القديم. (٦) القَرَبُ : سير الليل لورد الغد. (٧) العَذَبُ جمع عَذَبة وهى خرقة تشد على رأس الرمح، وهى أيضا ما سدل بين الكتفين من العمامة.

وطامعٌ فى معاليــك ارتقى فهوى ... وهل يَصِحُّ مكانُ الرأسِ للذنَبِ؟
ما كان أحوجَ فضلا تمّ فيك الى ... عيبٍ يعوِّذُه من أعين النُّوَبِ
أحبتكم ، وبعيدٌ بين دَوْحتنا (١) ... فكنتُ بالحبِّ منكم أىَّ مقتَرَبِ!
ووُدُّ "سَلْمانَ" أعطاه قرابتَهُ ... يوما ، ولم تُغنِ قُربَى عن أبى لَهَبِ
ورفَّــعَ الصونُ إلا عن مناقبكم ... أسبابَ مدحِىَ فى شِعرى وفى خُطَبِى
فما ترانِىَ أبوابُ الملوك مــع الـ ... ـزِّحام فيها على الأمــوال والرُّتَبِ
قَناعــةٌ رَغبتْ بى عن زيارة مسـ ... ـدولِ الســتورِ وعن تأميلِ محتجبِ
ولى عوائدُ جُودٍ منــك لو طَرَفت ... تَســنامُ مُلكَكَ لم تُحــرَمْ ولم تخِبِ
ملأتُ بالشكر قلبَ الحافظ الغزِلِ الـ ... ـفؤادِ منها وأُذنَ السامعِ الطَّــرِبِ
فــرأىُ جُودِك فى أمثالها لفــتًى ... أتاك بالحرمتين الدِّينِ والأدبِ
ومَنْ توسَّلَ فى أمرٍ فما سببٌ ... اليــك أوكدُ فى الأمرين من سببى

* * *

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم ، وقد ورد من فارس بهنّئه بخاتمٍ أُفيضت عليه بها ، وتكرِمةٍ لحقتْه فيها ، وبسلامته وبالمِهْرجان (٢) ، ويقتضيه حاجةً كانت له

رعى اللهُ فى الحاجاتِ كلَّ نجيبِ ... سميعٍ عــلى بُعــدِ الدعاءِ مُجيبِ
وطهَّــرَ فِتْيانا من الذمِّ طهَّــروا ... غيوبَهم (٣) أن تُمْتَحى بعيــوبِ
ســواءٌ على عُسرى ويُسرى وفَأْوهم ... وألســنُهم فى مَشــهدى ومَغيبى
أحبُّوا المعــالى وهى مُنصبةٌ لهــم ... فما قَنعوا من وصــلها بنصيبِ

(١) الدوحة : الشجرة العظيمة الباسقة ، من "مِهْر" و "جان" ومعناها : محبّة الروح .
(٢) المِهْرجانُ : عيد الفرس ، وهى كلمة مركبة
(٣) فى الأصل : عيوبهم .

لجارِهِمُ من دارهم مثـــلُ ما لَهم ... على راحـةٍ من عيشهم ولُغـوبِ (١)
اذا جئتَهـــم مستصرِخا ثارَ مجدُهم ... بكلِّ مُجيبٍ فى الخطـــوب مَهيبِ
وكرَّم عيشى عنـــدهم وأعاده ... بما فاض من حُسْنٍ عليـــه وطِيبِ
تعـــيّرنى "لَيْـلَى" الوفاءَ بعهـدِهم ... عـلى بُعـــدِهم، أنَّبْتِ غـيرَ مُنيبِ!
خُلِقْتُ رقيق القلب، صـــعباً تقلُّبى ... أَرَى لبعيـــدٍ ما أَرَى لقـــريبِ
وما زلتُ أهـوَى كلَّ شىء ألفتُـــه ... وصاحبْتُهُ حـــتى ألفتُ مَشـــيبى
وتُنْكِر أضـــفارى (٢)، كأنْ لم تَرَ الصِّبا ... ســـقَى وَرَقى يوماً وهزَّ قضـيبى
ولم ألقَ أشراكا فأَنِى حبالَهـا ... على ما اشـتهتْ من أعينٍ وقلوبِ
فما زال مُمسِىَّ الزمانُ ومُصْبِحى ... بأسمـاله (٣) حتى اســـتردَّ قشـــيبى
فداءُ بنى "عبـــد الرحيم" ووِدِّهم ... هوى كلِّ ممذوق الوداد مُريبِ
ولا بَرِحتْ، تسقِى "الحسينَ" وعَرْضَهُ ... بملآنَ من فَيض الثناء سَكوبِ
مجلجـــلةُ الأرجاء، صادقُ برقِهـا ... حَلوبٌ لماء الشِّـــعرِ غيرُ خَلوبِ
مَرَتْها (٤) رياحُ الشـــكر حتى تلاحمتْ ... بما نســـجَتْها من صَبًا وجَنوبِ (٥)
فصابت، فعمَّت ماسقته، فأخصبتْ، ... عـــلى أنها لم تُسْـــقِ غيرَ خَصيبِ
وجازاه ملكا فى الجـــزاء فضـــيلةً ... وأدَّى ثوابَ الشكر حـقَّ مُثيبِ
أخى، وأخى الموروثُ غـــيرُ موافِقٍ ... ومولاى (٦)، وابنُ العمِّ غيرُ نسيبِ
ضميرٌ على حكم اللسان، وبعضُهم ... أخـــو مَلَقٍ يُبـــلَى أخـــوه بذيبِ
وعن حِفظ غَيبِ المُلكِ نُصحا اذا طغى ... به غَلُّ (٧) أسرارٍ وعينُ غيـــوبِ

(١) اللغوب : التعب . (٢) أضفار : جمع ضَفْرٍ وهى كلّ خصلة على حدتها كالضفيرة .
(٣) الأسمال جمع سَمَلٍ وهو الثوب الخَلَق . (٤) مرتها : استخرجتها . (٥) الصَّبا : الريح الشرقية ، والجنوب : ريح تقابل الشَّمال . (٦) المولى : ابن العم . (٧) الغَلُّ : الماء جرى بين الأشجار .

فكم غمّـة عمياء أعضـل داؤها ... رماها برأيٍ من نُهاهُ طبيبِ
وشاهـدةٍ[1] بالفخر أوفتْ صـفاتُها ... على كلّ معـنًى فى الجمال عجيبِ
أتت شَرَفًا من سـيّدٍ، وكأنها ... أتت من محبٍّ تُحفـةً لحبيبِ
صَفَتْ وَضَفَت حتى استطالت جُنوبها ... بوافٍ، ومـدَّتْ باعَها برحيبِ
ونيطتْ بأخرى مثلِها فتظاهـرا ... على ظهـر طَودٍ فى قميص قضيبِ
ومنحولةٍ[2] جسمَ الهـواءِ نحيـلةٍ ... كأنّ الهوى فيها رَمَى بمصيبِ
من الريح، لولا أن "يَذْبُلَ" تحتها ... وقارُك، مرَّتْ عنـك مرَّ هُبوبِ
اذا دقَّ مسًّا وقْعُها جلَّ رفعُـها ... الى منصبٍ فى القَـريتين[3] حسيبِ
وذى شيبتين استَوْقف الصبحَ والدجى ... على ناصـلٍ من لونه وخضيبِ
كأنّ السحابَ جَوْنَها وبياضَها ... تفـرّعَ من صـافٍ به ومَشوبِ[5]
تشبَّثَتِ الأبصـارُ حتى تمكَّنتْ ... وقـد كرّ من هادٍ[6] له وسَبيبِ[7]
توقّى الأذى من عُرْفه بخميـلةٍ ... وحَكَّ الحصى من ذيله بعَسيبِ[8]
وأعجبَـه فى رِدفـه ووشـاحـه ... ملابسُ تكسو منـه كلَّ سليبِ
نصيبٌ من الدنيا أتاك ففُـزْ به ... ولا تنسَ من فضـلِ العطاء نصيبي
كفى المِهرجان مُـذْكِرا وذريعـةً ... الى مُحسِـنٍ فى المكرُماتِ مُطيبِ
بقـاؤك ألفًـا مثـلَه فى كفالتى ... دعوتُ، ومَنّ اللهُ فيـك مُجيبي
فما زال فيـكم كلُّ خيرٍ طلبتُـه ... قُضِى لِيَ فى إدراكه وعُنِى بى

---

(١) يقصد بقوله "وشاهدة" خلعة ضافية . (٢) منحولة : معطاة . (٣) القريتين : اسم بلد . (٤) يصف جوادًا . (٥) فى الأصل "شُوب" وهو خطأ . (٦) الهادى : العنق . (٧) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية من الفرس . (٨) العسيب : عظم الذنب أو منبت الشعر منه .

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس أبي الحسن الخالدي في عيد النحر، وقد حصل ببغداد يهنئه ويُعرِّض بذكر عدوّ له توثّب على ولايته بالعناية دون الكفاية

أستنجدُ الصبرَ فيكم وهو مغلوبُ ... وأسألُ النومَ عنكم وهو مسلوبُ

وأبتغي عندكم قلباً سمحتُ به، ... وكيف يرجعُ شيءٌ وهو موهوبُ؟

ما كنتُ أعرفُ ما مقدارُ وصلكمُ ... حتى هجرتم، وبعضُ الهجر تأديبُ

أستودعُ اللهَ في أبياتكم قمراً ... تراه بالشوق عيني وهو محجوبُ

أرضى وأسخطُ أو أرضى تلوُّنَه ... وكلُّ ما يفعلُ المحبوبُ محبوبُ

أمّا وواشيه مردودٌ بلا ظَفَرٍ ... وهل يُجابُ وبذلُ النفس مطلوبُ؟

لو كان يُنصِفُ ما قال: انتظرْ صِلَةً ... تأتي غداً، وانتظارُ الشيء تعذيبُ

وكان في الحبِّ إسعادٌ ومُنعطَفٌ ... منه، كما فيه تعنيفٌ وتأنيبُ

يا للّواتي بَغضنَ الشَّيْبَ وهو الى ... خدودهنَّ من الألوانِ منسوبُ

تأبَى البياضَ وتأبَى أن أسوِّده ... بصبغةٍ وكلا اللونَيْنِ غِرْيبُ (١)

ما أنكرتْ أمسِ منه ناصلاً يققاً (٢) ... ما تُنكر اليومَ منه وهو مخضوبُ

ليتَ الهوى صان قلبي عن مَطامعه ... فلم يكن قطّ يستدنيه مرغوبُ

إني لأسغَبُ (٣) زهداً والثرى عَمِمٌ (٤) ... نبتاً، وأظمأ وغَرْبُ (٥) الغيثِ مسكوبُ

ولا أَرِقُّ لحِرصٍ خابَ صاحبُه ... سعياً، ويعلم أنّ الرزقَ مكسوبُ

(١) الغريب : الشديد السواد ، يريد أن كلا اللونين في الشعر وهما الأبيض الناصل والمخضوب ، أسود في لونه لأن كليهما لا ترضاه العين ، وقد قال المتنبي

ابعدْ بعدت بياضاً لا بياضَ له ... لأنتَ أسودُ في عيني من الظُّلَمِ

(٢) اليقق : الأبيض . (٣) أسغب : أجوع . (٤) العمم : اسم لكل ما اجتمع وكثر .
(٥) الغرب : الدلو العظيمة .

عُقبَى الطماعـــة فى مالٍ يُمَنُّ به ... عُصارةٌ لا يُغطِّى خُبثَها الطِّيبُ
طَهِّرْ خلالَك من خِل تعابُ به ... وآسلم وحيدًا فما فى الناس مصحوبُ
إنى بُليت بمضطَرٍّ رفيقُهُـــم ... والمـاءُ يملُحُ وقتًا وهـو مشروبُ
كم يوعد الدهرُ آمالى، ويُخلفُهـا (١) ... أخًا أُسَرُّ به، والدهرُ عُرقوبُ (٢)
أسعَى لمثل سَجايَا فى "أبى حَسَنٍ" ... وهـــل يُبلِّغنِى الجوزاءَ تقريبُ! (٣)
فِـــدَى محمـــدٍّ المنسىِّ نائـــلُهُ ... مُراجِـعٌ، نيلُه المنزورُ محسوبُ
حالٌ تحـــدثه الأحلامَ جاهـلةً ... لحاقُهُ، وأخو الأحلامِ مكذوبُ
إن قدَّم الحـظُّ قومًا غالطًا بِهِـمُ ... أو بيَّنتهـــمْ عِنايـاتٌ وتقـريبُ
فالسـيف يُخْبَرُ قَطْعًا وهو مدَّخَرٌ ... والطَّرْفُ يكرَمُ طبعًا وهو مجنـوبُ (٤)
حذارِ من حَدَثِ النَّعماء مؤتنِفٍ (٥) ... علاؤه بشـفيع الوجـــه مجلوبُ
تسوءه سائلا : مِن أين سؤددُه؟ ... إنّ اللئـيم بمـا قد ساد مسبوبُ
أأنت أنت وفى الدنيا "أبو حَسَنٍ"؟ ... صدقتَ إن لفى الدنيا أعاجيبُ
اذا رأيتَ ذيولَ السَّرْح آمنـــةً ... لم يَحْمِها، فلأمرٍ يحـلمُ الذيبُ
يا مُلبِسى الشيمةَ الغـــرّاءَ ضافيةً ... علىَّ، إن قَلَصتْ عنِّى الجلابيبُ
عَلِقْتُ منـك بعهدٍ لا مَوائِقُـــهُ ... تُنسَى، ولا حبلُه بالغدر مقضوبُ
وأحمدتْك آختباراتى وقد سَبَرتْ ... غَوْرَ الرجال وكدَّتهـا التجاريبُ
فلتجزِيَنَّـك عنّى كـــلُّ غاديةٍ ... لهـا من الكَلِم الفيَّاضِ شُؤبوبُ (٦)
اذا وسَمتُ حَيَاها باسمك آنحدرتْ ... له الرُّبَى وأطاعتـــه المصاعيبُ

(١) فى الأصل "يعد" (٢) عرقوب : اسم رجل كان أكذب أهل زمانه و يضرب به المثل فى الخلف . (٣) التقريب : ضربٌ من العدو . (٤) فى الأصل "محبوب" وهو خطأ والمجنوب من الخيل الذى تقوده الى جنبك . (٥) حدث النعماء مؤتنف : حديث النعمة جديد العهد بها . (٦) الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فاسلم لهنّ ولى ، ما طاف مستلمٌ سَبْعا ، وعلّق بالأســـتار مكروبُ
تُرجَى وتُخشَى فسيحَ الباب ممتنعًا إن الكريمَ لمرجُوٌّ ومرهوبُ

* * *

وقال وقد أُنفِذَ الصاحبُ أبو القاسم بن عبد الرحيم الى حضرته بفارس فى رسالة ، عقيب موت الملك بهاء الدولة رحمه الله ، فأحسن البلاغَ وأحسن السّفارةَ واستقلّ بقضاء الحاجة ، فأفيض عليه خِلَعٌ جميلةٌ وكرمٌ ، فكتب اليه وقد عاد الى العراق يهنّئه ويستوحشُ لسابق بُعده ويذكُرُ المسرّة بقُربه

أفلحَ قومٌ اذا دُعوا وثَبُـــوا لا يرهبون الأخطارَ إن ركبوا
تَسبِقُ نهضاتُهُـــم عزائمَهُـــمْ أن تستشارَ العاداتُ والعُقَبُ[1][2]
سارُون لا يسألون : ما حَبَسَ الـ ـفجرَ ولا كيف مالت الشُّهُبُ
عوّدهم هجرُهـم مُطالبَـــةَ الـ ـراحةِ أن يظفَروا بما طلبوا
وخاب راضٍ بالعجز يصبِر للـ ـأوزار مستسلمًا ويَحتسِبُ
إن فاته حظُّ غـــيرِه فله منه اغتيابٌ يشفيه أو عجبُ
لا تستريح العلى الى سكنٍ إلا غلامًا يريحـــه التعبُ
تضمّنَ السيرُ صدرَ حاجتِـه والثِّقتان التقـريبُ والخَبَبُ[3]
من مبلغُ البين يومَ دلّنى : آبَ ، بما سرّ بعدَك ، الغَيَبُ[4]
رُدَّ شبابى من "الحسين" كما كان ، وعادت أيامىَ القُشُبُ[5]
يا قادما أُتخِـمُ البشـــيرَ به من فرحٍ ، أنّ صِدْقَه كذِبُ
سِرتَ ، ونفسى تودُّ فى وطنى بَعْـــدَك أنّ المقيمَ مغتربُ

---

(١) يريد : مخافة أن تستشار . (٢) العقب جمع العاقبة وهى آخر كلّ شىء . (٣) الخبب : ضربٌ من العدو . (٤) الغَيَبُ : جمع غائب . (٥) القشب جمع قشيب وهو الجديد .

(١٢)

أحتشم البدرَ أن أراه فأل ... ـحاظِىَ عنه بالدمع تحتجبُ
وكم تصدّى عمدًا ليخدَعنى ... يَسفِر عن غيهبٍ ويتقبُ
فلم أزده على مسارقة الـ ... ـجفن ولحظٍ بالكره يُستلبُ
وعَبْرةٍ رِيُّه (١) وَحِليتُه ... يُشرَبُ من مائها ويُختضَبُ
ويومِ بينٍ صَبَرتُ قبلَك ، أن ... يفوتَنى الحزمُ فيه والأربُ
حَمَلتُهُ ثابتَ الحشا ذَكَرَ الـ ... ـقلبِ ، وموجُ الحُمولِ مضطربُ
سلوانَ أجزِى بالصدّ جانيَه ... بملْك رأسى إن أظلم الغضبُ
ونظرةٍ حُلوةٍ رَدَدْتُ عن الـ ... ـبيتِ وفيه الجمالُ والحسبُ
بسُنّةٍ غير ما اقتضَى أدبُ الـ ... ـحبِّ حِفاظًا ، وللهوى أدبُ
وانقدتُ طوعا فى حبل (٢) ظالعة (٣) ... تَجْنُبُنى أو يقالَ : مُجتنَبُ
بيضاءَ تُقلَى بُغضًا وأعهدُها ... سوداءَ تُرضَى حبًّا وتُنتخبُ
صاحتْ وراءَ المزاح واعظةً : ... لا يَلتقى الأربعونَ واللعبُ
أعدَى بها الشّيبُ وهى واحدةٌ ... ألفًا ، ويُعدِى الصحائحَ الجُرُبُ (٤)
يا ساكنًا ثائرَ العزيمة من ... سَّ الصِّلّ من تحت لينه يثبُ
قد عَلِمَ الملكُ اذ دعاك وحبـ ... ـلُ الرأىِ واهٍ والشملُ منشعبُ
أنّ قلوبا غِشًا ، تميل مع الـ ... ـدولةِ أهواؤُها وتنقلبُ
وأنّ سِرًّا متى اصطفاك له ... أخلصَ ما فى إنائِهِ الذهَبُ
لما تجلّى وجهُ الحِذارِ وليـ ... ـمَ ابنٌ على غدره وخِيفَ أبُ

(١) فى الأصل : زيه . (٢) الحبل : الرسن . (٣) يريد بقوله "ظالعة" : شعرة فى رأسه شائبة تجتنبه مجالس أنسه ولهوه وقد شبهها بالناقة الظالعة وهى التى تعمز فى مشيها . (٤) الجرب جمع أجرب وهو غير الصحيح .

رَمَى بك القصدُ سهمَ مُنجحةٍ ... يسبِقُ حِرصا حديدَه العَقِبُ

لم يَثنِ فأل الشهورِ عزمتَـــه ... لا صَـــفَرٌ عائـقٌ ولا رجبُ

جَرَتْ عليه أو مرّت الريح تلقـ ... ـاها بوجه أديمُـــه كَرِبُ (١)

فَلَيْـــلَةُ الجَرْيِ وهى جامدةٌ ... له كيوم الجـوزاءِ يلتهبُ

سفرتَ فيها سَـفارةَ الليثِ لا ... يرجعُ إلا فى كفّه الطلبُ

لســـعيه ما أهمّه الدمُ والـ ... ـلحم ولكن لغـيرِه السَّلَبُ

حتى آستقامت على تأوّدها (٢) ... وآنتظمتْ فى رءوسها العَذَبُ

جزاك حسنَى ما آستطاع إن وَزَنَتْ ... فعـلَك تلك الأقدامُ والرتبُ

أعطاك ما لم تنل يدانِ ولا آمـ ... ـتدّ الى مَطـرَحِ المُنَى سببُ

وضافياتٍ تطول فى مذهب الـ ... ـملك اذا شُمِّرتْ وتَنسَـــحبُ

أُهْدِىَ، من مُزنة السماء لها ... ماءٌ، ومن نور شمسها لهبُ

اذا علتْ مَنكِباً عَلاَ، فعيـــو ... نُ الدهرِ زُورٌ (٣) عن أفقه نُكُبُ (٤)

أوكيتَ (٥) رأسًا منها مُوافِيَـهُ (٦) ... فكلُّ رأسٍ لمجـــدِه ذَنَبُ

وصافناتٍ (٧) بين المواكب كُثـ ... ـبانٌ (٨) وفى الروع ضُمَّرٌ قُضُبُ

ضاقت مكانَ الحصور وآتسعتْ ... أضالعًا لا تُقِلُّها الأُهَبُ (٩)

---

(١) قد ورد هذا البيت فى نسخة مطبوعة هكذا :

عليه إن مرّت الرياح تلقـ ... ـاها بوجه أديمـه كرِبُ

والكَرِبُ أصول السعف الغلاظ .

(٢) التأوّد : الاعوجاج . (٣) زور : جمع أزور وهو المائل . (٤) نكب جمع أنكب وهو المائل أيضا . (٥) أوكى : يقال أوكى القربة أى شدّ رأسها بالوكاء، وهو الرباط . (٦) فى الاصل : يوافيه . (٧) الصافنات : الخيل تقوم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة . (٨) الكثبان جمع كثيب وهو التلّ من الرمل . (٩) الاهب جمع أُهْبة وهى العدّة .

تَغيبُ فى جريها قوائمُها ... فما تُرَى أذرعٌ ولا رُكَبُ
من كلِّ دهماءَ أنسُها الليلُ تعـ ... ـزوه الى لونها وتَنتسبُ
ثارت فطارت فخاضت الأُفُقَ الـ ... ـعُلوىَّ تجتاحه وتَلتقبُ
فمِنْ ثُرَيّاه أو مَجـرّته ... لجامُها العسجدىُّ واللَّبَبُ(١)
مواهبٌ لا يَرُبْهُنَّ أبٌ ... إلا شفيقٌ على العلا حَدِبُ(٢)
من معشرٍ لا يُجارُ مَنْ طَرَدوا ... ولا يَطيبُ البقاءُ إن غضبوا
مُثْرِينَ مجـدًا ومُقْتِرِينَ لُهًى(٣) ... والمجدُ طَبْعٌ والمالُ مكتسَبُ
فُرسان يومِ الطعانِ إن طَعَنوا ... بالألسن المشكلاتِ أو ضَرَبوا
لا يَرجِعُونَ الكلام كَرًّا من الـ ... ـعِىِّ ولا يعرفون ما كَتبوا
دعا فؤادِى شوقى اليك على الـ ... ـبعد، فلبّيكَ والمَدَى كَثِبُ(٤)
جواب من لا يُرام جانبُـهُ ... منـذُ غَدَا وهو جارُك الجُنُبُ(٥)
ولا يُبالى اذا سلمتَ له ... ما حَصَدتْ من نباتِه الحِقَبُ
حَمَلْتَ دُنياىَ فاسترحتُ، وقد ... طال عناءُ الآمالِ والتعبُ
وقُمتُ مذ قادنى هُـداك على ... مَحَجّـةٍ لا تدوسها النُّـوَبُ
فليحمدنّى فى كلّ قافيـةٍ ... تزيدُ حسـنا فى دُرّها الثُّقَبُ
أمسحُها(٦) فيك أو تَقِرُّ وقـد ... أوغل(٧) فى أمّ رأسها الشـغَبُ(٨)
حُلّى من المعدن الصريح، اذا ... غشّ تجارُ الأسعارِ ما جَلَبوا

(١) اللبب : ما يشد من سيور السرج فى اللبة من صدر الدابة ليمنع استطار الرحل. (٢) الحدب : المتعطف. (٣) لهى جمع لهوة وهى أعظم العطايا وأجزلها. (٤) كثب : قريب. (٥) الجار الجنب : جارك من غير قومك. (٦) أمسحها : أحسنها. (٧) أوغل : يقال أوغل فى الشىء : اذا ذهب فيه وأبعد (٨) الشغب : الكلام يؤتى الى الشر.

تَشكُرُها الفُرْسُ فى مديحك للـ ـمَعنَى، وترضَى لسانَها العَرَبُ
يُظهِرُ منها السرورَ حاسِدُها ضرورةَ الحقِّ وهو مكتئبُ
يُطرِبه البيتُ وهو يُحزِنُهُ ومن أنين الحمامةِ الطَّرَبُ
يا آل "عبد الرحيم" لا تزل الـ ـدنيا رحًى، أنتُمُ لها قُطُبُ
إن تفضُلوا الناسَ والحسينُ لكم ومِنكُمُ، فافضلوا، فلا عَجَبُ!
فِداكُمُ خاملون لو كاثَرُوا الـ ـرملَ بأعدادهم لما حُسِبوا
لا يَخلُقُ العَدلُ فى خلائقهم لينًا، ولا يُكرَمُونَ إن شربوا
أخَّرَ أقدامَهم وقدَّمكم أنَّهُمُ يحسبون ما كَتَبوا

* * *

وقال وكَتَب بها الى الأستاذ الجليل أبى طالب بن أيّوب رحمه الله تعالى

قالوا رَضيتَ قلتُ ما أجدَى الغَضَبْ ما غالبَ الدهرُ فتًى إلا غَلَبْ
كيف أبالى قُبْحَ ما خيَّبنى؟ اذا علمتُمْ كيف أجملتُ الطلَبْ
اذا اجتهدتُ لم يَعِبْنى فعلُهُ ما لم يَجِبْ، وما قَضَيتُ ما وَجَبْ
يلومنى على الهُزال راتعٌ يحسَبُ ما أسمَنَهُ مما اكتسبْ
ومن يَرَأْ(١) مِن بِلَّة الخِصْبِ دَرَى أنّ الحظوظَ منحةٌ بلا سَبَبْ
لله ما أبصرَنى بزَمَنِى! لو سَلِمَ المجلومُ(٢) من عَيْبِ الأزَبّ(٣)
جَنباىَ للحَمْلِ، وجاء لائمًا أملسُ لم يَقمِص(٤) لعضّات القَتَبْ
جرِّبْ كما جرَّبتُ فى الناس تجِدْ أصدقَ ظنِّك الذى فيهم كذبْ
تستحفل الضَّرعَ فإن لامستَه عاد بَكِيئًا(٥) جلدُه بلا حلَبْ

(١) يَرَأْ: يمتلئ من الطعام، وفى الأصل: يرا. (٢) المجلوم: المحلوق. (٣) الأزبّ:

إنك ما استعففتَ أنتَ المُجتبَى ... وما تطفتَ[1] فأنتَ المُجتنَبْ
نذيرةٌ فلو قبلتَ نُصحَها ... تَوقَّ مَن تأمنُ واهجرْ مَن تُحِبْ
كم من أخٍ ملأتُ كفّيَّ به ... أحسبُ في الوفاء غيرَ ما حسبْ
حَمَلتُه أطوي حياءً عيبَهُ ... كما حملتَ جلديك الجربْ[2]
وحالياتٍ من جمالٍ ونَسَبْ ... نقّرهُنّ عَطَلى من النشبْ[3]
بكرْنَ إشفاقاً يعبنَ مقعدي ... على الخمول : ما لهذا لا يثبْ؟
نراه تحتاً ونرى مَنْ تحته ... في الفضل فوقاً، يا لهذا من عجَبْ!
أمّا جنى خيرا له آدابُهُ، ... أعاذكُنّ اللهُ من شرّ الأدبْ
هو الذي أخّرني مَشارفُ الـ ... ـسبق، فأظمأ شفتي على القَرَبْ[4]
لا تغترِرنَ بابن أيّوبَ اذا ... أُعجِبَ منه بالصفايا والنُّخَبْ[5]
فإنه ممّن ترينَ واحدٌ ... وليس كلُّ معدنٍ عرقَ الذهبْ
يطلبه قومٌ، وما اجتهادهم ... في حلبةٍ مُدركُ رأسٍ بذَنَبْ
أكلُّ من تشجّرتْ نسبتُهُ ... صحّ له البطنانِ من خالٍ وأبْ!
وساعدتْهُ يدُهُ ونفسُهُ ... بالفضل والبذل فسادَ ووَهَبْ
تزحزحوا -- فليس من أوطانكم -- ... للأسَد الوَرْدِ[6] عن الغاب الأشَبْ[7]
ولا يروقنّكُمُ تشادُقٌ ... فتحسبون كلَّ مَن قالَ خَطَبْ

---

(١) كذا بالأصل ولعلها : تطفّلتَ . (٢) كذا بالأصل وهو مكسور وفي بعض النسخ ورد هكذا ولعله الصواب

* حزما كما حَمَلتَ جلديك الجَرَبْ *

(٣) النشب : المال والعقار . (٤) المشارف : الأعالي من الأرض وقد استعاره هنا للسبق .
(٥) الصفايا والنخب جمع صفيّ ونخبة وهما ما يُصطفى ويُنتخب . (٦) الورد : الأحمر الضارب الى الصفرة . (٧) الأشب : الملتف من الشجر .

دَعُوا قنا الأقـــلامِ إن نكصتُمُ ... لحاذقِ الطعنِ اذا شاء كَتَبْ

من تاركي السـيوفِ وهْي زُبَرٌ(١) ... شـدائدٌ أسرَى لحـرّارِ القَصَبْ

قومٌ اذا نارُ الوغى شَبَّتْ لهـم ... كَتائبًا قَلُّوا شَـباها بالكُتُبْ

إن شوورِوا لم يَعجلوا أو سُئلوا ... لم يَقِـفوا تلفُّتًا الى العُـقُبْ

لا ظَهرُهـمْ لِغِيبَةٍ إن ذُكروا ... يوما، ولا مِلحَهـمُ على الرُّكَبْ(٢)

وقَصَّ(٣) آثارَهُـمُ محمـــدٌ ... شهادةٌ، إنَّ النجيبَ ابنُ النُّجُبْ

فلا تَزَلْ نوافـذٌ صـوائبٌ ... يُصمَى بها الحاسدُ أو يَرضَى المحبْ

ما شُكِرتْ صنيعةٌ أو ظَهَرتْ ... مودّةٌ خالصـةٌ من الرِّيَبْ (١٤)

واختلف النيروزُ والعيـدُ، وما ... توافقا في بُعْـدٍ ولا قُـرُبْ

تأخـذ ما تشاء من حظَّيهما ... مقـترحًا محتكما وتَنْتَصِـبْ

وزائراتٍ(٤) طَيَّبَتْ أعطافَهـا ... منـك بذكرٍ او عَداك لم تَطِبْ

جَـواريًا مـع الرياح بالذى ... أوليتَ، أو سَوارِيًا مع السُّحُبْ

كلُّ فتـاةٍ قـتر لى شِمَاسُها(٥) ... وذَلَّ فى فودىَّ منها ما صَعُبْ

تلقاك نفسا حرّةً من فارسٍ ... بنتَ الملوكِ، وفمًا من العَرَبْ

تُروَى، فلو أطربَ شيءٌ نفسَـهُ ... لقـد سمعتَ من قوافيها الطَرَبْ

أضحَى وراحَ حاسدى إن قلتُهـا ... وحاسـدوك إن علوتَ فى تَعَبْ

---

(١) الزبر جمع زُبْرة وهى القطعة الضخمة من الحديد . (٢) يقال : ملحه على ركبتيه أى لا وفاء له وفى الأساس : "فلان ملحه موضوع على ركبتيه" أى هو كثير الخصومات كأن طول مجاثاته ومصاكته للركب قرّح ركبتيه فهو يضع الملحَ عليهما يداويهما به . (٣) قَصَّ : اقتفى . (٤) يريد بقوله "وزائرات" قصائده . (٥) الشماس : الامتناع والإباء .

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبي طالب بن أيّوب أيضا

أَصَبتُ لو أَحمَدتُ أن أُصيبا ... وفزتُ لو كان المجا المطلوبا

وراضَ منّي الدهرُ ظَهراً لم يكن ... لو أَنصَفَ احظُّه مَركوبا

أقسَمتُ لا ازددتُ به فضيلةً ... دهرِيَ إلا زادني تعذيبا

فكلّما آنستُ منه بأدّى ... بَقّاهُ وآستأنف لي غريبا

رَميتُ حظّي بوجوهٍ حِيَلي ... فلم أُصِبْ ولم أقَع قريبا

تنزّهٌ يُعابُ أو محاسنٌ ... محسودةٌ محسوبةٌ ذُنوبا

أُنظُر الى الأقسام[1] ما تأتي به ... متى أردتَ أن ترى عجيبا

تجمعُ بين الماءِ والنارِ يدٌ ... وما جَمَعتَ الرزقَ والأديبا[2]

ليتَ كفاني الدهرُ مَعْ تخاصُمي ... مكروهَهُ كما كَفَى المحبوبا

أو ليتَ أعدَى خُلُقي جنونُهُ ... فكنتُ لا سَمْحاً ولا لبيبا

يا صاحبَ الزمانِ مغترّاً به ... أنتَ دَمٌ فاحذَرْ عليك الذيبا

تبعتُ ألحاظُك من وفائه ... بارقةً صَيفيّةً خُلوبا[3]

سَلْني به وقِسْ عليّ معَهُ ... فقد قَتلتُ أهلَه تجريبا

بَعدَ عنائي وآجتهادي كلّه ... بالأرض حتى وَلَدَتْ نجيبا

جاءت به بعد النواحي غَلَطًا ... ثم نَوَتْ من بعدُ أن تتوبا

---

(١) الأقسام : الحظوظ . (٢) يقول : أن تجمع اليد بين الضدين الماء والنار أصعب من الجمع بين الحظ في الرزق والفهم ، ولعله من قول المتنبي

وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعبَ من أن أجمع الجدَّ والفهما

(٣) في الأصل "حلوبا" وهو تحريف .

أبلجَ بسّامَ العشيّ واضحا ... ريّانَ مخضرَّ الثرى رطيبا

تصفو المدامُ وتروقُ ما أتمتْ ... حُسْنًا الى أخلاقه وطيبا

للمجد قومٌ وقليلٌ ما هُمُ ... وفى القليلِ نَجِدُ المطلوبا

كالنجم للباغ المديد بُعْدُه ... وللعيون أن يُرَى قريبا

لا تشكُرَنَّ من فتًى فضيلةً ... وليس فيها مُعْرِقا نسيبا

فإنما أعطَى "ابنَ أيوبَ" المَدَى ... فى الشرف اقتفاؤه "أيوبا"

يا لابسَ الكمال غيرَ مُعْجَبِ ... تركتَ كلَّ لابسٍ سليبا

إن غادر الشكرُ لسانًا ناكلا (١) ... وكان سيفا قبله مذروبا (٢)

فقد عَقَدتَ لَسَنِي (٣) وقُدتنى ... بالطَّوْلِ فى حباله جنيبا (٤)

حَسِبتُ أعداد الحصى ولم أُطِقْ ... عدَّ الذى أوليتنى محسوبا

فى كلّ يومٍ شارقٍ معونةٌ ... تَبْرُدُ حرَّ جَوْرِه المشبوبا

ونعمةٌ تسير فى نُضوحها ... خَرْقَ (٥) الجديب فيُرَى خصيبا

يُحجلنى استقبالُها فتحسَب الـ ... ـعينُ ابتسامى نحوَها قُطوبا

لو شئتُ لاسترحتُ من أثقالها ... إن كنتُ من مكرُمةٍ متعوبا

كنتُ أخًا، فلم تزل تَسبُقنى ... باللّطفِ حتى خِلتُنى حبيبا

فإن قضَى الثناءُ حقَّ نعمةٍ ... أو كاد أن يقضيَها تقريبا

وأقنعَ الميسورُ فاحبِسْ شُرَّدًا ... تَسألُ عنها الشمألُ الجَنوبا

يَعلَقُ بالعِرضِ الكريمِ نَشرُها ... وهى به طائرةٌ هُبوبا

---

(١) ناكلا: ناكصا. (٢) المذروب: المحدود. (٣) اللسن: الفصاحة. (٤) الجنيب: يقال جنبه أى قاده الى جنبه فهو جنيب. (٥) الخرق: القفر.

اذا بنيتُ البيتَ منها وذتِ الـ ـاسماعُ لو كانت له طُنُوبا (١)
يَخْلُدُ مسموعا ويُغني كلَّما عَوَّضتَ مُهْدًى عنه أو موهوبا
عُدَّ السنينَ صومَها وفِطرَها تُخْفَ مقروءا به مكتوبا

* * *

وقال وكتب بها الى مؤيَّد السلطان أبي القاسم بن الأوحد ذى السياستين أبي محمد ابن مُكْرَم ، يشكره على ملاطفةٍ جميلةٍ لاطفه بها ، ودنانيرَ حملها اليه سنيةٍ ، وجوابٍ أجاب به عن كتبه ، يشكر منالَه ويصف فيها السفينةَ ، وقبيحَ وساطةِ غلامٍ أنفذت الهديّةُ على يده ، وتعرُّضَه لها واستبدادَه ببعضها ، ويذمُّ الغلامَ ويسأل الغرامة ، وأنفذها فى صفر سنة تسع وأربعمائة

سَلَا دارَ البخيلةِ "بالجنابِ" (٢) متى عَرِيَتْ رُبالِكِ من القبابِ ؟
وكيفَ تشعَّبَ الأظعانُ صبحا بدائدَ (٣) بين وُهْدِكِ (٤) والشِّعابِ ؟
بطالعةِ (٥) الهلالِ على "ضُمَيرٍ" (٦) وغاربةٍ كمنقَضِّ الشِّهابِ
حَمَلْنَ رشائقًا ومبدَّناتٍ رماحَ الخَطِّ تَنبُتُ فى الرَّوابى
وأين رضاكِ عن سُقيا دموعى ربوعَكِ من رضاكِ عن السحابِ
بكيتُكِ للفراقِ ونحنُ سِتْرٌ (٧) وعُدْتُ اليومَ أبكى للإيابِ
وأمسحُ فيكِ أحشائى بكفٍّ قريبٍ عهدُها بحشا "الرَّبابِ"
لها أَرَجٌ بما أبقاه فيها الـ ـتصافُحُ بعدُ من ريحِ الخِضابِ
أمفصحةٌ فأطمعَ فى جوابٍ ؟ وكيفَ يُجيبُ رَسْمٌ فى كتابِ ؟

(١) الطنوب جمع طنب بضم الطاء والنون وهو الحبل يشد به سرادق البيت . (٢) الجناب : اسم واد .
(٣) بدائد : متفرقة . (٤) الوُهْد جمع وَهْدٍ وهو ما انخفض من الأرض . (٥) فى الأصل : "بطالعه" وهو تحريف . (٦) ضمير : اسم بلدة . (٧) السفر : جماعة المسافرين .

نَحَلتِ ففى ترابِكِ منكِ رَسمٌ ... كما أنى خَيالٌ فى ثيابِى
وفى الأحداج مُتعبةُ المَطَايَا ... تُلينُ عرائكَ الإبلِ الصِّعابِ
بَعيدَةُ مَسقِطِ القُرطَيْنِ تُقْرَا ... خُطوطُ ذؤابَتَيْها فى الترابِ
تَجَمَّع فى الأساورِ مِعصَماها ... ويَقلَقُ خصرُها لكَ فى الحِقَابِ
تَعيبُ على الوفاءِ نحولَ جسمى ، ... ألا بالغـــدر أجدرُ أن تُعابِى !

وما بِكِ أن نَحَلتُ سوى نُصولٍ ... من السنواتِ أسرعَ فى خِضابى
جزِعت له كأنَّ الشَّيبَ منه ... يَسُلُّ عليكِ نَصْلاً من قِرابِ
فما ذنبى اذا وقَعتْ عُقابٌ ... من الأيّام طارلها غرابى ؟
وقد كنتُ الحبيبَ وذا نحولى ... وهـــذا فى العريكة حدُّ نابى
ليالىَ لِى من الحاجاتِ حُكْمِى ... وليس وسيلةٌ بسوى شبابى

* * *

ألا لله قلبُـــكَ من حَمولٍ ... على عِلاَّتِ وَصْـلٍ وآجتنابِ
وحُبُّـكَ من وَفِىٍّ العـهدِ باقٍ ... على بُعْـــدٍ يُحيـلُ أو آقترابِ
هوًى لكَ فى جبالِ "أبانَ" ثاوٍ ... وأنتَ على جبالِ "عُمانَ"(١) صابى
وكان المجدُ أعودَ حين يَهوِى ... عليـكَ من المَهفهفة الكَعابِ
وإن وراء بحر "عُمانَ" مُلْكًا ... رطيبُ الظلِّ فَضفاضَ الرِّحابِ
رقيـــقٌ عيشُـــهُ عَطِرٌ ثراهُ ... بِطُرَّاقِ الفضائلِ غـــيرُ نابى
متى تنزِلْ به تنزِلْ بوادٍ ... من المعروفِ مَرعِىِّ الجنابِ
يدبّره من الأمراء خِرْقٌ(٢) ... يَذِلُّ لعـــزِّه غُلْبُ(٣) الرِّقابِ

(١) كلتا "جبال" الواردتان فى هذا البيت وردتا فى الأصل "حبال" ، وأبان : اسم جبل ، وعمان : بلد باليمن . (٢) الخِرْقُ : السخىّ والفتى الحسن الكريم الخليقة . (٣) الغلب جمع أغلب وهو الذى غلظت عنقه .

وَفَى ذُو المجدِ سَبَّاقًا فوافَى ... يحلِّق عُرْفُه والنجمُ كابِ
وقامَ بنفسِه يسعَى ففاقَتْ ... غريزةُ نفسِه شَرَفَ النِّصابِ (١)
وبانَ به لعينِ أبيهِ بَوْنٌ ... أراه الشِّبْلَ أغلبَ ليثَ غابِ
على زَمَنِ الحَداثةِ لم يُفتْهُ ... تقدُّمُ شِيبِهم قَدَمَ الشَّبابِ
سَمَا لمكانِهم وهُمُ شموسٌ ... فطال الطودُ أعنقَ المِضابِ
وسيِّدُ قومِه من سؤدوه ... بلا عَصَبيّةٍ وبلا مُحابِ
وقُدِّم بالفراسةِ وهو طِفْلٌ ... تُحلَّلُ عنه (٢) أُسْطةُ (٣) السِّخابِ
وما تركُ الشريفِ على بنيه ... وهم منه، تجاوُزُهُ بعابِ
وإن كان الفتى لأبيه فَرْعًا ... فإن الغيثَ فَرْعٌ للسحابِ
بَلَوْهُ وجرَّبوا يومَيه نُعمَى ... وبأسًا فى السكينةِ والوِثابِ
فما ظَهَروا مُخاطَبةً بوانٍ ... وما ظَفِروا مُضارَبةً بنابِ
ولا عدِموا به لَسَنًا (٤) وقَطْعًا ... عمائقَ فى الإصابةِ والصوابِ
لذلك جاوروا بالبحرِ بحرًا ... كِلَا كرميهما طاغى العُبابِ
يقول لىَ الغنَى ورأى قُعودى ... عن السعى المؤَوِّلِ والطِّلابِ
وعفَّةَ مذهبى ظَلِفًا (٥) ومَيْلِى ... الى العيشِ المُرَمَّقِ (٦) وانصبابى :
أرى لك فى لو خاطرتَ مَرْعًى ... يبدِّلُ صحَّةً أُهَبَ (٧) الجرابِ
أما لكَ فى بحارِ "عمانَ" مالٌ ... يسُدُّ مَفاقِرَ الحاجِ الصِّعابِ ؟
ومولًى يوسعُ الحُرُماتِ رَعْيًا ... ويعمُرُ دارسَ الأملِ الخرابِ

(١) النصاب : الأصل . (٢) أسطة : يريد بها جمع أسْطوطة وهى عقدة يسهل حلّها مثل عقدة التكة .
(٣) السخاب بوزن كتاب : قلادة من سُكّ وقرنفل ومحاب بلا جوهر ، والسُّكّ : طيب يعجن ويقرص ويترك يومين ثم يثقب بمسلة وينظم فى خيط قُنّب وكلما عَتُقَ طابت رائحته . (٤) اللَّسَنُ : البيان .
(٥) الظَّلَفُ : النَّزَهُ (٦) المرمَّق : الذى يُتبلغ به (٧) أهب جمع إهاب والجراب جمع أجرب .

لعلَّ "مؤيَّد السلطان" تحنو عواطفُ فضله بعدَ ٱجتناب
قفلتُ ودونه متـــلاطماتٌ زواخرهنَّ كالأُسْـدِ الغِضاب
صَواعدُ كالجبال اذا أحسَّتْ نســـيمًا، أو نوازلُ كالحَوابي (١)
وأخضرُ لا يروق العينَ يُطْوَى عـــلى بيضاءَ سوداءِ الإهاب (٢)
تجاذبه الأزمَّةُ من حديدٍ فَيَقمِصُ أو يُقطَّر فى الجذاب (٣)
اذا خُوصُ (٤) الرِّكاب شكون ظمْأً شكى رُكبانُها شَرَقَ الرِّكاب
يروعُ حُداءُ أحبُشِها النَّواتِى (٥) اذا شاقتـــك حاديةُ العِراب (٦)
اذا عثرتْ فليس تُقالُ ذنبـا وإن صدَعتْ فليست لٱنشعاب
ولستُ بسابحٍ فأقولُ : أنجـو عسى إن ظهـــرُها يوما كَبَا بى
اذا حَلَمَتْ بها فى النوم عينى طفِقتُ أجُسُّ هل رَطِبتْ ثيابى ؟
ومالى والخطارَ وقـــد سَقَتْنى سماءُ يديهِ من غـير ٱغـتراب
وجاءتنى مَواهبُـــهُ بعيـــدا بأفضـــلِ ما يجىءُ مع ٱقتراب
رغائبُ من يديه فاجأتنى وَفَيْنَ رِضًا بآمالى الرِّغاب
وزِدنَ على حساب مُنايَ لكن "وِشاحٌ" (٧) لم يكُنْ لى فى حسابى
ندًى وَصَلَ السماحَ به ولكن تولَّى عنـــه حاجبُه حجابى
أمرتَ بها كعِوضك لم يُدَنَّسْ (٨) بلا غِشٍّ يشوبُ ولا ٱرتياب
من الذهب الصريح فصار مما يُبَـــدَّلُ فى يديه الى الذَّهاب

(١) الحوابى جمع جابية وهى الحوض الضخم . (٢) يصف بقوله "وأخضر" البحر و بقوله "بيضاء سوداء الإهاب" سفينة مطلية الجرم بالجير والقار . (٣) يقطّر : يُلقَى على قُطره أى جانبه .
(٤) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٥) النواتى : جمع نوتىّ وهو ملّاح السفينة .
(٦) العراب : الإبل المنسوبة للعرب ، وفى الأصل "الغراب" . (٧) وشاح : اسم غلام الأمير الذى أوأ الشاعر على جوائزه . (٨) يريد بقوله "أمرت بها" الصلة أو الجائزة .

وقاسمني مُناصفةً عبيـــه ... وجاحدني ليحبسـه كتابي (١)

وقال ولم يبتْ ولم يُصفِّني : ... كذلكَ فيكَ منذُ سنينَ دابي

اذا حُمِّلتُ رِفْـدا أو كتابًا ... اليـكَ لواه نَهْيي واعتصابي

مكارمُ سقتهنّ الى محبٍّ ... ففاز بها مُغيرٌ لم يُحابِ

بعثتَ بها الحشون، فضاع سِرْبٌ ... أمنتَ عليـه غائرةَ الذئابِ

ولولا أنّ خدمته وقتْـهُ ... وحُرمـةَ عزّ بابك والجنابِ

لمَا سَلِمَ البعوضُ على عُقابٍ ... ولا عُضَّ الهِـزبرُ بشرِّ نابِ

أدلّ بكم فألحمني، وكانت ... نواحيـه مآكلَ للسِّبابِ

بخَلِّ عن الطِّجاء بذاك عندي ... وقلّ بما أتاه عن العتابِ

سُلِبْتُ ندامك في نادٍ طالما ... بغارة صاحبٍ لك في الصحابِ

ثلاثَ سنينَ حَوْلا بعدَ حَوْلٍ ... بكفِّ "وشاحَ" مُقتسَمٍ ثيابي

وأنتَ خفيرُ مالكَ أو يؤدّي ... انيَّ ولو بمقطعِ السِّرابِ

اذا أنصفتني فعليـك دَيْنًـا ... غَرامتُهُ ما تجمعُ في الحسابِ

أعدْ نظرًا فكم أغنيتَ فقرًا ... به وجبرتَ كَسْرًا من مُصابِ

وكم نوديتَ يا بحرَ العطايا ... فجاء البحرُ بالعجبِ العُجابِ

وقفتَ فيك المنى وقضتْ نُذُوري ... فوقَّ عُلاكَ حسنَ تُرضها بي

وفي يدك الغنى فابعث أمينا ... الىّ به وصيّرهُ جوابي

ولا تُحوِجْ ظمائي الى قَلِيبٍ ... سوالكَ على مُقامي وانقلابي

أُذكّرك الذي ما كنتَ تنسى ... سُفوري تحت ظلّك وانتقابي

وإني إن بلغتُ النجمَ يومًا ... لكان الى صنيعتك انتسابي

(١) يريد وجاحدني كتابي ليحبس عني الذهب.

* * *

وقال فى معنًى عَرَضَ له

مَنْ لِسَلْمٍ مُطْـاعٌ لى ... قـرا طال مَغيبُـهْ ؟
وأصـيلا بالحِمَى نُغِّـ ... ـصَ بالعاذل طِيبُـهْ
كلُّ شيءٍ حَسَنٍ حا ... شاك (١) فالعين تُصيبُهْ
عنَّفوا القلبَ على قَا ... تِلِه وهو حبيبُـهْ
كلُّ جُرْمٍ لك إلا الـ ... ـغَدْر (٢) فالقلب وَهُوبُهْ
وأقلُّ الناس ذَنْبًـا ... قادرٌ عُدَّتْ ذنوبُهْ

* * *

وقال وقد أوجب عليه بعض الرؤساء المشهورين وهو أبو الحسين أحمد بن عبدالله الكاتب رحمه الله حقًّا أكّده بقصده إيّاه فى علّةٍ نالته، عائدا عِدّةَ دفعاتٍ من غير أن يكون سَبَق اليه بمعرفةٍ، ولاجرى بينهما لقاءٌ إلا بالذِّكر والصفة من الأستاذ أبى الحسَن المختار بن عبد الله الذهبىّ، وواصَلَ تفقُّدَه تبرُّعا وابتـداءَ ما يوجب الشكر ويُعرَفُ مثلُه من أمثاله فى هـذا الوقت، وكتب بها اليه يشكره ويعتمد بفعله، وأنفـذها فى رجب سنة اثنتى عشرة وأربعمائة

هَوًى لى، وأهواءُ النفوسِ ضُروبُ ... تَجانُبُ (٣) "قُوسى" أن تُهبَّ جَنوبُ
يدُلُّ عليهـا الريفُ أين مكانُهُ ... ويُخبِرها بالمُـزْنِ كيف يصوبُ

(١) ورد هذا البيت كما هو فى النسخة المطبوعة، وورد فى الأصل هكذا

كلّ شيء حسن ... فى العين تصيبه

وهو مختل وزنا ومعنى، ولو حافظنا على الأصل لعله يكون هكذا

كل شيء حسن فى الـ ... ـعين قالعين تصيبه

(٢) فى الأصل : "العزر" . (٣) قوسى : اسم بلدة، ومعنى البيت : أن هواه على اختلاف أهواء النفوس فى أن يجانب "قوسى" وهى البلدة التى بها محبوبه مخافة أن تهبّ عليها ريح الجنوب وهى ريح حارة تخالف الشمال، وقد كنى بها عن زفراته فى حرّها .

ونَمشِي على روضِ الحِمَى ثم نلتقي ... فيبلُغُني منها الغداةَ هبوبُ
أمانِي بعيدٍ لو رآها اسرَّها ... مكانَ الحيا من مقلتيه غُروبُ
ودَمْعٍ إذا غالطتُ عنه تشاهدَتْ ... قَوارفُ فى خدّى له وندُوبُ
عَلَى أنّ ذِكْرا لا تزال سهامُهُ ... تَرَى مَقْتَلا من مهجتى فتُصيبُ
إذا قيل "مَىٌّ" لم يَرُعْنى بحلمه ... حياءٌ، ولم يحبِسْ بكاىَ رقيبُ
أُعيرُ المنادى باسمها السمعَ كلّه ... على علمه أنى بذاك مريبُ
وكم لِىَ فى ليلِ الحِمَى من إصاخةٍ ... الى خَبَرِ الأحلامِ وهو كذوبُ
توقّرُ منها ثم تسفَهُ أضلعى ... ويجمُدُ فيها الدمعُ ثم يذوبُ
وما حبُّ "مىٍّ" غيرُ بُرْدٍ طويتُهُ ... على الكُرْهِ طىَّ الرِّثِّ(١) وهو قشيبُ(٢)
رأتْ شَعَراتٍ غيَّرَ البينُ لونَها ... فأمست بما تُطريه أمسِ تَعيبُ
أساءكِ أن قالوا: أُخٌ لكِ شائبٌ؟ ... فأسوأُ منه أن يُقالَ: خَضيبُ
ومن عجبٍ أنّ البياضَ ولونَه ... اليكِ بغيضٌ وهو منكِ حبيبُ!
أحِينَ عسا(٣) غُصْنى طرحتِ حبائلى ... الىّ، فهلّا ذاكِ وهو رطيبُ؟
نُظَنِّنُهُ من كِبْرةٍ فرطَ ما انحنَى ... كأنْ ليس فى هذا الزمان خُطوبُ!
فعُدّى(٤) سِنِيه، إنما العهدُ بالصِّبا ... وإن خانه صِبغُ العِذارِ قريبُ
وفى خَطَلِ(٥) الريح انحناءٌ، وإنما ... تُعَدُّ أنابيبٌ له وكعوبُ
همومِىَ من قبل اكتهالى تكهّلُ ... وغدرُكِ من قبل المَشيبِ مَشيبُ
وما كان وجهٌ يوقِدُ الهمَّ تحته ... لتُنكِرَ فيه شَيْبةٌ وشُحوبُ(٦)
لو انّ دَمِى حالتْ صَبيغةُ لونِهِ ... مُبيَضّةً ما قلتُ: ذاكَ عجيبُ!

(١٨)

(١) الرث: البالى. (٢) القشيب: الجديد. (٣) عسا: كبر. (٤) فى الأصل: "تعدّي" وهو تحريف. (٥) الخطل: الاضطراب. (٦) الشحوب: تغيّر اللون.

ألم تعلمي أنّ الليالى جحافل ... وأنّ مُداراةَ الزمانِ حروبُ ؟
وأنّ النفوسَ العارفاتِ بليّةٌ ... وحملَ السجايا العالياتِ لغوبُ[1]
يُسيغ الفتى أيّامَهُ وهو جاهلٌ ... ويغتصُّ بالساعاتِ وهو لبيبُ
وبعضُ مَوَدّاتِ الرجالِ عقاربٌ ... لها تحت ظلماء العُقوقِ دبيبُ
تواصَوا على حبِّ التفاقِ، ودِينُهُ ... بأنْ يتنافَى مَشْهَدٌ ومَغيبُ
فما أكثرَ الإخوانَ بل ما أقلَّهم ... على نائباتِ الدهرِ حين تنوبُ !
وقبلَ ابنِ عبدِ الله ماخلتُ أنه ... يُرَى فى بنى الدنيا الوَلودِ نجيبُ
ألا إن بانى المجدِ يَخلُصُ طِينُهُ ... وكلّ الذى فوق التراب مَشوبُ
سقى الله نفسا مذ رعت قُلّةَ العُلا ... فكلُّ مَراعيها أعمُّ خصيبُ
وحَيًّا على رغم الغزالةِ غُرّةً ... إذا طلعتْ لم تَدْجُ حين تغيبُ
وحصّنَ صدرا قلبُ "أحمدَ" تحته ... يضيق ذراعُ الدهرِ وهو رحيبُ
من القوم بسّامون والجوُّ عابسٌ ... وراضون والأيومُ الأصمّ[2] غضوبُ
رأوا بابنهم ليثَ الشرى وهو سارِبٌ ... لحاجتِه ، والبحرَ وهو وهوبُ
فتًى سوّدته نفسُهُ قبل خَطّه[3] ... وشابت عُلاه وهو بَعْدُ ربيبُ
وقدّمه ـ أن يعلَقَ الناسُ عَقْبَهُ ـ ... سماحٌ مع الريح العَصوفِ ذَهوبُ
ورأىٌ على ظَهر العواقبِ طالعٌ ... إذا أخطأ المقدارُ فهو مصيبُ
إذا ظنّ أمرًا فاليقينُ وراءه ... ويصدُق ظنٌّ تارةً ويخوبُ[4]
وخُلُقٌ كريمٌ لم يَرُضْهُ مؤدِّبٌ ... تمطّقَ فُوه الثّدْىَ وهو أديبُ[5]

(١) فى الاصل : "الغالبات" . (٢) اليوم الأصمّ : العصيب الشديد . (٣) قوله : "قبل خطّه" أى قبل نبت عذاره من قولهم : خَطَّ الغلامُ إذا نبت عذاره . (٤) يخوب : يأثم . (٥) تمطّق : تذوّق .

تحمّـــل أعباءَ الرياســةِ ناهضا ... بهـا قاعدا والحـادثاتُ وُثوبُ
وصاحتْ به الجُلّى لسدّ فُروجها ... فأقدَمَ فيها والزمانُ هَيوبُ
وكم عَجَمتْهُ النائبـاتُ فردَّهـا ... رِدادًا وعاد النَّبْعُ[1] وهو صليبُ
هناك اتفاقُ النـاسِ أنك واحدٌ ... إذا كان للبـدر المنـير ضريبُ
وأعجبُ ما في الجودِ أنك سالبٌ ... به كلَّ ذي فضل وأنتَ سَليبُ !
أأنسى لك النُّعمى التي تركَتْ فمي ... يُصَـعِّدُ يبغي شُكرَها ويَصوبُ ؟
ملكتَ فؤادي عنـد أوّل نظرةٍ ... كما صـاد عُذريًّا[2] أغنُّ ربيبُ
وكنتُ أخاف البـابليَّ وسِحـرَهُ[3] ... ولم أدرِ أن الواسطيَّ خَلوبُ
وغنّـاك أقوامٌ بوصـفِ مَناقبي ... فرُحْتَ تَشـوانٌ وحَنَّ طروبُ
رفعتَ مَنـارَ الفخرِ لي بزيارةٍ ... وَسَمْتَ بها مَغْنايَ وهو جديبُ
وكنتَ لداءٍ جئتني منـه عائدا ... شفاءً، وبعضُ العائدين طبيبُ
وأمهلْتَني من خُلْقِكَ العذبِ شربةً ... حَلَتْ لي، وما كلُّ الدواء يطيبُ
ولمـا جلا لي حُسنَ وجهكَ بِشْرُهُ ... تبـيَّنَ في وجه السَّـقام قُطوبُ
أجبتَ وقد ناديتُ غيرَك شاكيا ... وذو المجـدِ يُدعَى غيرُهُ فيُجيبُ
فَطِنتَ لهـا أُكرومةً[4] نام غَفْلَةً ... من النـاس عنها مائقٌ وأريبُ
ذهبتَ بها في الفضلِ ذكرًا بصوته ... سبقتَ، فلم يقدر عليك طَلوبُ
لئن كان في قسْمِ المكارم شَطرُها ... فللدِّين فيهـا والولاءِ نصيبُ
وإن أكُ من "كِسْرى" وأنت لغيره ... فإنّي في حبِّ "الوصيِّ" نسيبُ
سـتعلمُ أنَّ الصُّنعَ ليس بضائعٍ ... عليّ، ولا الغَرسَ الزكيَّ يخيبُ

---

(١) النبع : شجر تعمل منه القسيّ والسهام . (٢) عذريًّا : رجلا من بني عُذرة وهم قوم مشهورون بالعشق . (٣) البابليّ والواسطيّ نسبة الى بابل وواسط . (٤) الأكرومة : فعل الكرم .

وتحمَـدُ منّى ما سـعيتَ لكسبِهِ ... وما كلّ ساعٍ فى العَلاء كسوبُ

ومهما يُذِبْك الشـعرُ شكرا مخلّدا ... عليها، فإنّ اللهَ قبلُ يُثيبُ

وتَسمعُ فى نادى النَّدى أىَّ فِقْرةٍ (١) ... يقوم بهـا فى الوافدين خطيبُ

متى آمتدّ بى عُمرٌ وطالت مودّةٌ ... فربعك حُسنٌ من ثَنايَ وطِيبُ

ودونك منى ضَيغمٌ، فُوهُ فاغِرٌ (٢) ... متى ما دنا من سَرْحِ عِرضك ذيبُ

محاسنُ قَومٍ وَسمةٌ فى جباههـم ... ولى حسـناتٌ سِمرُهن غُيوبُ

وما الحُسنُ ما تُثنِى به العينُ وحدَها ... ولكنَّ ما تُثنِى عليـه قلوبُ

لقد عَقَلَتْ دنياك مذ قيَّضتْك لى ... وراح عليها الحِـلمُ وهو غريبُ

أظنُّ زمانى إن زجرتَ صروفَه ... سـيرجع عمّـا ساءنى ويتوبُ

تخاتِلنى الأخبارُ ـ أخلبَ برقُها ـ ... بأنك يا بـدرَ الـكمال تغيبُ

فأمسِكْ قبلَ البين أحشاءَ مُوجَع ... لهـا بين أثناء الحـذار وجيبُ

بأىّ فؤادٍ أحمل البعدَ، والهوى ... جديدٌ، وذا وجدى وأنتَ قريبُ

فلا تصـدَع الأيّامُ شملَ محاسنٍ ... تُسـافر مصحوبا بهـا وتؤوبُ

ولا تعـدَم الدنيا بقاءَك وحدَه ... فإنك فى هذا الزمان غريبُ

* * *

وقال يمدح سيّد الوزراء مؤيّدَ الملك أبا علىٍّ الرُّخْجىَّ، ويشكر إنعامَه فى تقديمه وإكرامِه، وتطوّلَهُ فى تحسين وصفه وتقريظه، ويعتذّ لإحسانه بعاداتٍ مُواصلة فى القول والفعل، عَقيبَ تقلّدِهِ الوزارةَ بعد آمتناعِهِ من الدخول فيها، ومدافعتِهِ بالتلبّس بها، وذكر ذلك فى القصيدة ومظاهر من آثاره فى النظر، بعد نكول من سبقَ من الوزراء، وأنشدها بحضرته فى الدار بباب الشعير

(١) الفقرة : أجود بيت فى القصيدة . (٢) فاغر : مفتوح .

إذا عمّ "صحراءَ العُمَيرِ" جُدُوبُها ... كفى دارَ "هندٍ" أنّ جفنيَ يصوبُها

وفقتُكم والطَّرفُ يرعاها، وحثّتْ ... طريدُ رياضها، والفؤادُ جَنوبُها

وقد درَسَتْ، إلا لثاياً (١) عواصفٌ ... من الريح لم يَفطُنْ لطِّ هُبُوبُها

خليليَّ، هذى دارُ أُنسى، وربما ... يَبينُ بمشهودِ الأمورِ غُيوبُها

قِفَا تطوّعْ لوفاء بوفقةٍ ... لعلّ المُجازِى بالوفاء يُثيبُها

فلا دارَ إلا أدمعٌ ووكيفُها ... ولا "هندَ" إلا أضلعٌ ووجيبُها

وعَيّمانى زفرةٌ خفَّ وَقدُها ... مَليًّا، وعيناً أمسِ جفَّتْ غُروبُها

فإن تكُ نفسى أمسِ فى سلوةٍ جَنَتْ ... فقد رجع اليومَ الهوى يستتيبُها

وإن يُفنِ يومُ البينِ جُمَّةَ أدمعى ... فعندَ جُفونى للديار نصيبُها

تكلّفنى "هندٌ" إذا (٢) لُحتُ ظامئاً ... أمانىَّ لم تُهزَلْ لِرىَّ ذَلُوبُها (٣)

وأطلبُ أقصَى وِدّها أن أنالَهُ ... غلاباً، وقد أعيى الرجالَ غَلوبُها

بمنعطفِ الجزعَين لمياءُ أودَعَتْ ... "بمدينَ" رُهباناً صَبَتْ وصليبُها

إذا نهض الحاراتُ أبطأَ (٤) دعصُها ... بنهضتِها، حتى يخفَّ قَضيبُها

تَبسَّمُ عن بيضٍ صوادعَ فى الدجى ... رِقاقِ ثناياها، عِذابٍ غُروبُها

إذا عادتِ المسواكَ كان تحيّةً (٥) ... كأنّ الذى مسّ المساويكَ طِيبُها

وكم دون "هندٍ" رُضتُ من ظَهرِ ليلةٍ ... أشدَّ من الأخطارِ فيها ركوبُها

فنادمتُها والخوفَ، تُروِى عِظامَها الـ ... ـمدامُ، ويَروَى بالبكاء شَريبُها

---

(١) الثايا جمع مثبة وهى الراكبة . (٢) انحتّ : عطشت . (٣) ذلوب : الدلو .

(٤) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة . (٥) يشير الشاعر هنا الى عادة من عادات العرب فى أعيادهم وهى أنهم كانوا اذا حيّوا يقدمون الريحان تحيّة وكان ذلك فى يوم من أيامهم اسمه "يوم السباسب" وفيه يقول النابغة :

رقاق النعال طيّب حجراتهم ... يحيّون بالريحان يوم السباسب

فيكون معنى بيت مهيار : أنها اذا أمسكت فمها يكون ريحانة يحيّى بها لما له من نكهتها .

إذا شربتْ كأسا سَقَتْنى بمثلها ... من الدمع ، حتى غاض دمعى وكُوبُها (١)

حَمَى اللهُ بالوادى وجوها كواسيا ... إذا أوجهٌ لم يُكْسَ حُسْنا سَلِيبُها

بَوادىَ وَدَّ الحاضرون لو آنها ... مَواقعُ ما أُلقتْ عليه طُنوبُها

إذا وصَفَ الحُسْنَ البياضُ تطلّعتْ ... سَواهِمُ (٢) يُفْدَى بالبياض شُحوبُها

ولله نفسٌ ، مِن نُهاها عذولُها ... ومِن صونِها - يومَ العُذَيْبِ - رقيبُها

لكلِّ محبٍّ يومَ يظفرُ رِيبةٌ ، ... فَسَلْ خَلَواتى : هل رأت ما يريبُها ؟

إذا اختلطت لذّاتُ حُبٍّ بعارِه ... فأنعَمُها عندى الذى لا أُصيبُها

وساء الغوانى اليومَ إخلاقُ لِمَّتى (٣) ... فهل كان مما سَرَّهنّ قشيبُها ؟

سواءٌ عليها كَثُّها (٤) ونَسيلُها (٥) ... وناصلُها (٦) من عِفَّتى وخضيبُها

وتعجَبُ أن حُصِّتْ (٧) قوادمُ مَفرِقى (٨) ... وأكثرُ أفعالِ الزمانِ عجيبُها !

ومن لم تغيّره الليالى بعدَه ... طِوالَ سِنِيها غَيَّرتْه خُطوبُها

إذا سُلَّ سيفُ الدهرِ والمرءُ حاسر (٩) ... فأهون ما يلقى الرءوسَ مَشيبُها (١٠)

يعدِّد أقوامٌ ذُنوبَ زمانهم ... فمن لى بأيّامٍ تُعَدُّ ذُنوبُها

يقولون : دارِ الناسَ تَرْطُبْ أكفُّهم ... ومَنْ ذا يدارِى صخرةً ويُذيبُها ؟

وما أطمعتْنى أوجهٌ بابتسامها ... فيؤْيِسَنى مما لديها قُطوبُها

وفى الأرض أورافُ الغنى لو جَدَبتُها ... لَرَفَّ على أيدى العوالِ وطيبُها

إذا إبِلى أمستْ تُماطِلُ رَعْيَها ... فهل يَنفعَنّى من بلادٍ خَصيبُها ؟

---

(١) الكوبُ : كوز لا عروة له . (٢) سواهم : متغيرات . (٣) اللمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . (٤) الكث : كثرة شعر اللحية . (٥) النسيل : ما يسقط من الشعر وارِيش . (٦) الناصل : الخارج من الخضاب . (٧) فى الأصل "حصّت" وهو تحريف ، وحُصَّتْ من قولهم : رجلٌ أحصّ أى قليل شعر الرأس . (٨) المفرق : وسط الرأس وهو الذى يفرق فيه الشعر . (٩) الحاسر : من لا مغفر له ولا درع أو لا جُنَّة له . (١٠) فى الأصل "تلق" .

عَذيرَى من باغٍ يودّ لنفسه ... نزاهةَ أخلاقى، ويُمسى يَعيبُها
إذا قَصَّرتْ عنّى خُطاه أدَبَّ لى ... عقاربَ كيدٍ غيرُ جِلْدى نسيبُها
ومِن أَمَلى فى سيّد الوزراء لى ... مطاعمُ يُغْنَى عن سواها كَسوبُها
إذا ما حَمَى مؤيَّدُ المُلْكِ حوزةً ... من الضَّمِّ لم يقدِرْ عليها طَلوبُها
علىَّ ضَوافٍ من سوالفِ طَوْلِهِ ... يجرِّرُ أذيالَ السحاب سَحوبُها (١)
وعَذراءَ عندى من نداهُ وثيِّبٍ ... إذا جُلِيَتْ زانَ العُقودَ تَريبُها (٢)
عوارفُ تأتى هذه إثْرَ هذه ... كما رافدَتْ أعلَى القَناةِ كُعوبُها
إذا عُدَدَ المجدُ انبرَيْنَ فوائتا ... عُقودَ البنانِ، أن يَعُدَّ حسيبُها
حلفتُ بمُستَنِّ البطاحِ وما حَوَتْ ... أسابيعُها (٣) من مَنْسَكٍ وحَصيبُها
وبالبُدْنِ (٤) مُهداةً، تُقادُ رقابُها ... مُوَقَّفةً (٥)، أو واجباتٍ (٦) جُنوبُها
لقام الى الدنيا، فقام بأمرها ... — على فترة — جَلْدُ الحصا وصليبُها
وغَيْرانُ لا يُرضيه إصلاحُ جسمه ... بدارٍ إذا كان الفسادُ يشوبُها
وقَاها من الأطماع حتى لو آنه ... جرى الدَّمُ فوق الأرض ما شَمَّ ذيبُها
ومدّ عليها حامياً يدَ مُشْبِلٍ (٧) ... له عصبةٌ بعدَ النذير وُثوبُها
يَدٌ كلُّ ريحٍ تمترى ماءَ مُزْنِها ... فما ضرّها ألّا تهُبَّ جَنوبُها
أرى شِبهَهُ الأيّامَ عادتْ بصيرةً ... ومُذنِبَها قد جاءَ وهو مُنيبُها
وذلّتْ فأعطاها يَدَ الصفح ماجدٌ ... إذا سِيلَ (٨) تَرْكُ الذُّحولِ (٩) وَهُوبُها

(١) فى الأصل "شُحُوبها" وهو تحريف . (٢) يريد بالتريب : الترائب وهى عظام الصدر .
(٣) الأسابيع : يريد أسابيع أشهر الحج . (٤) البدن جمع بَدَنَةٍ وهى من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تُهدَى الى مكة . (٥) فى الأصل : "موفقة" وهو تحريف . (٦) واجبات : ساقطات ، وفى القرآن الكريم : (فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا) . (٧) فى الاصل : "مسبل" وهو تحريف ، والمشبل : ذو الأشبال وهى أجراء الأسد . (٨) سيل : سُئِلَ . (٩) الذحول جمع ذَحْل وهو الثأر أو العداوة والحقد .

لكَ اللهُ راعى دولةٍ ربعَ سرحُها (١) وراح أمام الطاردين غريبُها

طوتْ حُسنَها والماءُ تحت شفاهها غرانًا ومرادى الأرض منها عشيبُها

إذا ما تراغت (٢) تقتضى نصرَ ربِّها فليس سوى أصدائها ما يجيبُها

وقد غلَب الطالين عرُّ (٣) جلودها وفاتت أكفُّ الملحمين (٤) نُقوبُها

لها كلَّ يومٍ ناشدٌ غيرَ واحدٍ تقفّى المنى آثارَها فيخيبُها

ومُطّلعٌ (٥) يفلى طريقَ خلاصها فيعمى عليه سهلُها وحزيبُها (٦)

نفضتَ وفاضَ الرأى حتى انتقدتها (٧) وما كلُّ آراءِ الرجالِ مُصيبُها

محمّلةً من ثِقلِ منّكَ أوسُقًا يئوء بها مركوبُها وجنيبُها

فعطفًا عليها الآنَ تصفُقُ حياضُها وتُثقِلُ مراعيها وتدمَلُ ندوبُها

فما رأمتْ أبواءها (٨) عندَ مالكٍ سواكَ ولا حنّتْ لغيرك نيبُها (٩)

تسربلْ بأثوابِ الوزارة إنها لك انتُصِحتْ (١٠) أردانُها وجيوبُها

وقد طالما منّيتَها الوصلَ مُعرِضًا وباعدتَها من حيث أنتَ قريبُها

ومَن يكُ مولاها الغريبَ وجارَها فأنت أخوها دِنيّةً (١١) ونسيبُها

بلطفِكَ فى التدبيرِ شابَ غلامُها على السيرة المُثلَى وشَبَّ رَبيبُها

وقد ضامها قبلُ الولاةُ وقصّرتْ قبائلُها عن نصرِها وشُعوبُها

فداكَ — وقد كانوا فداءكَ — منهمُ جبانُ يدِ التدبيرِ فينا غريبُها

---

(١) الغريب : من الإبل والشاء التى تغرب عن أهلها فى المرعى ، وفى الأصل : "غريبها" .

(٢) تراغت : صوّتت وضجّت . (٣) العرّ : الجرب . (٤) نقوب جمع نُقْب وهو فرحة تخرج بالجنب . (٥) يفلى : يتدبّر . (٦) الحزيب : الأمر الشديد ، وفى الأصل "وحزوبها" .

(٧) فى الأصل "انقدتها" وهو تحريف . (٨) أبواء جمع بَوْ وهو جلد الحوار يُحشى تبنا ويقرّب من أمّ الفصيل فترأمه وتعطف عليه فتدرّ . (٩) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . (١٠) انتُصحتْ : خِيطَتْ . (١١) الدنية : يقال : هو ابن عمى دنية بمعنى هو ابن عمى لحًّا أى لاصق النسب .

رمَى بك فى صدر الأمور ولم يخف ... فُلولَ نيوبِ الليثِ مَن يستنيبُها
حَملتَ له الأثقالَ والأرضُ تحتَه ... وراعيتَه لما عَلَتْه جُنوبُها (١)
وآخرُ أرخَى للنعيم عِنانَهُ ... أخو الهزلِ مِمْراحُ العشايا لعُوبُها

* * *

تزخرفَتِ الدنيا له فصَبَا لها ... مُقارَضةً يَخشَى غدًا ما ينوبُها
وكان فتى أيامِهِ وابنَ لينِها ... وأنت أبوها المتَّقَى ومَهيبُها
وقاسٍ كأنَّ الجمرَ فلذةُ كبدِه ... يَرَى بالدماءِ نَحْلَةً يستذيبُها (٢)
تَخُوفُ نواحى الخُلْقِ، عُجْمٌ طباعُهُ ... إذا عوجلت، مُرُّ اللحاظِ مَريبُها
إذا هَمَّ فى أمرٍ بعاجلِ فتكةٍ ... على غِرّةٍ (٣) لم يلتفِتْ ما عَقيبُها

* * *

وذو لُوثةٍ (٤)، مَنَّاهُ سلطانُ رأيِه ... مُنًى غَرَّهُ مخداجُها (٥) وكَذوبُها
ولم يك ذا خيرٍ فشاورَ شرَّهُ ... وما الشرُّ إلا أرضُ تيهٍ يجوبُها (٦)
يواثب من ظَهْرِ الوزارة رَيِّضًا ... زلوقًا (٧) وقد أعيَا الرجالَ رُكوبُها
ومدّ بكفِّ العنفِ فَضلَ عِنانِها ... فعادتْ له أفعَى حِدادًا نُيوبُها
رَمَى الناسَ عن قوسٍ وأعجبُ مَن رمَى ... يدٌ أرسلتْ سهمًا فعادَ يُصيبُها
تَوقَّ خُطًا لم تدرِ أين عِثارُها ... فكم قَدَمٍ تسعَى الى ما يَعيبُها
ولا تحسَبَنْ كلَّ السحابِ مَطيرةً ... فخاصبُها من حيث يُرجَى صَيِّبُها

---

(١) فى الأصل "عليه" . (٢) يستذيبها : يطلب ذوبها وهو العسل ، وفى الأصل "يستديبها" . (٣) الغرر : الخطر . (٤) اللُّوثة : الخُرْق . (٥) المخداج : الصَّيفة قلّ مطرها . (٦) يقال : ناقة رَيِّض : أول ما ريضت وهى صعبة بعدُ . (٧) الزلوق : الناقة السريعة ، وفى الأصل : "زليقا" ومعناها : الولد السقط للناقة اذا أسقطت وهذا لا يتفق ومعنى البيت .

وكم أَصْرَمتْ[1] تحت العصائبِ لِقحةً[2] ودرَّتْ لغـير العاصبين[3] حُلوبُهـا
أَبَى اللهُ أن يُشـقِى بك اللهُ أمَّةً أردتَ بهـا سُـقْما وأنت طبيبُهـا

* * *

تَطأطأْ لِمَنْ لو قمتَ نالك جالسًـا فمـا كلُّ أولادِ الظنون نجيبُهـا[4]
فقـد دانت الدنيـا لربِّ محاسنٍ محاسنُ قومٍ آخرين عُيوبُهـا
فيا ناظمًا عِقـدَ الكلام[5] تَمـلَّه ويا ناشر النعماءِ حيَّاكَ طِيبُهـا
إذا الأنفس اختُصَّتْ بحبِّ فضيلةٍ سموتَ بنفسٍ كلُّ فضلٍ حبيبُهـا
توافَق فيك الناسُ حُبًّا وأَمطرتْ بشكرك سُحبُ القولِ حتى خَلوبُها
ملكتَ مكانَ الودّ من كلّ مهجةٍ كأنك لُطفًا فى النفوس قلوبُهـا
إذا الشمس لم تطلُعْ علينا، وأمرُنا بكفّك معقودٌ، فدامَ مَغيبُهـا
أنا العبـدُ أعطتـك الكرامةُ رِقَّهُ وجاءت به عفوا اليك ضُروبُهـا
رفعتَ بأوصـافى طريفًا وتالدًا كواكبَ لى عمَّ البـلادَ ثُقُوبُهـا[6]
وميّزتنى حتَّى ملكتُ بوَحْـدَتى نواصىَ هذا القولِ يضفو سبيبُهـا[7]
وكم أملٍ أسـلفتُ نفسى ودعوةٍ قنِطتُ لهـا، واللهُ فيك مجيبُهـا
بلغتُ الأمانى فيك، فابلغ بِىَ التى تُنَفِّسُ نَفْسًا، ملءُ صدرى كُروبُها
وللدهرِ فى حالِى جُروحٌ وإنه بلحظك إن لاحظتَ يُوسَى رغيبُها[8]
ومهما تُعِرْ من نِعمةٍ فجزاؤها على الله، ثُمَّ الشـعرُ عنى يُثيبُهـا
بكلّ شَرودٍ يَقطعُ الريحَ شَوطُها ويَسرى أمامَ الغاسِقات دُبوبُها
تَزِمُّ[9] لِىَ الأصـواتُ يومَ بلاغِها إذا ما علا أعوادَ شِعرٍ خطيبُهـا

(١) أصرمت: انقطع لبنها. (٢) اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. (٣) العاصب: الذى يشدّ بالعصابة فخذى الناقة لتدرّ. (٤) فى الأصل: "يخيبها". (٥) كذا بالأصل وفى النسخة المطبوعة "الكمال". (٦) ثقوبها: ضوءها. (٧) السبيب: شعر الناصية. (٨) رغيبها

يروقُكَ منها جَزْلُها وحَميسُها ... إذا راقَ من أبياتِ أُخرَى نسيبُها
ترى النامسَ خَلْفى يلقُطونَ(١) بَديهَها ... ويُعجِبُهم من غيرِ كدٍّ غُصُوبُها
جواهرُ، لى تصديفُها من بحورها ... صِحاحًا، وللعادى المُغيرِ ثُقُوبُها
يَمُرُّ بها لا بائعًا يستحلُّها ... بِمِلْكٍ ولا مستوهبًا يستطيبُها
بَقِيتَ لها مستخدِمًا حِبَراتِها ... ومنتقِدًا ما حُرُّها وجَليبُها
موسَّعةً أيّامُ مُلكِكَ، مُعوِزًا ... على الحادثاتِ أن يَضيقَ رَحيبُها
وأعداكَ من شمسِ النهارِ خُلُوُّها ... وإشراقُها، لكن عَداكَ غُروبُها

* * *

وقال يمدح الوزير تاجَ المُلْك أبا غالب الحسن بن منصور ويهنّئه بالوزارة، وأنفذها اليه وهو بواسط، بعد ظَفره بأبى محمد بن سَهْلانَ، وعرَّض بذكر الحرب التى جرت بينهما، وحصولِه فى رِبْقته، وذلك فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

قضى دَينَ "سُعدَى" طيفُها المتأوِّبُ(٢) ... وتَوَّل إلا ما أبَى المتحوِّبُ(٣)
سَرَى فأراناها على عهد ساعةٍ ... ومن دونها عَرضُ "الغُوَيرِ" و"قَعْقَبُ"(٤)
فمثلُها لا عِطْفُها متشمِّسٌ ... ولا مسُّها تحت الكرى متصعِّبُ
تحيِّى نَشاوَى من سُرى الليل ألصقوا ... جُنوبا بجِلدِ الأرضِ ما تتقلَّبُ
إذا أنِسوا بالليل جاذَبَ هامَهُم ... حوافرُ قَطْعِ الليل، والنومُ أطيبُ
وفى التُّرب مما استصحبَ الطيفُ نَعْمَةٌ(٥) ... يرواح قلبى نَشْرُها(٦) المتغرِّبُ
فعرِّفنى(٧) بين الركاب كأنما ... حقيبةُ رَحلى باقِىَ الليلِ مَسْحَبُ

(١) فى الأصل: يطلقون. (٢) المتأوِّب: الطارق أوّل الليل. (٣) المتحوّب: المتعبد الذى يلقى الحوب عن نفسه. (٤) الغوير كزُبير، وقَعْقَب كسَكّر: اسما موضعين. (٥) نعمة: نَفْحة. (٦) فى الأصل "بشرها" وهو تحريف. (٧) فعرّفنى: فطيبنى بعَرْفِه.

ألا ربما أعطتك صادقةَ المُنَى ... مصادقةُ الأحلامِ من حيثُ تكذبُ

(٢٢) ويومٍ كظلِّ السيفِ طال قصيرُهُ ... على حاجةٍ من جانبِ "الرَّمْلِ" تُطلَبُ

بعثتُ لها الوجناءَ (١) تَقفو طريقَها ... أمامَ المطايا تستقيمُ وتنكُبُ

فمالت على حكمِ الصَّبا "لمحجَّرٍ" (٢) ... وللسيرِ في أُخرى مَظَنٌّ ومَحْسَبُ

أعِدْ نظرًا وآستانِ يا طرفُ ربَّما ... تكونُ التي تهوى التي تتجنَّبُ

فما كلُّ دارٍ أقفرتْ "دارةُ الحِمَى" ... ولا كلّ بيضاءِ الترائبِ "زينبُ"

عجبتُ لقلبي كيف يستقبلُ الهوى ... ويرجو شبابَ الحيّ والرأسُ أشيبُ

تَضُمُّ حِبالَ الوصلِ من "أمِّ سالمٍ" ... وحبلُكَ بعدَ الأربعينَ (٣) مُقضَّبُ

وليس لسوداءِ اللحاظِ ـ ولو دنا ... بها سببٌ ـ في أبيضِ الرأسِ مَطْرَبُ

ولائمةٍ في الحظِّ تحسَبُ أنّه ... بفضلِ آحتيالِ المرءِ والسعيِ يُجْلَبُ

رأت شَعَثًا غطّى عليه تَصَوُّنِي ... وعيشًا بغيضًا وهو عندي محبَّبُ

وقد كنتُ ذا مالٍ مع الليلِ سارحٍ ... عليّ، لو آنّ المالَ بالفضلِ يُكسَبُ

ولكنه بالعِرضِ يُشرَى خيارُه ... ويَنمي على قَدرِ السؤالِ ويَخصِبُ

وما ماءُ وجهي لي إذا ما تركتُهُ ... يُراقُ على ذلِّ الطِّلابِ ويَنضُبُ

وإنكِ لا تدرين، واليومُ حاضرٌ ... بحالِ آختلالي، ما غدًا لي مُغَيَّبُ

لعلّ بعيدًا ما طَلَتْ دونه المُنَى ... سيحكُمُ "تاجُ المُلْكِ" فيه فيقرُبُ

فما فوقه مَرمًى لظنٍّ موسَّعٍ ... ولا عنه للحقّ المضيَّعِ مَذْهَبُ

وإن فاتني من جودِهِ وآصطفائِهِ ... الى اليومِ ما تُسْنِي (٤) يداه ويوهَبُ

وأيبَسَ ربعي وحدَه من سَحابةٍ ... تبيتُ لمثلي من عَطاياه تَسْكُبُ

فرِجْلَى كانت دون ذاك قصيرةً ... وحطّي فيما جازني (٥) منه مُذْنِبُ

---

(١) الوجناء: الناقة المسرعة . (٢) محجَّر: كمعظَّم ومُحَدَّث اسم لجملة مواضع . (٣) المقضَّب: المقطَع . (٤) تسني: ترفع . (٥) في الأصل "حازني" .

ولا لومَ أن لم يأتِ البحرُ، إنما ... على قدر ما أسعَى الى البحرِ أشربُ

حَمَى بَيْضةَ الإسلامِ ليثٌ تناذرتْ ... ذئابُ الأعادي الطُّلْسُ[1] عما يُذَبْذَبُ[2]

وزانت جبينَ المُلكِ دُرَّةُ تاجِهِ ... فما ضرَّه أنَّ العمائم يُسْلَبُ

وَفَى بالمعالى مستقلًّا بحملها ... متينٌ إذا خارت قُوَى العزمِ صُلَّبُ

تريه خَفِيَّاتِ الشُّواكلِ فكرةٌ ... بصيرٌ بها من خَطْفةِ النجم أثقبُ

إذا استقبل الأمرَ البطيءَ برأيه ... تبيَّنَ من أُولاهُ ما يَتعقَّبُ

ومُزلِقةِ المتنين تَمنعُ سرجَها ... وتُسأَلُ قُوسُ[3] الجُمِّ: من أين تُصحَبُ

أَبَتْ أن يُطيف الرائضون بجنبها ... فقوَّدتها مملوكةَ الظَّهرِ تُركَبُ

ويومٍ بلون المشرفيَّةِ أبيضٍ ... ولكنه مما يُفجِّرُ أصهبُ[4]

إذا أسفرتْ ساعاتُهُ تحت نَقْعِه ... عن الموتِ ظلَّت شمسُه تَتنقَّبُ

صبرتَ له نَفْسًا حبيبًا بقاؤها ... الى المجدِ حتى جئتَ بالنصرِ يُجنَبُ

كواسطَ، والأنبارُ أمسِ كواسطٍ ... ومن إيِّما يومَيْكَ لا أتعجَّبُ

وكم دولةٍ شاختْ وأنتَ لها أخٌ ... وأُخرى تُربِّيها وأنتَ لها أبُ

ينامُ عزيزا كهلُها وغلامُها ... وأنت عليها المُشْبِلُ المتحدِّبُ

أَرَى الوزراءَ الدارجين تطلَّبوا ... على فضلهم ما نلتَهُ فتخيَّبوا

تباطَوْا عن الأمرِ الذى قمت آخذا ... بأعجازه واستبعدوا ما تقرَّبُ

فلو لحقتْ أيامُهم بك خلتَهم ... بهَدْيِك ساروا أو عليك تأدَّبوا

نَهيتُ الذى جاراك راكبَ بَغيِه ... الى حَيْنِه، والبغيُ للحَيْنِ مَركَبُ

وقلتُ: تفلَّلْ[5]، إنما أنت حابِلٌ[6] ... على جنبك الواهى تَحُشُّ وتَحطُبُ

---

(١) الطلس جمع أطلس وهو الأسعط من الذئاب. (٢) يذبذب: يدافع. (٣) قوس جمع أقوس وهو المحنى. (٤) أصهب: أحمر. (٥) تفلَّل: انهزم. (٦) الحابل: الذى معه حبله.

دع الرأس وآقنع بالوسيطة ناجيًا ... بنفسك، إن الرأس بالتاج أنسبُ
وإن ولي الأمر دونك ناهض الـ ... ـبصيرة طبٌّ[1] بالخطوب مدرَّبُ
وأهيبُ فيما من قُطوبك بِشْرُهُ ... وما كلّ وجهٍ كالح يُتهيَّبُ
بنفسك سُدْ، إن الأسامي[2] مُعارةٌ ... وبالنفس فاخرْ لا بمن فتَ تُنْسَبُ
تمنّوكَ "تاجَ الملكِ" أن يتعلّقوا ... غُبارَك، وابنُ الريح في السَّبق أنجبُ
فظنّوا تكاليفَ الوزارة سهلةً ... ومنكبُ "رَضْوى"[3] في العريكة يَصعبُ
فلا زالَ تالي النصرِ حيث طلبتَه ... بجَدِّك يعلو أو بسيفك يَضربُ
تُمَدُّ لك الدنيا مَطاها[4] ذليلةً ... فتركبُ منها ما تشاءُ وتُركبُ
الى أن ترى ظهرَ البسيطةِ قبضةً ... بكفيك يَلْقَ مَشرقًا منه مَغربُ (٢٣)
وقُيِّضَ لي من حُسنِ رأيك ساعةٌ ... يُساعف فيها حظّيَ المتجنِّبُ
فتُمطِرني من عدْلِ جودك ديمةٌ ... تَبُلُّ ثرى حالي بما أنا مُجدِبُ
لعلّ خَفِيًّا كامنًا من مَحاسني ... تبوحُ به نُعماك عنّي وتُعرِبُ
ومَن لي لو أنّي على العجز ماثلٌ ... بناديك يُصغي المُفحَمون وأخطُبُ؟
فتشهد أنّي ما عدمتُ فضيلةً ... الى مثلكم مثلي بها يتقرَّبُ
وتعلم منّي كيف أمدحُ ناظمًا ... فإنك تدري ناثرًا كيف أكتُبُ

* * *

وقال وقد تُوُفِّيَ أبو الحسين أحمد بن عبد الله، وكان من معادن الفتوة الغريبة، ومظانّ الكرم العجيبة، وجامعًا للدين والمروءة والفضل والرياسة، واتفق قبل موته بسنين قلائل آتلاجُ مودّةٍ بينه وبينه سبقَ خبرُها، بدأ أبو الحسين بخطبتها، وقصدَهُ

(١) الطبّ: البصير بالأمر والحاذق الماهر. (٢) الأسامي: الأسماء. (٣) رضوى: اسم جبل. (٤) المطا: الظهر.

راغبا فيها، وتبرّع بضروب من التفقّد وأصناف من الرّعاية، تبعُدُ على كثيرٍ من أبناء الزمانِ الفطنةُ لها، فعمل هذه القصيدةَ يرثيه، وتُوُفّيَ بواسطٍ فى شوّال سنة ثلاث عشرة وأربعمائة

نعم! هذه يا دهرُ أمُّ المصائبِ ... فلا تُوعِدَنّى بعدَها بالنوائبِ

هتكتَ بها سترَ التجاسُلِ بيننا ... ولم تلتفت فينا لِبُقْيَا(١) المُراقِبِ

وما زلت ترمى صفحتى بين عاصدٍ(٢) ... ومنحرفٍ حتى رَمَيْتَ بصائبِ

فرأيكَ فى قَوْدى، فقد ذلّ مِسْحَلى(٣) ... وشأنَكَ فى غمزى، فقد لان جانبى

ولا تحسَبَنّى باسطا يدَ دافعٍ ... ولا فاتحا من بعدها فَمَ عاتبِ

ولا مُسبِغا فَضفاضةً(٤) أبتغى بها ... شَباً(٥) طاعنٍ من حادثاتك ضاربِ

لها كنتُ أستبقى الحياةَ وأحتمى ... وأجمعُ بُرْدى من أكُفِّ الجوانبِ

وَلَجتَ رُواقَ العزّ حتى اقتحمتَهُ ... بلا وازعٍ عنه ولا ردّ حاجبِ

وأنشبتَ فى صمّاءَ عهدى بمتنها ... صفيقَ المَطَا زَلِيقةِ بالمخالبِ

سددتَ طريقَ الفضلِ من كلّ وجهةٍ ... وملتَ على العلياء من كلّ جانبِ

فلا سَنَنٌ(٦) إلا محجّةُ تائهٍ ... ولا أملٌ إلا مطيَّةُ خائبِ

أبعدَ ابنِ "عبدِ اللهِ" أحظَى براجعٍ ... من العيشِ، أو آسَى على إثْرِ ذاهبِ؟

وأُرسِلُ ضَرْبى رائدا فى خميلةٍ ... من الناسِ أبغى نُجعةً لمَطالبى؟

وأقدحُ زَندا واريًا من هَوَى أخٍ ... وأكشفُ عن ودٍّ خبيئةَ صاحبِ؟

وأدفعُ فى صدرِ الليالى بمثلِهِ ... فترجعَ عنّى دامياتِ المناكبِ؟

---

(١) فى الأصل: "كُبْقَيا". (٢) العاصد: السهم الملتوى. (٣) المسحل كمنبر: اللجام.
(٤) الفضفاضة: الدرع. (٥) شبا جمع شباة وهى حدّ كلّ شىء. (٦) السنن: الطريق.

أَبَى ذاكَ قلبٌ عنه غيرُ مُغالِطٍ ... رَحيمٌ، وحِلمٌ بعدَه غيرُ عازبِ (١)

وأنَّ خُروقَ المجدِ ليستْ لراقعٍ ... سواءً، وصدعَ الجودِ ليس لشاعبِ

طَوَى الموتُ منه بُردةً فى دُروحِها ... بقيَّةُ أيامِ الكرامِ الأطايبِ

مُحَبَّرةً، سَدَّى (٢) وألحمَ وَشْيَها ... صَناعٌ بحَوْكِ المكرماتِ الرغائبِ

كما اللهُ عطفَ الدهرِ حِينًا بحالِها ... فلما طغى قِيضَتْ لها يدُ سالبِ

لئن دَرَسَتْ منها الخُطوطُ (٣) فإنه ... لَيَبْقَى طويلا عَرفُها فى المَساحبِ

وجوهرةً فى الناسِ كانت يتيمةً ... وهل من أخٍ للبدرِ بين الكواكبِ

أَبَى الحسنُ أن يُحْبَى بها عِقدُ ناظِمٍ ... فَسُلكَ: أو يسمو لها تاجُ عاصبِ

فُدِّيَتْ اليها باليدى يدُ كاسرٍ ... وكان يقيها المجدُ من يدِ ناقبِ

سل الموتَ: هل أودعتُه من ضغينةٍ ... تَنَقَّمَ منها فهو بالوِتْرِ (٤) طالبى؟

له كلَّ يومٍ حولَ سَرحَى غارةٌ ... يشرِّد فيها بالصفايا النجائبِ

سُلافةُ إخوانى وصفوةُ إخوتى ... ونُخبةُ أحبابى وجُلُّ قرائبى

فليتَ عفا عن "أحمدٍ" فادياً له ... بمُصرمةٍ (٥) مما أقنيتُ وحالبِ

ألآن لما اشتدَّ متنِى بودِّه ... ورُدِّتْ مِلاءً من نَداه حَقائبى!

وجَمَّتْ لآمالى العطاشِ حياضُه ... وكانت نُحَيَّ (٦) عن نِطافِ المَشاربِ!

فُجِعتُ به غَضَّ الهوى حاضرَ الحَدَى ... جديدَ قميصِ الودِّ سَهْلَ المَجاذبِ

كأنى على العهدِ القريبِ اعتلقتُه ... بطُولِ اختبارى أو قديمِ تجاربى

سَدَدتُ فَمَ الساعى بكبْشٍ نطيحةٍ ... ولَوَّيتُ وجهى عنه لَىَّ مُغاضبِ

---

(١) الرحيم: الفان. (٢) سَدَّى وألحم أى أقام سَداها ولُحْمَتَها. (٣) فى الأصل: "الخطوط" وهو تحريف ويريد بها خطوط البردة التى كسا الله بها عطف الدهر. (٤) الوِتر: الثأر أو الحقد. (٥) المصرمة: الناقة التى كُوِىَ ضرعها فانقطع لبنها. (٦) نطاف جمع نُطفة وهى الماء الصافى أو البقية منه.

وقلتُ : تبيَّنْ ما تقولُ لعلَّها ... تكون كتلك الطائرات الكواذب !

فكم عالَمٍ من أخباره ثم أقشعتْ ... سحابتُه عن صانع الحال ثائب

فلمّا بدا لي الشرُّ في كرِّ قوله ... ربطتُ نوازي أضلعي بالرواجب (١)

ومِتُّ الى ظلٍّ من الصبر قالص ... قصيرٍ ، وظنٌّ بالتجمُّل كاذب

ونفسٍ شَعاعٍ (٢) قد أخلَّ وقارُها ... بعادته في النازلات الصعائب

وعينٍ هفَا الحزنُ الغريبُ بجفنها ... فطاحَ ضياعا في الدموع الغرائب

أُسائلُ عنه المجدَ وهو معطَّلٌ ... سؤالَ الأجبِّ (٣) عن سَنامٍ (٤) وغارب (٥)

وأستروحُ الأخبارَ وهي تسوءني ... علائقَ منها في ذيول الجنائب (٦)

فيُفصِحُ لي ما كان عنه مُجَمْجِماً ... ويصدُقُني ما كان عنه مُواربي

فقيدٌ "بميسانَ" (٧) آستوت في افتقاده ... مشارقُ آفاق العُلا بالمغارب

وقيدَ الحياءُ واسماحُ فأُرجِلا ... عَقيرَيْنِ في تُربٍ له مُتراكبِ

شُغِفتُ عن جمرِ الغضا نادِباتُه ... كأنّ فؤادي في حُلوقِ النَّوادبِ

بكتْ أدمعا بيضًا ودمَّتْ جباهَها ... فحسبُها تبكي دمًا بالحواجبِ

هوتْ هَضْبةُ المجدِ التليدِ وعُطِّلتْ ... رسومُ الندى وانقضَّ نجمُ الكواكبِ

ووُرِّدتْ رِكابُ (٨) المُخمسين بظمئها ... تكدّ (٩) الدلاءَ في رَكايا (١٠) نواضبِ (١١)

---

(١) الرواجب جمع راجبة وهي المفاصل التي في الأنامل . (٢) شعاع : مفرقة .

(٣) الأجبّ : مقطوع السنام . (٤) السنام : الحدبة في ظهر البعير . (٥) الغارب : الكاهل .

(٦) الجنائب : جمع جنوب وهي ريح تخالف الشمال . (٧) ميسان : اسم كورة واسعة بين البصرة وواسط . (٨) المخمسين : الذين ترد إبلهم خمسا ، والخمس بكسر الظاء : من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع . (٩) الدلاء جمع دلو وهو معروف . (١٠) الركايا جمع ركيّة وهي حفرة يجتمع فيها الماء . (١١) نواضب : غوائر .

ومَنْ يستبلُ المُستونَ بسيبِه (١) (٢) فيرجعَ خُضْرًا بالسنين الأشاهبِ (٣)؟

ومولًى كشفتَ الضيمَ عنه وقد هوى به الذلُّ في عمياءَ ذاتِ غيـاهبِ

فصارَ لك استشعرَ الضعفَ وانستوتْ (٤) به رجـلُه في واضحٍ متـلاحبِ

وفيمن يُصاغُ الشعرُ بعدَك فاطمًا عقـودَ الثناءِ حاظيًا بالمناقبِ

وأيِّ أخوكَ الجودُ من كفِّ راغبٍ إذا لم تكن قسَّمتَ تلك رغائبي؟

ومن ذا يبي صوتي وينتهُ نُصرتي (٥) جهادًا، ورقّى من رشيحٍ (٦) ملاسبِ؟

يرغمُ أنفَ هبَّ النيامُ وأنني دعوتُكَ وجهَ الصبحِ غيرَ مجاوبِ

وأن لا تُرى مُستعرضًا حاجَ رُفقةٍ ولا سائلًا: من أينَ مقدمُ راكبِ؟

وكنتُ إذا ما الدهرُ شلَّ معاطفي دعوتُكَ فاستنقذتَ منه مَـلاعبي

ذخيرةُ أنسي يومَ يوحشني أخي وبابي إذا سُـدَّتْ عليَّ مذاهبي

وكم من أخٍ برٍّ وإن أنا لم أجِـدْ كأنتَ أخًا في أسرتي والأجانبِ

سَرَى الموتُ من أوطانه في مآلفي (٧) ونقَّبَ من أخلافِه (٨) عن حبائبي

عجبتُ لهذي الأرضِ كيف تلُمُّنا لتصـدَعنا، والأرضُ أمُّ العجائبِ

تطـاردُ عن أرواحِنا برماحِنا ونَطـربُ من أيلمنا للحـرائبِ

ونمسحُ الدنيا بشَبعةِ طـاعمٍ هي السَّقمُ المُرْدي، ونهلةِ شاربِ

أحـلتُ نفسي خالبًا (٩) بخلودها فأينَ أبي الأدنى وأينَ أقاربي؟

ولا كنتُ إلا واحـدا من عشيرةٍ ولا باقيا في الناسِ إلا أبن ذاهبِ

---

(١) المستون: المجدبون. (٢) السيب: العطاء المعروف. (٣) الأشاهب: يقال سنة شهباء، أي لا خضرة فيها ولا مطر. (٤) يريد بقوله متلاحب: واضح وهو من باب التوكيد لقوله "واضح" قبلها. (٥) الوشيج: المشابك القرابة. (٦) الملاسب: القرابات. (٧) الأخلاف جمع خلف وهو البقية من الناس، وفي الأصل "أخلافه". (٨) في الأصل: "حاليا".

فهل أنا أَجْبَى من مَقاوِل "حِمْيَرٍ"(١) وأمنعُ ظَهرا من مُشيِّد "مَأرِبٍ"(٢)؟
وهل أخَذتْ عهدَ "السموءلِ" لى يدٌ من الموت أو عندى حَنيَّةُ "حاجبِ"(٣)؟
أردّ شفارا عن نحورِ صَحابةٍ كأنىَ دَفّاعٌ لها عن ترائبى
ولا عِلمَ لى من أىّ شِقّيَّ مَصرَعى وفى أيّما أرضٍ يُخَطُّ لجانبى
إذا كان سهمُ الموتِ لابدّ واقعا فياليتنى المرمىُّ من قَبلِ صاحبى
و ياليتَ مقبورا "بكوفان" شاهدٌ جوارى، و إن كانت شهادةَ غائبِ
ولَيتَ بِساطَ الأرض بينى و بينه طوتْه على الأعضادِ أيدى الركائبِ
فَعُجْتُ عليه واقفًا فسلّما و إن هُوَ لم يَفقهْ حديثَ المُخاطِبِ (٢٥)
ولَيتَ طريفَ الودّ بينى و بينه ـ و إن طابَ يومًا ـ لم يكن من مَكاسبى
سلامٌ على الأفراح بعدَك إنها ـ و إن عشتُ ـ ليست إربةً من مآربى
إذا دنّس الحزنَ السلوُّ غسلتُه فعاد جديدا بالدموعِ السواكبِ
و إن أحدثَتْ عندى يدُ الدهرِ نعمةً ذكرتُك فيها فاغتدتْ من مَصائبى
أُدارِى عيونَ الشامتين تجلُّدا وأبسِمُ منهم فى الوجوهِ القواطبِ
أُرِيهم بأنى ثابتُ الريش ناهضٌ وتحت جَناحى جانفاتُ المخالبِ
سَقَتْكَ بمعتادِ الدموعِ مُرِشّةٌ(٤) أفاويقُ لم تُخدِج(٥) بلمعةِ خالبِ
يلوث خطافُ البرقِ فى جَنباتِها بهامِ الهضابِ السودِ حُمرَ العصائبِ
لها فوق مَتنِ الأرض ـ وهى رفيقةٌ بما صافحت ـ وَخْدُ القرومِ المصاعب

---

(١) المقاول جمع مِقول وهو الملك من حِميَر. (٢) مارب: يريد "مأرب" كمنزل: موضع باليمن، وقيل اسم قصرها. (٣) يريد حاجب بن زرارة حين وفد على كسرى وأرهنه قوسه ضمانا له بوفاء العرب. (٤) الأداويق: ما آجتمع فى السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة. (٥) لم تخدج أى لم يقلّ مطرها.

تَرَى كلَّ تُربٍ كان يَعتاضُ لِينَـا ... لها ، وغلامًا كلَّ أشمطَ شائبِ (١)
إذا عُمِّمتْ جَلْحاءُ (٢) أرضٍ بوبلها ... غدتْ روضـةً وفراءَ ذات ذوائبِ
وإن كان بحـرٌ فى ضريحك غانيـا ... بجُمَّاتِهِ عن قاطراتِ السـحائبِ

* * *

قال وكتب بها إلى الصّاحبِ أبى القاسِم بنِ عبـدِ الرّحيم رحمهُ الله ، يهنّئه بمقدَمِهِ من واسطٍ ، ويَستبشِرُ به ، ويذكُر خلاصَه من النَّبْوَةِ التى لحقتْه بها ، وذلك فى صفر سنة أربع عشرة وأربعمائة

تزِلُّ الليـالى مرَّةً وتصـيبُ ... ويعـزُبُ حِـلمُ الدهرِ ثمَّ يثوبُ
وتَسـتلقِحُ الآمالُ بَعـدَ حِيالِهـا (٣) ... أوانًا ويَنـأَى الحظُّ ثم يؤوبُ
ولولا قُفولُ الشمس بعـد أُفولِها ... هوتْ مَعَها الأرواحُ حين تغيبُ
تَنَظَّرْ وإن ضاقت بصدرِ رِحابُهُ ... فُروجَ صَـلاحٍ ذَرعُهنّ رحيبُ
فما كلُّ عينٍ خالجَتْـك مريضـةٌ ... وخطفةِ برقٍ خالسَـتْك خَلوبُ
قَضَتْ ظُلُماتُ البُعدِ فيك قَضاءَها ... فُصبحًا (٤) ، فهذا الفجرُ منك قريبُ
بدَتْ أوجُه الأيّام غُرًّا ضواحكا ... وكنَّ وفى آستبشارِهنّ قُطوبُ
وطارحْتنى عُذرَ البرىءِ وربما ... سَـبقنَ وفى أعذارهنّ ذُنوبُ
أرى كَبِدى قد أَثلجتْ فى ضلوعها ... وكانت على جمـرِ الفـراقِ تذوبُ
وراحت إليها بعدَ طُول آلتياحِها ... صَـبًا قَرَّةٌ تَنـدَى لهـا وتطيبُ
سَرَى الفضلُ من مَيسانَ يُشرِقُ بعدما ... أطال دُجَى "الزَّوراءِ" منه غروبُ

(١) يريد بقوله "وغلاما كل أشمط شائب" أن الأرض ترعرعت وآخضرت وعاد اليها لينها بعد يبسها وأن كل شائب عاد غلاما مترعرعا مما حلّ به من الخصب الذى أعاد للأرض لينها وللشائب نضرته بما عاد عليه من ترف العيش ورفاهته . (٢) الجلحاء : الأرض التى لا نبات فيها . (٣) الحيال : عدم

وهبّت رياح الجود تُشرَى بقربِهِ ... لها سالفٌ[1] من نشرِها وجنيبُ
وما خِلتُ أن البدرَ يطلُعُ مُصعِدا ... ولا أنَّ ريحَ المكرماتِ جَنوبُ
تزاحمتِ الأيّامُ قبلَ لقائه ... بجنيٍّ من ذَنب الفراقِ تتوبُ
وتُقسِمُ لى أيمانَ صدقٍ بأنْ غدًا ... تراه، وبعضُ المُقسِمين كذوبُ
وقد زادنى شكرا — لحُسْنِ وفائها ... بما وَعدَتْ — أنَّ الوفاءَ غريبُ
كفَى البينَ، أنى لِنْتُ تحتَ عِراكِهِ ... وخُرتُ وعُودى فى الخطوبِ صليبُ
وقاربتُ من خَطوِى رِضًا بقضائِهِ ... ولى بين أحداثِ الزمانِ وُثوبُ
حَملتُ وُسوقَ البُعدِ فوق أضالعٍ ... من الثِّقْلِ عَضَّاتٌ بها ونُدوبُ
أُحُبُّ حِذارَ الشامتينَ تجلُّدا ... بهنّ وما تحتَ الجِبالِ[2] نجيبُ
فإن تُعقِبِ الأيّامُ حُسْنَى تسوءُها ... فللصبرِ أُخرَى حُلوةٌ وعَقيبُ
سَمَتْ أعينٌ مغضوضةٌ، وتراجعتْ ... الى أُنسِها بعدَ النفورِ قُلوبُ
وعادت تسرّ الرائدين جميلةٌ ... تعاورَها بعدَ "الحسَين" جُدوبُ
فماءُ الندَى عَذبُ اللِّصابِ[3] مُرَقْرَقٌ ... وغصنُ المُنَى وَحْفُ[4] النباتِ رطيبُ
سيُلقِى عصاهُ وادعًا كلُّ خابطٍ ... على الرزقِ يطوِى أرضَه ويجوبُ
وهل ينفُضُ الجوَّ العريضَ لنُجعةٍ ... أريبٌ، وواديه أعمُّ خصيبُ؟
أقولُ لآمالى وهنّ رواقدٌ : ... خذى أُهبةَ اليقظانِ، حانَ هُبوبُ
إذا الصاحبُ استقبلتِ غرّةَ وجهِهِ ... بدا قمرٌ وافٍ وماسَ قضيبُ
ولم تَفتحِى الأجفانَ عن طَرْفِ لافتٍ ... الى نائباتِ الدهرِ حين تَنوبُ
سلامٌ! وحيّا اللهُ والمجدُ سُنّةً ... لها فى دُجُنّاتِ الظلامِ دُؤوبُ

(١) السالف : السابق . (٢) الجبال : الكثل . (٣) اللصاب جمع لصب وهو مضيق الوادى . (٤) الوحف : الكثير الملتف .

وزادَت عَلاءً فى الزمان وبَسْطَةً ... يَدٌ تُصْرِمُ الأنواءُ[1] وهى حَـلُوب

لآثارِهـا فى كلِّ شهباءَ[2] روضـةٌ ... وفى كلِّ عَمياءِ المِيـاهِ[3] قليبُ

حمى مجـدَهُ وافى الحمـائل سيفُهُ ... غيورٌ اذا ما المجدُ ضِيمَ غَضوبُ

له كلَّ يومٍ نهضةٌ دون عِرضـهِ ... اذا نام حُبـا للبقاءِ حَسيبُ

قليلةُ أُنسِ الجفنِ بالغُمْضِ عينُـهُ ... وللعـارِ مَسرًى نحـوه وَدبيبُ

إذا سال وادى اللُّؤمِ حَلَّتْ بيوتَهُ ... بأرعنَ[4] لا ترقَى إليـه عُيـوبُ

وقامَ بأمرِ المُلكِ يَحمِيـهِ دائَهُ ... بصـيرٌ بأدواءِ الزمانِ طبيبُ

له مَـدَدٌ من سـيفِهِ ولسانِهِ ... قؤولٌ إذا ضاقَ المجـالُ ضَروبُ

إذا يَبِستْ أقلامُـهُ أو تصامتتْ ... فصارِمُهُ رَطْبُ اللسانِ خَطيبُ

يُرَى كلَّ يومٍ لابسًا دَمَ قارنٍ[5] ... له جَسَـدٌ فـوق التُرابِ سَليبُ

ولم أَرَ مثلَ السيفِ عُريانَ كاسيًا ... ولا أمردَ الخـدَّين وهْو خضيبُ

وقد جرّبوه عاطـلًا ومقـلَّدا ... وقادوه يَعْصِى حبـلَهُ ويُجيبُ

فمـا وَجَدُوا مَعْ طُولِ ما اجتهدوا له ... فتًى عنـه فى جُلِّ ثنوبُ ينوبُ

فعادوا فعـاذوا ناهضين بعـاجزٍ[6] ... حضورُهُـمُ ما أخَّروه مَغيبُ

أمينٌ على ما ضـيَّعوا من حقوقه ... سليمٌ ووِدّ الغـادرين مَشوبُ

من البيضِ إلا أن يُحلِّى وجوهَهُم ... إذا هُجِروا خَلْفَ التُرابِ شُحوبُ

صِباحٌ نجومُ العزِّ فوق جِباههم ... طوالُ غُـرٌّ والنجـومُ تَغيبُ

---

(١) الأنواء جمع نوء وهو المطر . (٢) يريد بالشهباء : السنة المجدبة . (٣) يريد بعمياء المياه : المفازة التى لا ماء فيها . (٤) الأرعن : الجبل . (٥) القارن : الذى معه سيف ونبل أو رمح وجعبة . (٦) العاجز : السابق ، مأخوذ من قولهم : عاجزه فعجزه فهو عاجز بمعنى سابقه فسبقه فهو سابق .

عصائبُ تيجان الملوك سماتُهم ... ويومُهُمُ تحتَ الرِّماح عَصيبُ

إذا حِيزَ بيتُ الفخرِ حَلَّقَ منهُمُ ... عليه شَبابٌ طيِّبونَ وشيبُ

لهم كلُّ مقرورٍ عن الحِلم، ظَنُّهُ ... يقينٌ، وهَافِي[1] عزمتيه لبيبُ

تَغيضُ أكف الواجدين وكفُّهُ ... على العُدْمِ تَهمِي مرّةً وتصوبُ

تكادُ من الإشراق[2] جِلدةُ خدِّهِ ... تَغَصُّ بماءِ البِشر وهْو مَهيبُ

يقيكَ الرَّدى عَمْرٌو[3] يُجاريك فى النَّدى ... فيعقِلُ عِيُّ رُسْغَهُ ولُغُوبُ

إذا قمتَ فى النادى بريئًا من الخنا ... تلفَّتَ من جنبيه وهْو مريبُ

تَتبَّعَ يقفو الخيرَ منك بشرِّه ... خِداعًا، كما قَصَّ المَشَمَّةَ ذِيبُ

تنبَّهَ مشروفًا بغلطةِ دهرِهِ ... وبِنتَ بمجدٍ أنتَ فيهِ نسيبُ

وقد يُنهِضُ الحظُّ الفتى وهْو عاجزٌ ... لحاجاتِهِ حتى يقالَ : نجيبُ

أنا الحافظُ الذوّادُ عنك وبيننا ... وَشائعُ[4] من بُسْطِ الفلا وسُهوبُ[5]

شَهَرْتُ لسانًا فى ودادك، جُرْحُهُ ... — إذا حَزَّ فى جِلد النفاقِ — رَغيبُ

لك الجُمَّةُ[6] الوطفاءُ من ماءِ غَربِهِ ... وعند العِدَا حرٌّ له ولهيبُ

يَسرُّك مكتوبًا وشخصُك نازِحٌ ... ويرضيك مسموعًا وأنتَ قريبُ

وكيف تَرُوْنى قاعدًا عن فريضةٍ ... قيامى بها حقٌّ لكم ووُجوبُ

وفيكم نما غُصنِى وطالت أراكتِى ... وغودرَ عيشى الرثُّ وهو قشيبُ

شَوًى[7] كلُّ سهمٍ طاحَ لى فى سوائكُم ... ولى شُعبةٌ من رأيكم ونصيبُ

ولى بَعْدُ فيكم ذَروةٌ ستنالُها ... يدى، ومُنًى فى قولها ستُصيبُ

---

(١) الهافى : الزالّ . (٢) فى الأصل : "الأشواق" . (٣) الغمر : الجاهل .
(٤) الوشائع جمع وشيعة وهى الطريقة فى البُرد . (٥) سهوب جمع سهب وهو ناحية الفلاة التى لا مسلك فيها . (٦) الوطفاء : السحابة الدائمة السَّح . (٧) الشوى : الأطراف، ويقال شواه فأشواه أى أصاب شواه ولم يصب مقتله ثم استُعمِلَ فى كلّ من أخطأ غرضًا .

متى تذكروا حـقّ أَبِتْ بوفائكم ... وظَهْرُ العـلى العاصى علىّ ركوبُ
طَرِبتُ وقد جاء البشـيرُ بقربكم ... وذوالشوق عندأسم الحبيب طَروبُ
وقمتُ إليـه راشـفًا من ترابِهِ ... ثرًى لك يحـلو رشـفُهُ و يطيبُ
فـلا كانَ يا شمسَ الزمانِ وبَدْرَهُ ... لسعدِك من بعـدِ الطلوعِ مَغيبُ
ولا زلتَ مطلوبًا تفوتُ، ومُدرِكًا ... أواخرَ ما تَبـغى وأنتَ طَلوبُ
كأنك من حَبِّ القلوبِ مصوَّرٌ ... فأنتَ إلى كلِّ النفوسِ حبيبُ

✣

(٢٧) وقال يفتخر

أُعْجِبَتْ بى بين نادى قَومِهـا ... "أُمُّ سعدٍ" فمضَتْ تسألُ بى
سَرَّهـا ما عَلِمتْ من خُلُقى ... فأرادتْ عِلمَهـا ما حَسَبى
لا تخـالى نَسَـبا يخفِضُنى ... أنا مَن يُرضيكِ عنـد النسبِ
قَوْمِىَ استولَوْا على الدهرِ فَتًى ... ومَشَـوْا فوق رءوسِ الحِقَبِ
عمَّموا بالشـمسِ هاماتِهُـمُ ... وبنَـوْا أبياتَهـمْ بالشهُبِ
وأَبِى "كِسرَى" على إيوانِهِ، ... أين فى النـاس أبٌ مثلُ أبى ؟
سَـوْرةُ الملكِ القُـدامَى وعَلَى ... شَرَفِ الإسـلامِ لِى والأدبِ
قد قبَستُ المجدَ من خيرِ أبٍ ... وقبَستُ الدينَ من خـيرِ نبى
وضَمتُ الفخرَ من أطـرافِهِ ... سوددَ الفرسِ ودينَ العـرب

✣

وقال يمدح مؤيَّد الملك سيِّدَ الوزراء أبا علىٍّ، وأنشدها فى المِهرَجان الواقع فى رجب سنة أربع عشرة وأربعمائة

أَجِدَّكَ[1] بعدَ أن ضَمَّ "الكثيبُ"[2] هل الأطلالُ إن سُئلتْ تُجيبُ ؟
وهل عَهدُ "اللوى" "وبَزرودُ"[3] يُطفِى أوامَكَ[4] ؟ إنه عهدٌ قريبُ !
أعِدْ نظراً فلا خنساءَ جارٌ ولا "ذو الأثلِ"[5] منكَ ولا "الجَنوبُ"
إذا وطَنٌ عن الأحبابِ عزّى فلا دارٌ "بنجدٍ" ولا حبيبُ
يمانيةٌ، تلوذُ "بذى رُعينٍ"[6] قبائلُها المنيعةُ والشعوبُ
حمتها أن أزورَ نوًى شَطونٌ[7][8] براكبها، ورامحةٌ شَبوبُ
مُلَمَّمةٌ تضيقُ العينُ عنها إذا شرِقتْ بُحُمَّتِها السُّهوبُ
ومُعجَلةٌ عن الإلجامِ قُبٌّ[9] أعنَّتُها الى الفزعِ السبيبُ
وإنكَ "بالعراقِ" وذكرُ حىٍّ على "صَنعاءَ" "تَحْتُمُ الكذوبُ"
لعلّ البانَ مطلولاً "بنجدٍ" ووجهَ البدرِ عن "هندٍ" يَنوبُ
ألا يا صاحبىَّ تطلّعا لى "أُشَىَّ"[10] "هل" كتسى الأيكُ السليبُ ؟
وهل فى "الشّربِ" من سُقْيا فإنى أرى فى "الشّعبِ" أفئدةً تَلوبُ[11]
أكنكفُ بالحمى نزَواتِ عينى وقد غَصَّتْ بأدمعها الغُروبُ[12]
وأحلُمُ والمطايا يقتضيها دُوَينَ حنينها الحادى الطَّروبُ
فمَنْ يَجهلْ به أو يَطْغَ شوقٌ فشوقى لا أبا لكما لبيبُ
وبيضٍ راعهنّ بياضُ رأسى فكلُّ محبَّبٍ منّى مَعيبُ

(١) أجدّك معناه : أجدًّا منك ، أو أيجِدّ هذا منك . (٢) الكثيب : اسم موضع بالبحرين .
(٣) اللوى وزرود : موضعان . (٤) الأوام : حرّ العطش . (٥) ذو الأثل والجنوب : موضعان . (٦) ذو رعين : ملك من ملوك اليمن . (٧) فى الأصل : "أز" فرجحنا كلمة "أزور" . (٨) الشطون : البعيدة . (٩) القُبّ : جمع قَبّاء وهى الفرس الدقيقة الخصر .
(١٠) أشىّ : اسم واد . (١١) الشّرب والشّعب : موضعان ، وتلوب : تحوم على الماء .
(١٢) الغروب جمع غَرْب وهو مُقدِّم العين ومُؤخّرها .

عَدَدْتَ ـ مذ ٱلتثمتُ به ـ ذُنوبى ... وقبـلَ الشَّيبِ أحْيطتِ الذنوبُ
يُجِـدُّ المـرءُ لِبْسَـتَهُ ويُبْـلِى ... وآخرُ لِبْسَـةِ الرأسِ المَشيبُ
وكنتُ إذا عتبتُ على الليـالى ... وفى وجهى لهـا لونٌ نسيبُ
أطـاعَ شبابُهـا حِفظًـا شَبابى ... فجـاءت من إساءتهـا تُتيبُ
فمـا بالى أرى الأيّامَ تُبْلِى ... عـلىَّ مع المشيبِ وهنّ شِيبُ
عَذيرى من سَحيـلِ(١) الودّ، تحوِى ... حقيبـةَ رحـلِهِ مَرَسٌ(٢) تُحيبُ(٣)
وَفَى لِى وهو مَحْصُوصٌ(٤) وأضحى ... غداةَ ٱرتاش وهـو علىَّ ذِيبُ
ومحسـودٍ علىَّ تضـيقُ عنّى ... خلائقُـهُ وجانبُـهُ رَحيبُ
لَطِيتُ(٥) له فغُـرَّ بلِيـنِ مَسّى ... وربَّ كمينـةٍ ولهـا دبيبُ
تَوَقَّ عِضاضَ مختمـرٍ(٦) أُخيفَتْ ... جوانبُـهُ وفى فيـه نُيـوبُ
فإنّ الصِّلَّ يُحـذَرُ مستميتًا ... وتحتَ قُبوعِـهِ أبدًا وُثوبُ
ولا تُسْـلِمْ ودادَك لى بغَـدرٍ ... فقـد يتسلَّمُ النسبُ القـريبُ
أنلنى بعضَ ما يُرضى فـلو ما ... غضبتُ حَمانِىَ الأنفُ الغَضوبُ
ومَنْ هـذا يردّ عِنانَ طِـرْفِى ... اليك، إن ٱستمرّ بِىَ الرُّكوبُ؟
سـتَرمِى عنـكَ بى إبلى بعيـدا ... وتنتظـرُ الإيابَ فـلا أؤوبُ
وربَّمـا أتاكَ بنشرِ صـيتى ... وواسـعِ حالِىَ النبأُ العجيبُ
أُخـوَّفُ بالخيـانةِ من زمانى ... وقد مَرَنَتْ على القَتَبِ النُّدوبُ
وما وادعتُـهُ منـذ ٱحتربنـا ... على سِلْمٍ، فتوحشَنى الحـروبُ!

(١) السحيل : الخيط غير المفتول ويراد به الضعيف . (٢) المرس : الحبال واحدها مَرَسَةٌ .
(٣) أى تحيب من يتعلق بها . (٤) المحصوص : الذى لا ريش له . (٥) لطيت له : من لَطِئَ بالارض : لصق بها ، كناية عن الخضوع . (٦) المختمر : لابس الخمار .

وكيف يُريبنى منه بيوم ... زمانٌ كلُّه يومٌ مريبُ؟
وإنى منذ غدت همى سيوفا ... لأعلمُ أننى أبدا ضَريبُ
وما جنتِ الذى يحنيه قلبى ... على جسمى العُداةُ ولا الخُطوبُ
لئن أبصرتنى رثَّا معاشى ... أطوِّفُ حولَ حظّى أو أجوبُ
فتحتُ خصاصتى نفسٌ عزوفٌ (١) ... وحشوَ معاوزى كرمٌ قشيبُ (٢)
سلى بيدى الطُّروسَ وعن لسانى ... فوارِكُ (٣) لا يلامسها خطيبُ
لها وطنُ المقيم بكلِّ سمعٍ ... تمرّ به، وسائرُها غريبُ
بوالغُ فى مَدَى العلياءِ لو ما ... أعانَ ركودَها يوما هُبوبُ
لئن خفَّتْ على قومٍ ودقَّتْ ... فما يُدعَى بها منهم مُجيبُ
ونفَّرها رِجالٌ لم يُروِّحْ ... على أفهامِهم منها عَزيبُ (٤)
فعند "مؤيِّدِ المُلكِ" اطمأنَّتْ ... وضمَّ شَعاعَها المرعَى الخصيبُ
فكم حقٍّ به وَجَدَ انتصافًا ... وظَنٍّ فى نداهُ لا يخيبُ
وواسعةِ الذراعِ (٥)، يَغُرُّ فيها ... عيونَ العيسِ رقّاصٌ (٦) خَلوبُ
اذا استافَ (٧) الدليلُ بنا ثراها ... أرابَ شميمَه التُّربُ الغريبُ
تُخفِّضُنا وترفَعُنا ضَلالًا ... كما خبَّتْ براكِبِها الجَنُوبُ
اذا غنَّتْ لنا الأرواحُ فيها ... تطاربتِ العمائمُ والجيوبُ
عمائمُ زانها الإخلاقُ لِيثَتْ ... على سُنَنٍ وَضاءَتُها الشُّحوبُ
قطعناها اليك على يقينٍ ... بأنّ الحظَّ رائدُه الأُغوبُ

(١) عزوف : زاهدة . (٢) معاوز جمع مِعوز وهو الثوب الخلَق الذى يُبتذل لأنه لباس المعوزين . (٣) الفوارك : النواشز من أزواجهن ، ويشير الشاعر بذلك الى استعصاء قصائده على كلّ خطيب . (٤) فى الأصل : "غريب" وهو تحريف وقد مر تفسير العزيب . (٥) يريد "بواسعة الذراع" : الصحراء . (٦) يريد "بالرقّاص الخلوب" : السراب . (٧) استاف : شمّ .

تَرَى[1] ما لا تَرَى الأبصارُ منها ... كأنَّ عيونَها فيها قلوبُ

الى ملكٍ مخضَّـــرةٍ رُباهُ ... جَمادُ الرزقِ من يدهِ يذوبُ

يَغيضُ بنا ويُلمِحُ كلَّ ماءٍ ... وماءُ بنانِهِ عِـــدٌّ[2] شَـــروبُ

تناهتْ عنه أقدامُ الأعادى ... كأنّ رُواقَـه الغابُ الأشيبُ[3]

اذا ركب السريرَ عَـــلا فأوْفَى ... عـــلى مَرْباتِهِ[4] أَقْنَى[5] رَقـوبُ

يعـولُ الأرضَ ما كسبَتْ يَداهُ ... وما كلُّ آبنِ مَرْقَبَةٍ كسوبُ

متينُ قُـوَى العزيمـةِ أَلمعيٌّ ... اذا ما آرتابَ بالفـكرِ الأريبُ

يريه أمسِ ما فى اليـــومِ رأىٌ ... تُمِـــلُّ على شهادته الغيوبُ

بِذِبِّك مِن وراء المـلكِ قامت ... دعائم منـــه وآلتأمتْ شُعوبُ

حملتَ له بقلبـك ما تركتَ الـ ... ـجبـالَ به تُفـاخِرهـا القلوبُ

تَضَرَّمُ فِتْنَـــةٌ وتضـــيقُ حالٌ ... وصـدرك فيهـما ثَلِجٌ رحيبُ

وكم أَشـــفَى[6] به داءٌ عُضالٌ ... وصـنعُ اللهِ فيـــك له طبيبُ

طلعتَ على البـلاد، وكلُّ شمس ... تضىء قد آستبدَّ بهـا الغـروبُ

وقد قَنِط الثرى وخوتْ أصولُ الـ ... ـعِضاهِ وصَوَّحَ العُشبُ الرطيبُ

ونارُ الجَـــورِ عاليـــةٌ تَلَظَّى ... وداءُ العجـــزِ منتشِرٌ دَبوبُ

فكنتَ الروضَ تُجلِبـه[7] النَّعـامى[8] ... وماءَ المزنِ منهـمرا يصـوبُ

---

(١) فاعل "ترى" ضمير يعود الى العيس فى قوله السابق

* عيونَ العيس رقّاص خلوبُ *

(٢) العدّ : الماء الجارى الذى لا ينقطع . (٣) الأشيب : الشجر الملتفّ . (٤) المرباة : المرقبة وسُهّلت الهمزة للضرورة . (٥) الأقنى : الذى آرتفع وسط قصبة أنفه مع ضيق المنخرين وهو من صفات المدح فى البازى والصقر . (٦) أشفى به : أودى به . (٧) تجلبه : تجعله ذا جلبة . (٨) النعامى : ريح الجنوب .

كأنك غُرَّة الإقبالِ لاحت ... بعقبِ اليأسِ، والفرجُ القريبُ
هنا أُمُّ الوزارةِ أَنَّ أتاها ... على الإعقامِ منك ابنٌ نجيبُ (١)
وأنك سيّد الوزراءِ معنًى ... به سُمِّيتَ، والألقابُ حُوبُ
ولو أتتِ السماءُ بمثلك ابنًا ... لَمَا كانت طوالعها تغيبُ
بك اجتمعتْ بدائدُها، ولانت ... مَعاطفُها، ومَعْجَمُها صليبُ
فلا تتجاذب الحسّادُ منها ... عُرًى يَعيا بمِرَّتِها (٢) الجذيبُ
ولا يستروحوا نفحاتِ عَرفٍ ... لها، بثيابِ غيرك لا تَطيبُ
نصحتُ لهم لو انّ النصحَ أجدَى ... ولم يكن المشاورُ يستريبُ
وقلتُ: دعوا لمالكها المعالى ... فنى أيديكمُ منها غُصوبُ
خذوا جُمّاتِه (٣) الأُولَى وخَلُّوا ... أقاصِيَ لا يخابطها ذَنوبُ (٤)
فكم من شرقةٍ بالماء تُردِى ... وإن كانت به تُشنَى الكروبُ
لك اليومانِ تكتُبُ أو تُشبُّ الـ ... ـوغى، وكلاهما يومٌ عصيبُ
فيومُك جالسا قلمٌ خطيبٌ ... ويومُك راكبا سيفٌ خضيبُ
جمعتَ كفايةً مهما وفتكا ... ومَجمعُ ذبنِ فى رجلٍ عجيبُ
وضيقةِ المجالِ (٥) لها وميضٌ ... قِطارُ سمائه العَلَقُ الصبيبُ
وقفتَ له، حسامُك مستبيحٌ ... محارمَها، وعفوُك مستثيبُ
ومسودِّ اللثاتِ (٦) له لُعابٌ ... يَحِدُّ الخَطبُ وهو به لَعوبُ
يُخال على الطروس شُجاعَ رملٍ (٧) ... اذا ما عضَّ لم يُرقَ (٨) اللسيبُ

(١) هنا: أصلها هنأ وسهّلت الهمزة. (٢) المرة: القوة. (٣) جُمّات جمع جُمّة وهى مجتمع ماء البئر. (٤) الذنوب: الدلو. (٥) يريد بضيقة المجال: الوغى. (٦) يريد بمسودّ اللثات: القلم. (٧) الشجاع: الحيّة أو الذكر منها. (٨) اللسيب: الملدوغ.

تَغالَـلُ منـــه فى مهج الأعادى ... جَوائفُ[1] جُرحُها أبدا رغيبُ[2]

اذا مَـلَكَ الرقابَ به آمترينـا ... مضى قـلمٌ بكفّك أم قضيبُ؟

ومضْطَهَدٍ طردتَ الدهرَ عنـه ... وقد فَغـرتْ لتفرِسَه شَـعوبُ[3]

اذا عُصرت من الظـمأ الأَداوَى[4] ... على الإعيـاء أو رُكب الجنيبُ

فنِـعم مُنـاخَ ظالعـةٍ[5] وسَـقْيًا ... ذَراك الرحبُ أو يدُك الحلوبُ[6]

عُلًا "رُنْجِيـةُ"[7] الأبياتِ خُطّتْ ... على شمـاءَ ينصفها "عسيبُ"[8]

لهـا عَمَـدٌ على صـدر الليالى ... وفوق أوائل الدنيـا طُنـوبُ

صفا حَلَبُ الزمان لهـا، وقامت ... لدعوتِهـا الممـالكُ تستجيبُ

وما مِن دولةٍ قَدُمت وعزت ... وإلّا ذكرُهـا بكُمُ يطيبُ

ومنـكم فى سـياستهـا رجالٌ ... فُـولٌ أو لكم فيهـا نصيبُ

كرامٌ تُسـنَد الحسـناتُ عنهم ... وتَزلَقُ عن صَفاتِهـم العيوبُ

مضَـوا طَلَقًا بأعـداد المساعى ... وجئتَ ففتَّ ما يُحصِى الحسيبُ

قنـاةٌ، أنت عاملُهـا شروعا ... الى نحـر السما وهم الكعوبُ

وخـيرُ قبيـلةٍ شرفًا مـلوكٌ ... لمجـدك منهُمُ عِرقٌ ضَروبُ

فلا وضَحَ النهـارُ ولستَ شمسا ... ولا أَزرَى بمَطلِعـك المغيبُ

ولا برحتْ بك الدنيـا فتـاةً ... تُرِبُّ[9] كما آكتسى الورقَ القضيبُ

---

(١) جوائف جمع جائفة وهى طعنة تبلغ الجوف ، وفى الأصـل "خوائف" وهو تحريف .

(٢) الرغيب : الواسع . (٣) شعوب : اسم المنية . (٤) الأداوى جمع إداوة وهى إناء صغير من جلد . (٥) فى الأصل : "طالعة" . (٦) فى الأصل : "الجلوب" وهو تحريف .

(٧) رُنْجِيَّة : وردت هذه النسبة فى صحيفة (٤٤) سطر (١٥) عند قوله "وقال يمدح سيّد الوزراء أبا علىّ الرُّنْجِىّ" وقد أثبتناها كما وردت بالأصل وبالبحث عنها لم نجد غير "رُنَّج" والوزن هنا يقتضى أن تكون كما وردت بالأصل . (٨) عسيب : اسم جبل . (٩) تُرِبُّ : تُرَبِّى وتُنَمِّى .

اذا ما حزتها انتفضت عطارا (١) ... سوالفُها بعدلك والتريبُ
ومات الدهرُ وانطوتِ الليالى ... ولكنك لا يموتُ ولا يشيبُ
وقام المهرجانُ فقال مثلَ الـ ... ـذى قلنا وآبَ كما تؤوبُ
وعادك زائرا ما كرَّ ليلٌ ... لسعدك بين أنجمه ثقوبُ
بك استظلماتُ من أيامِ دهرى ... ومن رمضائها فوقى لهيبُ
كفيتنِىَ السؤالَ فما أبالى ... سواك مَن المنوعُ أو الوهوبُ
وغرتَ على الكمال فصنتَ وجهى ... فليس لمائه الطامى نُضوبُ
مكارمُ خضَّرتْ عُودى وروَّتْ ... ثراه وقد تعاوره الجُدوبُ
تُواصلنى مَثانِىَ أو وِحادا ... كما يتناصر القَطْرُ السَّكوبُ
فما أشكو سوى أنّى بعيدٌ ... وغيرى يومَ ناديكم قريبُ
أفوقُ عزمتى شوقا اليكم ... ويقبِضُنى الحياءُ فلا أصيبُ
أصدُّ وضمنَ دَستك لى حبيبٌ ... عليه من جلالته رقيبُ
اذا امتلأتْ لحاظى منك نورا ... نزا قلبى فطارَ به الوجيبُ (٢)
يُميلُ اليك بِشرُك لحظَ عينى ... ويحبِسُ عنك مجلسُك المَهيبُ
ولو أنى بُسِطتُ لكان سعىٌ ... وبَلَّ بِلالَه الشوقُ الغَلوبُ
أبيتُ فما أُجيبُ سواك داعٍ ... ولكنّى دعاءَكُمُ أجيبُ
فإن يكن انقباضى أمسِ ذَنْبا ... فمنذ اليومِ أُقلِعُ أو أتوبُ
وتحضُرُ نابياتٌ (٣) عن لسانى ... فواقرُ (٤) ربُّها عبدٌ منيبُ

---

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة وفى الأصل * اذا ما أخلقتنا انتفضت عطارا *
وهو غير متزن ومحرف . (٢) الوجيب : الخفقان . (٣) نابيات : شاردات . (٤) فواقر
جمع فاقرة وهى التى تثقب الخرز أو الدر للنظم ويريد أن قصائده ستأتى الممدوح ثاقبة درّ مديحه .

أوانسُ فى فمى متيسِّراتٌ ... اذا ذُعِرتْ من الكلِم الشُّروبْ
اذا أعيتْ على الشعراء قِيدتْ ... الىَّ وظهرُ رِيّضها رَكوبْ
بقِيتُ وليس لى فيها ضريبٌ ... ولا لك فى الجزاءِ بها ضريبُ (١)
تُصاغ لها الحماسةُ من معانى ... علاك، ومن محاسنِك النسيبُ
رعَيتُ بهنّ من أمَلِى سمينا ... لدبك، وحاسدى غيظا يذوبُ
وهل أظمَا، وهذا الشِّعرُ سَجلٌ (٢) ... أمُدُّ به، وراحتك القليبُ؟

* * *

وقال يعزّى أبا الحسين بن رَوْح النَّهروانىّ عن ابنين له تُوُفِّيَا فى مدّةٍ قريبةٍ، ويتوجّع له لحرمةِ الصداقةِ بينهما

على أىّ أخلاقِ الزمانِ أعاتبُهْ ... وما هو إلا صَرفه ونوائبُهْ
تفرّى (٣) أديمى وهو بُتْرٌ شِفارُهُ ... وجافت (٤) جروحى وهو صُمٌّ (٥) مخالبُهْ
نُدوبٌ تُقفّى هذهِ عَقْبَ هذهِ ... وداءٌ اذا ما باخ (٦) أوقدَ صاحبُهْ
شغلتُ يدى حينا بعدّ ذنوبِهِ ... وزِدن فقد تاركتُه لا أحاسبُهْ
طرحتُ سلاحى وانتزعتُ تمائمى ... وضاربُه يُخشى علىَّ وسالبُهْ
بِبِيضٍ من الأيام هنّ سيوفُهُ ... وسودٍ من الليلاتِ هنّ عقاربُهْ
أُداجِه (٧) حتّى يرانى راضيا ... مِرارا، وأعصى مرّة فأغاضبُهْ
فلا هو إن أطريتُه قابضٌ يدًا ... ولا خائفٌ عارا بما أنا عائبُهْ
نصحتُك لا تُخدَعْ بسنّةِ وجهِهِ ... فشاهده حُسْنٌ تَشوّفَ غائبُهْ

(١) الضريب : المثيل . (٢) السجل : الدلو . (٣) تفرّى أديمى : الشق جلدى .
(٤) جافت : بَلِفَت الجوف . (٥) صُمّ جمع أصمّ وهو الصلب المتين . (٦) باخ : نمد .
(٧) أداجه : أرافقه .

ولا تُمهِّدْ قعدة فوق ظهره ... فما هو إلا ضيغمٌ أنت راكبُهْ
تَرَدَّى رجالٌ قبلنا وتقطَّرت (١) ... بهم شُهبةٌ دون المدى (٢) وشاهبه (٣)
وصَرَّحَ عمّا ساءهم طولُ محضه ... خبائثَ جرّتها عليهم أطايبُهْ
حبائلُ مكتوبٌ لها نصرُ كيدها ... من الله، لا يُحمَى الذى هو كاتبُهْ
فمن مغلَقٍ مستعجِلٍ أو مؤخَّرٍ ... مُراخيه يوما لا محالةَ جاذبُهْ
تصامتُ عن داعى المنون مغالطاً ... وإنّى على طول السكوت مُجاوبُهْ
وقدّمتُ غيرى جُنّةً أتّقى بها ... ومن يُوقَ من رامِيه لا بدّ صائبُهْ
أخلّاىَ، أيمُ الله أطلب ثأركم ... من الدهر، لو قد أدرك الثأرَ طالبُهْ
أفى كلّ يومٍ لى قضيبٌ مُخالِسٌ (٤) ... وذخرٌ نفيسٌ منكم الموتُ غاصبُهْ؟
وكأسٍ من العلياء والخسف، يعتدى ... — مليّا على سيفى وسَوطِىَ — سالبُهْ
تَطيحُ به زَندِى، وجِدُّ تحفُّظى ... بميثاقِه فى الغيب أنّىَ نادبُهْ
وكم منكمُ كالنجم رُعتُ به الدُّجَى ... زعانا، خبا بعد الإضاءة ثاقبُهْ
وآخرَ لمّا ساحتْنى بأصله الـ ... ـمنايا ذَوتْ أغصانُهُ وشعائبُهْ
وأضحى بنوه غِيطةً وبناتُه ... تُسَلُّ بهم أنيابُهُ ورواجبُهْ
فيُنزو بلبّى شجوُهُ، وتُصيبنى ... بموضعه من سِرّ قلبى مَصائبُهْ
ألا يا أخى للودّ دنيًّا (٥)، وكم أخٍ ... لأمّى بعيداتٍ علىّ قرائبُهْ
لحا الله خَطبا، شَلّ (٦) سرحَك طردُهُ ... وجمّعَ فى إهلابِ قلبك حاطِبُهْ
رمَتْك يدُ الأيّام عن قوسِ فاوِنٍ ... إذا هو والى لم تخنه صوائبُهْ
سقتك بكفٍّ أدهمَتْ لك ثانيا ... ولمّا يُفِق من أوّلٍ بعدُ شاربُهْ

(١) تقطرت بهم: ألقتهم. (٢) المدى: الحوض لا ينصب حوله حجارة. (٣) الشاهب: من الخيل الذى غلب بياضه على سواده. (٤) مخالس: مُعجِّل. (٥) يقال: هو ابن أخى أو ابن عمّى دنيا أى لحاً (٦) شلّ: أذهب.

فقَرْحٌ وقَرْحٌ لم تَـــلاحَمْ نُدُوبُهُ ... ودمعٌ ودمعٌ ما تعـــانَق سارِبُهْ

ويا ليتـــه لمّا تثـــنّى تعلّقتْ ... مقاديرُهُ، أو آستوين مَراتِبُهْ

ولكنّها كفٌّ هوتْ إثر إصبـع ... وحارِكُ(١) ظهـرٍ بعـدَهُ جُبَّ غارِبُهْ

حَصاتان من درٍّ حَصانانِ(٢) لم تَطِرْ ... يدٌ بهـما، مادنّس الدُّرَّ ثاقِبُهْ

هما بيضـتا كِنٍّ(٣) بجانبِ مُلبِسٍ(٤) ... حمـاه الطروقَ تيهُـهُ وسَبابِسُـهُ(٥)

حرامٌ على السارى تضيعَ على القطا ... أفاحيصُـهُ(٦) فى جـوّه ومَسارِبُهْ

يحوطهما ما آسطاعَ وحفُّ جَناحِهِ ... شِعارُهما دون التراب توائبُـهْ

تراه يُصادى حاجبَ الشمسِ عنهما ... لو آنّ الردَى ما أحرز الشيءَ هائبُهْ

رزِئتَهما شمسيْنِ أقسمَ فيهـما ... ظلامُ الأسَى ألّا تجَـلّى غياهبُـهْ

يعـدّون حُرْقا بالفـتى فى بنـائِهِ ... اذا ما بكَى أو ذلّ للحزنِ جانبُهْ

وكم من كـريمٍ عَزّهُ نجباؤه ... فعـزّ بمـا ساقت اليـه نجائبُـهْ

وبعضُ البناتِ مَن بهـا يُنتَج العُلا ... وبعضُ بنى الإنسان فى الحىّ عائبُهْ

فإلّا تكونا صارمين فحِـذْوتا(٧) ... حُسامٍ عتيقٍ لا تُفَـلُّ مَضارِبُهْ

أخى الحـلم لم يَملِك عليـه حياؤه ... ولا كذّبتْـهُ فى الزمان تجـاربُهْ

اذا وَلَدٌ آستَذكرنَ حزمًا إناثُهُ(٨) ... كما ذُكّرتْ أخـلاقُهُ وضرائبُـهْ

تعزّ آبنَ "رَوحٍ" إنما الموتُ مُدلجٌ ... الى أمـدٍ فيـه النفوسُ مَراكبُهْ

ومن أخّرتْه شمسُ يومٍ فـلم يمت ... يمتْ حـولَه أحبـابُهُ وحبائبُهْ

(١) الحارك : أعلى الكاهل وعظم مشرف من جانبيه . (٢) حصانان : عفيفتان .
(٣) فى الأصل "وما" وهو تحريف . (٤) مُلبِس : مُغَطًّى ويراد به : المكان المحجوب .
(٥) سباسب جمع سبسب وهى المفازة . (٦) أفاحيص جمع أفحوص وهو الموضع تفحص عنه القطا ليبضها . (٧) فى الأصل : "بحـدونا" وهو تحريف والحِذْوة : القطعة . (٨) فى الأصل : "أناثه" وهو تحريف .

وأعجبُ من ذى خُبرةٍ بزمانه ... تنكّر منه أن تَوالَى عجائبُهْ
خُلِقنا لأمرٍ أرهقتنا صدورُهُ ... فيالَيت شعرى ما تجرّ عواقبُهْ؟
غريمٌ مُلِطٌّ[1] لا يَمَلُّ وطالبٌ ... بغير تِراتٍ[2] لا تنامُ مَطالبُهْ
وقد جرّبتْك الحادثاتُ فلا تكن ... ضعيفَ القُوَى رِخوًا لهنّ مجاذبُهْ
وغيرُك مغلوبٌ على حُسنِ صبرِه ... ولا خَطَبَ إلا أنتَ بالصبرِ غالبُهْ
برغمىَ أن يَسرِى غَزِىٌّ[3] من الأسَى ... اليك ولم تُملَلْ بنصرى كتائبُهْ
وإن كان خصما لا لسانى ينوشه ... ولا كلماتى الغاسقاتُ تواقبُهْ
ويا لِلدفاعى عنك إن كان صارما ... أصافحه أو كان ليثا أواثبُهْ
ومَن لى لو أنّ الحزنَ يرعَى جوانحى ... فدًى لك لو يرضَى بقلبِىَ ناصبُهْ
فما هى إلا مهجةٌ لك شطرُها ... وموهوبُ عيشٍ أنت ماعشتَ واهبُهْ
وإن كان يُطفِى حَرَّ لوعتِك البكا ... على أنّه جاريه لا بد ناضبُهْ
فدونك دمعى سائلا ومعلّقا ... بغامدُهُ باقٍ عليك وذائبُهْ
عتبتُ على دهرى فسهّل عذرُهُ ... بأنّك باقٍ كلَّ ما هو جالبُهْ
اذا سلِم البدرُ التمامُ فهيّنٌ ... على الليلِ أن تَهوِى صِغارا كواكبُهْ

* * *

وقال يمدح الوزير أبا القاسم الحسين بن علىّ المغربىّ رحمه الله عند تقلّده الوزارة، وهنّأه بالنيروز، وأنشدها فى داره بباب الشعير فى سنة أربع عشرة وأربعمائة

هل عند عينيك على "غُرّب" ... غرامةٌ بالعارض الخُلَّبِ[4]؟
نَعَمْ! دموعٌ يكتسِى تربُهُ ... منها قميصَ البلدِ المعشِبِ

(١) المُلِطّ: جاحد الحق. (٢) التِّرات جمع تِرَة: وهى النَّحْل. (٣) الغزىّ: الغازى وفى الأصل "عزى" وهو تحريف. (٤) العارض: السحاب، والخُلَّب: الذى يُرعِد ويُبرِق ولا مطر فيه، وفى الأصل "المخلب" يقال: ماءٌ مُخلِبٌ أى ذو خُلْب وهو الطين، وهذا لا يتفق والمعنى.

ساربةٌ[1]، تركبُ أردافَها ... معلّقاتٌ بعدُ لم تَسرُبِ

ترضَى بهنّ الدارُ سَقْيًا وإن ... قال لها نوءُ السِّماكِ : ٱغضبي

علامةَ أنّى لم أنتهكْ ... مَرائرَ[2] العهدِ ولم أقضبِ

يا سائقَ الأظعانِ لا صاغرا ... عُجْ عوجةً ثمّ ٱستقم وٱذهبِ

دعِ المطايا تلتفتْ، إنها ... تلوبُ من جفنى على مَشرَبِ

لا والذى إن شاء لم أعتذرْ ... فى حبّه من حيث لم أُذنبِ

ما حدَرتْ ريحُ الصَّبا بعدَه ... لثامَها عن نفَسٍ طيّبِ

ولا حلا البذلُ ولا المنعُ لى ... مذ هُوَ لم يَرضَ ولم يَغضبِ

كم لى على "البيضاء" من دعوةٍ ... لولا ٱصطخابُ الحَلْيِ لم تُحجَبِ

وحاجةٍ لولا بُقَيّاتُها ... فى النفس لم أطرَبْ ولم أرغَبِ

يا ماطلى بالدَّين ما ساءنى ... اليك ترديدُ المواعيدِ بى

إن كنتَ تقضى ثمّ لا نلتقِى ... فدمْ على المطلِ وعِد وٱكذبِ

سال دمى يومَ الحِمَى من يدٍ ... لولا دمُ العشاقِ لم تُخضَبِ

نبلُ رماةِ الحىّ مطرورةً[3] ... أرفَقُ بى من أعينِ الربربِ

يا عاذلى قد جاءك الحزمُ بى ... أقادُ فاركبنِى أو فاجنُبِ

قد سدّ شيبى ثُغَرِى فى الهوى ... فكيف قَصّى أثَرَ المَهْربِ

أفلحَ إلا قانصٌ غادةً ... مدّ بحبلِ الشَّعرِ الأشيبِ

ما لبناتِ العَشْرِ والعَشْرِ فى ... جِدّ بنى الخمسين من مَلعبِ

شِيَاتُ أفراسِ الهوى كلُّها ... تُحمَدُ فيهنّ سوى الأشهبِ

---

(١) سارية : جارية وفى الأصل "سارية" وهو تحريف ويتعين ذلك لقوله : لم تسرب .

(٢) مرائر جمع مريرة وهى طاقة الحبل . (٣) مطرورة : محدودة .

أمَا تَرَيْنى ضاوياً عارياً ... من وَرَقِ المنتِفِ المُخصِبِ ؟
مُحتجِزاً أندبُ مِن أمسِيَ الـ ... ـماضى أخًا ماتَ ولم يُعقِبِ (٣٢)
فلم يُثَلِّمْ ظُبَتَىْ عاملى (١) ... ما حَطَمَ الساحبُ من أكعبى
يوعِدُنى الدهرُ بقَدرائه ... قعقعةُ لغير الليثِ أو هَبهِبِ
قد غَمزتْ كفُّك فى مَروَتى (٢) ... فتحتَ أىَّ الغمزِ لم أصلُبِ
أمُفزِعى أنتَ بفَوت الغنَى؟ ... تلك يدُ الطالى على الأحرَبِ
دعْ ماءَ وجهى مالئًا حوضَه ... وكُلْ سمينا نَشَبى واشرَبِ
إن أُغلَبِ الحظَّ فلى عِزْفَةٌ (٣) ... بالنفس لم تُقْمَرْ ولم تُغلَبِ
ذمَّ الأحاظِى (٤) طالبٌ لم يَجِدْ ... فكيف وجدانى ولم أُطلَبِ ؟
آه على المالِ وما يُجتَنَى ... منهُ لو أنّ المالَ لم يُوهَبِ
راخ على الدينا اذا عاسرتْ (٥) ... وإن أتتْ مُسمِحةً فاجذِبِ
ولا تَعَسَّفْ كَدَّ أخلافِها (٦) ... فربَّما درَّت ولم تُعصَبِ
هذا أوانُ استقبلَتْ رشدَها ... بوقفةِ المعتذِرِ المعتِبِ
وارتجعتْ ما ضلَّ من حلمها ... من بين سَرحِ الذائدِ المعزَبِ
وربَّما طالَعَ وجهُ المنَى ... من شرفِ اليأسِ ولم يُحسَبِ
قل لذوِى الحاجاتِ مطرودةً ... وابنِ السبيلِ الضيِّقِ المَذهَبِ :
وقاعدٍ يأكلُ (٧) من لحمِه ... تنزُّهًا عن خَبَثِ المَكسَبِ :
قد رُفِعت فى "بابلٍ" رايةٌ ... للمجدِ من يَلْقَ بها يَغلِبِ

---

(١) العامل : الريح . (٢) المروة : حجر أبيض برّاق يورى النار . (٣) العزفة : الانصراف عن الشيء والزهد فيه . (٤) الأحاظى : الحظوظ . (٥) راخ : أى أرخ . (٦) فى الأصل "أخلاقها" وهو تحريف ، والأخلاف جمع خِلْف وهو ضرع الناقة . (٧) فى الأصل : "ناكل" .

يصيحُ داعى النصرِ من تحتها : يا خيلَ مُحيى الحسَناتِ اركبى
جاء بها اللهُ عـلى فَـترةٍ بآيـةٍ من يَرَها يعْجَبِ
هاجمـةِ الإقبـالِ لم تُنْتَظَـرْ بواسـعِ الظنِّ ولم تُرقَبِ
لم تألفِ الأبصارُ من قبلها أن تطلُعَ الشمسُ من المَغرِبِ
ردوا فقـد زاركم البحـرُ لم يُخَضْ له الهـولُ ولم يُرَكَّبِ
يشِفُّ للأعين عن دُرِّه الـ ـثمينِ صـافى مائه الأعذبِ
فارتبِعوا بعـدَ مِطالِ الحَيـا وروِّضوا بعـدَ الثرى المُجدِبِ
قد عادَ فى "طيءٍ" نَدَى "حاتمٍ"(١) وقامَ "كَعْبٌ" سيِّدَ الأكعبِ
وعاش فى "غالبَ" "عَمرُو العُلا"(٢) يَهشِمُ فى عامِهـم المُـلزِبِ(٣)
وٱرتجعتْ "قَحطانُ" ما بزَّها من ذى الكَلاعِ(٤) الدهرُ أوحوشَبِ
وردَّ بيتٌ فى بنى "دارِمٍ"(٥) "زُرارةٌ"(٦) من حـولِهِ مُحتبِي
كلُّ كـريمٍ أو فتًى كاملٍ وفاعـلٍ أو قائـلٍ مُعـرِبِ
فاليومَ شَكَّ السمعَ قد زال فى أخبـاره بالمنظَـرِ الأقـرَبِ
الى الوزيرِ ٱعـترقَتْ نَيِّها(٧) كلَّ أمـونٍ(٨) وعَرِةِ المَجـذَبِ
تُعطِى الخشاشاتِ(٩) لَيـانا على أنفٍ لها غضبانَ مستصعَبِ
مجنـونةُ الحـلمِ وما سُفِّهتْ بالسَّـوطِ ، حَرقاءُ ولم تُجنَبِ

(١) حاتم وكعب من أجواد العرب . (٢) عمرو العلا : هاشم بن عبد مناف أبو عبد المطلب وهو أول من هشم الثريد لقومه . (٣) الملزب : الشديد القحط . (٤) ذو الكلاع : أحد أذواء اليمن . وسُمِّى بذلك لأن حِميَر تكلَّعوا على يده أى تجمَّعوا وحوشب من مخاليف اليمن .
(٥) هو دارم بن مالك بن حنظلة أبو حىّ من تميم . (٦) هو زرارة بن أوفى أبو حىّ فى اليمن .
(٧) اعترقت نَيِّا : أكلت شحمها ، كناية عن هزالها . (٨) الأمون : الناقة الوثيقة الخَلْق .
(٩) الخشاشات جمع خِشاش وهو ما يدخل فى أنف الناقة أو البعير من خشب ونحوه .

بيأسُ فحلُ الشولِ من ضربها (١) لعزةِ النفسِ ولم تُكتَبِ (٢)
لو وَطِئتْ شوكَ القنا ثابتاً فى طُرُقِ العلياءِ لم تُنقَبِ (٣)
يَخطُّ فى الأرضِ لها مَنسِمٌ دامٍ منى يُمْلِ السُّرَى يكتُبِ
كأنَّ حاذَيْها (٤) على قاردٍ (٥) أحمشِ (٦) مسنونِ القَرا (٧) أحقبِ (٨)
طامَنَ فى الرملِ له قانصٌ أعجفُ (٩) لم يُحمِضْ (١٠) ولم يُرطِبِ (١١)
ذو وَفضةٍ (١٢) يَشهدُ إخلافُها بأنها عامينِ لم تُنكَبِ
مهما تَخَلَّلْهُ (١٣) بُنيّاتُها من "وَدَجٍ" أو "وَرَلٍ" (١٤) يُعطَبِ
فمرَّ لم يَعطِفْ على "عانةٍ" (١٥) ذُعْرًا ولم يَرأَمْ على "تَولَبِ" (١٦)
به خُدوشٌ يتعجَّلْنهُ قدائمٌ من لاحقِ الأكلُبِ (١٧)
بأىّ حِسٍّ ريعَ خِيلتْ له رنّةُ قوسٍ أو شبا مِخلَبِ
يَذرعُ أدراجَ الفيافى بها كلَّ غريبِ الهمِّ والمطلبِ
يرمى بها ليلُ جُمادَى الى يومٍ من الجوزاءِ معصوصبِ (١٨)
فى عَرْضِ غبراءَ رِياحيّةٍ عجماءَ لم تُسمَرَ ولم تُنسَبِ

(١) الضرب : السِّفاد . (٢) لم تُكتب : لم تُقيَّد ولم يُختَم حَياؤها حتى لا يُزَى عليها .
(٣) لم تُنقب : لم تصب بالنُّقَب وهى القُرَح . (٤) الحاذان : ما وقع عليه الذنب من أدبار الفخذين .
(٥) القارد : المتجعّد الشعر . (٦) الأحمش : دقيق الساقين . (٧) القرا : الظهر .
(٨) الأحقب : اخمار الوحشىّ . (٩) الأعجف : النحيل المهزول . (١٠) لم يحمض : لم يصادف حَمْضا . (١١) لم يرطب : لم يصادف رطبا . (١٢) الوفضة : خريطة الراعى لزاده وأداته . (١٣) بُنيّات الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادّة . (١٤) ودج وورل : اسما موضعين . (١٥) العانة : اسم موضع ولغةً القطيع من حُمُر الوحش . (١٦) التولب : اسم موضع ولغةً ولد الأتان من الوحش . (١٧) الأكلب جمع كلب . (١٨) معصوصب : عصبب .

يُسْكَبُ مشهورُ (١) ركايا بها ... على مصانيف القطا (٢) اللُّغَّب

حتّى أُنيخَتْ وصدوعُ السُّرَى ... بالنوم فى الأجفانِ لم تُشْعَبِ

وشَمْلَةُ (٣) الظلماءِ مكفورةٌ (٤) ... تحت رِداء القَمَرِ المُذْهَبِ

الى ظليلِ البيت رَطْبِ الثرى ... عالى الأثافى حافلِ المَحْلَبِ

مختضب الجفنةِ ضخم القِرى ... اذا يُدُ الجازرِ لم تُخْضَبِ

تُرفَعُ بالمَنْزِلِ نيرانُهُ ... اذا إماءُ الحىِّ لم تَحْطِبِ

له محاويفُ عِماقٌ اذا ... ما القِدْرُ لم تُوسع ولم تُرحَبِ

كلّ رَبوضٍ (٥) عُنُقُها بارزٌ ... مثلُ سَنامِ الجَمَلِ الأنصبِ

تُعجِلُها زحمةُ ضيفانِه ... أن تتأنّى (٦) حطبَ المُلهِبِ

أبلج فى كلّ دجى شُبهةٍ ... او سار فيها النجمُ لم تُثقَبِ

مُوَقِّرُ النادى ضحوكُ الندَى ... يلقاك بالمُرغِبِ والمُرهِبِ

تلحظُهُ الأبصارُ شَزْرًا وإن ... أكثرَ من أهلٍ ومن مَرحَبِ

مُرٌّ، وإن أجدَتْكَ أخلاقُهُ ... شمائلَ الصهباءِ لم تَقطِبِ

يحطُّ عنه الناسُ من فضلهم ... متحدّرَ الرِّدفِ عن المنكِبِ

أتعبَهُ تغليسُه (٧) فى العلا ... مَن طَابَ الراحةَ فليتعَبِ

من معشرٍ لم يُهتبَلْ (٨) عزُّهم ... بغلَطِ الحظِّ ولم يُجلَبِ

ولا علا ابنٌ منهمُ طالعا ... من شَرَفٍ إلا وراءَ الأبِ

---

(١) الركايا جمع ركيّة وهى الحفرة يجتمع فيها الماء . (٢) اللغب جمع لاغب وهو المعيى ، وفى الأصل "اللعب" . (٣) الشملة الكساء دون القطيفة . (٤) مكفورة : مستورة . (٥) الربوض : الضخمة ، والأنصب : المرتفع الصدر . (٦) تأنى : تنتظر ، وفى الأصل "تنابى" وهو تحريف . (٧) التغليس : السير فى الغلس . (٨) يهتبل : يغتنم .

تسلّقوا المجدَ وداسوا العلا ... وطُرْقُها بيداءُ(١) لم تُلحَبِ(٢)
ووافقوا الأيّام فاستنزلوا ... أبطالَها في مِقنَبٍ مِقنَبِ(٣)
قومٌ إذا أخلَفَ عامُ الحيا ... لم تخترِلهم حَيْرةُ المَسْغَبِ
أو بسَطَ اللهُ ربيعاً لهم ... لم يَبطَروا في سَعةِ المَخْصَبِ
سَمَوْا وأصبحتَ سماءً لهم ... يطلُعُ منها شَرَفُ المَنْسَبِ
زدتَ وما انحطّوا ولكنّها ... إضاءةُ البدرِ على الكوكبِ
خُلِقتَ في الدنيا بلا مُشبِهٍ ... أغربَ من عَنقائها المُغرِبِ
لا يَجلِسُ الحلمُ ولا يركَبُ الـ ... ـخوفُ ولم تجلِس ولم تركَبِ
إن جَنَحَ الأعداءُ للسِّلم أو ... تلاوذوا منك الى مَهرَبِ
كتبتَ لو قلتَ ، فقال العدا : ... أعزلُ لم يَطعَنْ ولم يضرِبِ
أو ركبوا البغيَ الى غارةٍ ... طعنتَ ، حتى قيل : لم يكتُبِ
فأنت ملءُ العينِ والقلبِ ما ... تشاءُ في الدَّستِ وفي الموكِبِ
وربَّ طاوٍ غُلَّةً بائتٍ ... من جانبِ الشرّ على مَرقَبِ
ينظرُ من أيامه دولةً ... بقلمِ الأقدارِ لم تُكتَبِ
راعته من كيدك تحت الدجى ... دبّابةٌ أدهى من العقربِ
فقام عنها باذلاً بُسْلَةَ(٤) الـ ... ـرّاقي ولم يُرْقَ ولم يُلسَبِ
بك اشتفى الفضلُ وأبناؤه ... بعد عُموم السَّقَمِ المُنصِبِ
والتقم الملكُ هُدَى نهجِه ... وكان يمشي مِشيةَ الأنكبِ
وزارةٌ قلّبها شوقُها ... منك الى حُوّلِها القُلَّبِ(٥)

(١) اليداء : الفلاة لا يُهتدى فيها . (٢) لم تلحب : لم تسلك . (٣) المقنب : زهاء ثلاثمائة من الخيل . (٤) البسلة : أجرة الراقي . (٥) الحوّل القلّب : البصير بالامور .

جاءتك لم تُوسع لها مُرغبا ... وليّها المَهـــرَ ولم تَخطُب

كم أجهضتْ قبلك من عَدْهم ... لها شهورَ الحامل المُقـــرِب (١)

وولدتْ وهى كأنْ لم تلد ... أمَّ اذا ما هى لم تُنجب

قُمتَ بمعناها وكم جالس ... تكفيه منها سِمةُ المَنصب

وهى التى إن لم يُقدْ رأسُها ... بمِحصداتِ الصبر لم تُصحِب (٢)

مَزلَقةٌ، راكبُ سِيسائِها (٣) ... راكبُ ظهرِ الأسَـدِ الأغلب

راجتْ على عِطفِك أثوابُها ... طاهرةَ المَرفَع والمَسحب

فَتحتَ فى مُبهَـم تدبيرها ... تنفُّسَ البُلْجَـةِ فى الغيهب

وٱرتجعتْ منك رِجالاتها ... كلَّ مِطيـلٍ فى الندَى مُرغِب

رُدَّ بنو "يحيى" و"سهلٍ" لها ... "والطاهريُّون" بنو "مُصعب"

فٱضرب عليها بيتَ ثاوٍ بها ... قبلك لم يُعمَدْ ولم يُطْنَب (٤)

وٱستخدم الأقدارَ فى ضبطها ... وٱستشر الإقبالَ وٱستصحب

وٱمدُدْ على الدنيا وجَهْلاتها ... ظِلالَ حِلمٍ لك لم يَعزُب

وٱطلُع على النَّيروزِ شمسا اذا ... ساقَ الغروبُ الشمسَ لم تغرُب

تفضُلُ ماكرَّ سِنى عُمرِه ... بملء كفِّ الحاسبِ المطنِب

يومٌ من الفُرسِ أتى وافدا ... فقالت العُرْبُ له : قرِّب

بات من الإحسان فى دارِكم ... — وهو غريبٌ — غيرَ مستغرَب

لو شاء من يأسِب لم يَعزُه ... لغيركم عيـــدا ولم يَأسِب

وٱسمع لمغلوب على حظِّه ... لو أنك الناصرُ لم يُغلَب

---

(١) المقرِبُ التى قَرُبَ ولادها . (٢) لم تصحب : لم تنقد ولم تذلّ (٣) السيساء : منتظم نقار الظهر . (٤) لم يعمد ولم يطنب : لم يكن له عمد ولا أطناب .

مُوَحَّدٍ لم يشكُ من دهره ... وأهلِهِ إلا الى مُذنِبِ

أقصاه عند الناس إدلاؤه ... من فضله بالنسب الأقرب

لو قيض إنصافُك قِدما له ... عَزَّ فلم يُقْصَ ولم يُقْصَبِ[1]

عندك من برقِ لَمَاعةٌ ... سابقةٌ تَشهدُ للغَيبِ

منثورُها ذاك ، ومنظومُها ... هذا، كلا الدرّين لم يُثقَبِ

ما زلتُ أرجوك ومن آيتى ... أنَّ رجائى فيك لم يَكذِبِ

لم يبقَ لى بعدَك عتبٌ على ... حظٍّ ولا فقرٌ الى مَطلَبِ

فاغرسْ ونوِّهْ منعما واصطنع ... ترضَ مضاءَ الصارمِ المُقضِبِ

وغِرْ على رِقّى من خاملٍ ... لِملءِ مثلى غيرِ مستوجِبِ

كم أحمدتْ قبلَك عُنْقى يدٌ ... لكنّها سامتْ ولم تَضرِبِ

ولَدنةِ الأعطافِ لم تُعتَسَفْ ... بالكَلِيمِ المرِّ ولم تُتْعَبِ

من الحِلالِ[2] العفوِ لم تُستَلَبْ ... بغارةِ الشعرِ ولم تُنْهَبِ

دمُ الكرى المهراقِ فيها على ... سامعِها إن هو لم يطرَبِ

جاءك معناها وألفاظُها ... فى الحسنِ بالأسهلِ والأصعبِ

أفصحُ ما قيلَ ولكنّها ... فصاحةٌ تُهدَى الى "يَعرُبِ"

* * *

وقال فى بعض الأغراض وقد سُئِلَهُ

ضمانةٌ يَصدُق وعدُ الضنا ... فيها، جناها الطَّمَعُ الكاذبُ

عاد بها اليومُ جديدَ الهوى ... وقد تولَّى أمسُها الذاهبُ

أيّة نارٍ قَدَحتْ فى الحشا ... عينُ مَهاةٍ زَندُها ثاقبُ؟

---

(١) لم يقصب : لم يُقطع . (٢) فى الأصل "الجلال" وهو تحريف .

وأىُّ ثغـــرٍ ولَمّى صادنى؟ نابـــلُ قلبى بهـــما الصائبُ
حُبًّا له من بَرَدٍ جامـــدٍ يقطُـرُ منـــه ضَرَبٌ[1] ذائبُ
اللهَ يا "خنساء" فى مهجةٍ أنتِ بهـا الثائرُ والطالبُ
إن كنتِ حرَّمتِ وصالى فمن أين دمى مُلَّ لكم واجب
سلى سهامَ الشوقِ عن أضلعى إن صدَقتْ عينُك والحاجبُ
مَنْ مُوقِدُ النـارِ وقد أُخمِدتْ على فـــؤادى ومَن الحـــاطبُ؟

* * *

وقال وكتب بها الى الأستاذ أبى المعالى هِبَة الله بن عبد الرحيم فى النيروز الواقع فى سنة خمس عشرة وأربعمائة

يا دارُ لا أنهَـــجُ[2] القشيبُ منـــكِ ولا صَوَّحَ الرطيبُ
ولا أخلَّتْ بكِ الغـــوادى تَشْعَبُ ما يَصدعُ الجُدوبُ
من كلِّ مخـــروقة العَـــزالى[3] تغلِبُ أخياطَها الثُّقـــوبُ
تعجَبُ منهـــا رباكِ حتّى يضحكَ فيها الوجهُ القَطوبُ
وكان عِطْرا كما عهـــدنا مَشْىُ الصَّـــبا فيـــكِ والهبوبُ
فـــربَّ ليلٍ ثراكِ فيـــه — بين نُحور العشاق — طِيبُ
عُجْنا وليـــلُ المطىِّ ليـــلٌ بَعْـــدُ وصوتُ الحادى صليبُ
وما نَقضناهُ من طريقٍ مِن حيثُ رحنا عنـــه قريبُ
فقـــال صَحْبى : أضـــلَّ هادٍ أم خُدِعَ الحـــازمُ الأريبُ؟
ليس أوانُ التعريسِ هذا قلتُ : هو الشوق لا اللُّغوبُ

(١) الضرب : الشهد . (٢) أنهج : بَلِىَ . (٣) العزالى جمع عزلاء وهى مصب الماء من الرادية ونحوها .

يا من رأى "باللّوى" بُرَيقًا ... تقدَحُ نيرانَهُ الجَنوبُ
كَلَا وَلَا[1]، بينما تراهُ ... يطلُعُ أبصرتَهُ يغيبُ
كأنّ ما لاح منه وَهْنًا ... على شبابِ الدجى مَشيبُ
حدّثني "بالغضا" حديثًا ... سَرَّ، على أنّه خَلوبُ
يقول: هيفاءُ لم يُحِلْها ... عن عهدك الناقلُ الكذوبُ
جفونُها بَعدَكم حُنُوًّا ... ماءٌ وأحشاؤها لهيبُ
فارضٌ، فمِن قلبها خُفوقي ... أُعدَى ومن طرفِها أصوبُ
لا وليالٍ على "المُصَلّى"[2] ... تُسرَقُ فى نُسكها الذنوبُ
وما رأى "الخَيْفُ"[3] من هَناتٍ ... يغفرها المالكُ الوهوبُ
وخَلَواتٍ "بأمّ سعدٍ" ... ما بعدها لذّةٌ تطيبُ
لولا لماها لما شفانى ... "بزمزمٍ" ما سقى القليبُ
ما ذا على مُحرِمٍ "بِجَمْعٍ"[4] ... وسهمُهُ من دمى خضيبُ
وكيف والصيدُ ثَمّ بَسْلٌ[5] ... تصادُ بالأعين القلوبُ؟
يا فتكها نظرةً خِلاسا ... سَبَّبَ أدواءَهنّ الطبيبُ
ذابت عليها حصاةُ قلبى ... يا من رأى جمرةً تذوبُ؟
قُلْ لزمانى: ما شئتَ فاضغط ... قد دَبِرَ الحابِرُ الحايبُ

---

(١) كَلَا ولا أى كقولك "لا لا" ويراد بها أن هذا البُرَيق فى سرعته يطلع و يغيب كمقدار قول "لا لا" وهى لا تستعمل عادة إلا فى كلّ ما يتمّ على السرعة كقول مهيار فى غير هذا المكان.

كيف رأيت الإبلا * خواطئًا كَلَا وَلَا

(٢) المصلّى: اسم موضع. (٣) الخَيْف: اسم موضع. (٤) جَمع: اسم موضع من مناسك الحج. (٥) بسل: حرام. (٦) كذا بالأصل وفى منتخبات البارودى "صفرة".
(٧) دبِر: أصابته الدبرة وهى قرحة فى ظهر البعير.

أصبحَنى بالخطـــوبِ حـــتَّى ... لم تُبـــقِ لى مَقتَـــلا تُصيبُ
فى كـــل يومٍ جورٌ غريبٌ ... عنـــدى عليه صـــبرٌ غريبُ
حتى لقـــد صـــار لا عجيبـــا ... منـــك الذى كلُّه عجيبُ
ولائمٍ فى عُـــزوفِ نفسى ... قلتُ له : أنتَ والخطـــوبُ ؟
عساك — خُبْرا بالناس — مثلى ... إن رُدَّ من حِلمك العـــزيبُ
فَـــفِى قِـــلَى مَنْ تُراكَ تَلْحَى ... منهـــم؟ وفى تَرْكِ مَنْ تَعيبُ ؟
اللهُ لى — إن طَرَحْتُ عِرضى ... أُكلةَ آلهـــم — حسيبُ
قد كنتُ أبكى وهـــم فُروقٌ ... شَتَّى وأشكو وهـــم ضُروبُ
فاليـــوم سوّتهـــم المَساوِى ... عنـــدى وعمَّتهم العيـــوبُ
فما أرى منهُـــمُ بريئـــا ... يَخشَى افتضاحا به المُـــريبُ
بلى ! قد آستثنتِ المعـــالى ... بيتًا لها ذِكْـــرُهُ نسيبُ
بيتًا ، شموسُ الضحَى عمـــادٌ ... له ، وشهبُ الدجَى طُنـــوبُ
الحَسَبُ العِـــدُّ[2] من بنيـــه[1] ... كلُّ نجيبٍ نَمَى نجيبُ
من آل "عبـــدِ الرحيم" مُرْدٌ ... حولَ رواقِ العُـــلا وشيبُ
تشـــابهوا سُـــودَدًا فأعطَى ... شاهدُهم فضـــلَ مَن يغيبُ
كلُّ مُحَيَّا الجبينِ طَلْقٍ ... لم يَعتسِفْ بِشرَه القُطـــوبُ
راضون أن يُشبِعوا ويَضْووا[3] ... والعـــامُ مستحفِزٌ[4] غَضـــوبُ
تَروَى عِطاشُ الآمالِ فيهـــم ... وهْىَ عـــلَى غـــيرهم تَلوبُ
لهـــم أفاويقُـــها إذا ما ... أَصرَمَ ثَدْىُ الحَيَـــا الحَـــلوبُ

---

(١) فى الأصل : أيحسب . (٢) العِدّ : القديم . (٣) يضووا : يُهزَلوا ، وفى الأصل : "يضروا" . (٤) مستحفز : ماضٍ مسرعا .

دوحةُ مجدٍ، أبو المعالى غصنُ جناها الغضُّ الرطيبُ
كان فَتاها والرأىُ كهلٌ وطِفلاها والحجا لبيبُ
ليثُ حِماها والدارُ حربٌ وفى السلامِ الظبىُ الربيبُ
لا فَرحةٌ تستقلُّ منه حِلْما ولا نَوبةٌ تنوبُ
تغمِزُ فيه أيدى الليالى والنَّبْعُ مستعصمٌ صَليبُ
إذا كساه الغِنَى قميصا فهو بأيدى الندَى سليبُ
وكلُّ سعىٍ له كَسوبٌ تَغرَمُه كفُّه الوهوبُ (٣٦)
يحمى حِماه بنافذاتٍ خُدوشُها فى العِدا نُدوبُ
لا يَبلُغُ السَّبرُ(١)، ما يُفَرِّى(٢) — مُعمَّقا — جُرحُها الرغيبُ
يعتُمُها مفصِحا لسانٌ ماضٍ إذا لَجلَجَ الخطيبُ
إذا فُروجُ الكلامِ ضاقتْ تَمَّ بها باعُهُ الرحيبُ
لا مَحَقتْ بدرَك الدآدى(٣) ولا محا شمسَك الغروبُ
ورَجَع الدهرُ مستقيلا اليكَ من ذنبِه يتوبُ
يُقسِمُ لا شِيمَ وهو سيفٌ بعدُ ولا شَمَّ وهو ذيبُ
وعاد ظلُّ الدنيا عليكم يُورِقُ أو يُثمِرُ القضيبُ
حظُّكمُ صفوُها وحظُّ الـ ـأعداءِ منها المُرُّ المشوبُ
ما كرَّ عَوْدًا شبابُ ليلٍ يَرُدُّه من ضُحًى مَشيبُ

(١) السبر : امتحان غَوْر الجرح ومعرفة مقداره . (٢) ما يفرّى : ما يُشَقّ .
(٣) الدآدئ : ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالى المحاق أو هن ثلاث ليال فى آخر الشهر يُدأدِئ القمر فيها الى الغروب أى يُسرِعُ وقد سُهِّلت همزتها ، كقول الراجز

أبصق لنا غرّة وجه بادى ✻ كغُرّة الدآدى فى الدآدى

وواحدتها : دَأْداء وفى الحديث "أنه نهى عن صوم الدأداء" وهى يوم الشك .

وزار يومُ النـــيروز عامَ الـ ... ـخصبِ كما زارك الحبيبُ
تُهدى لكم من ثنايَ عُونٌ[1] ... كلُّ آبنٍ سميعٍ لها طروبُ
قواطنٌ فيـــكمُ وتُمسى ... تجولُ فى الأرض أو تجـوبُ
فى كلِّ يومٍ تغشـاك منهـا ... حبيبـــةٌ ما لها رقيبُ
كـذاك لا غائبٌ خبيثٌ ... لكم ولا شاهـــدى مريبُ
قـــلبى صحيـــحٌ لكم وودّى ... ما مرِضَ الودُّ والقـــلوبُ
أجبتكم قبـــلَ أن دعـوتم ... فكيف أُدعَى فلا أُجيبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس سعد الملك أبى الحسين بن حاجب النُّعمان فى شوّال من ســنة سبع عشرة وأربعمائة ، ويذكُر قديمَ الرياســةِ فى بيته ، وٱجتذابَه إياه ، وٱقتراحَه مديحَه ، وتواصَلَ الخطابُ على ذلك

لعلَّها — واليأسُ منها أغلبُ — ... إن تأتِ اليـــومَ غدًا تستقربُ
حاجةُ صـــدرٍ لك لا ملفوظةٌ ... ولا تَســوغُ حُلوةٌ فتُشـــرَبُ
أَضْحَكَ من مواعِدِ الدهرِ بها ... ممّا يجيءُ باطـــلا ويذهبُ
ودونها — أن يلتمِسَ لحاجُها — ... ذو صِبغتيْن دِينُـــه التقلُّبُ
فى كلّ يومٍ مُرسَـــلٌ مغـالِطٌ ... لى عنـــده ، وشافعٌ محبَّبُ
وحَلفـــةٌ كاذبةٌ وفى فمى ... شكيمةٌ[2] من أن أقولَ : تكذبُ
مُلَّ فلا الحصـاةُ من فـــؤاده ... تلينُ لى ولا اللسانُ يَرطُبُ
اللهَ ياهيـــفاءُ لى فى زمنٍ ... نعيمُه بعـدَكُم معـــذَّبُ

---

(١) العُونُ جمع عَوانٍ وهى النَّصَفُ فى سنِّها من كل شىء ويريد بها قصائده . (٢) الشكيمة : الحديدة المعترضة فى فم الفرس .

وكبدٍ يصدَعُها كلُّ أسًى ... بها الكبودُ القرحاتُ تُشعَبُ
لا سلوةُ البعدِ المُريحِ عصمةٌ ... منكِ ولا الهمُّ المُراحُ يعزُبُ[1]
وكلَّما أطمعَ فيكِ سببٌ ... آمُلُهُ أيأسَ منكِ سببُ
يعيشُ قلبي وهو عيشٌ مؤلمٌ ... ثم يموتُ وهو موتٌ طيّبُ
نَفْسَكَ يا مُعطي الهوى قِيادَه ، ... إنك في خَيط الهوانِ تُجبَبُ
وإن هَوِيتَ فانتصرْ بغَدرةٍ ... عن ثقةٍ أنَّ الوفاءَ العطبُ
قالت على "البيضاء" أختُ عامرٍ: ... أسفرَ في نَوديكِ ذاكَ الغيهبُ
ومن بلاياكِ وإن عيبتِ به ... شبابُ حُبّي وعِذاري الأشيبُ
غدرُكِ والخسونَ ، أيّ روضةٍ ... قشيبةٍ بينهما لا تُجدِبُ؟[2]
وما الذي أنكرتِهِ من ليلةٍ ... يطلُعُ فيها قمرٌ أو كوكبُ؟
ما نَصَلَتْ إلا بماءِ مقلتي ... فليتها بماءِ قلبي تُخضَبُ
وعاذلٍ لا سُقِيَتْ غُلَّتُهُ ... "بالغَور" ما يُروى ولا ما يَعذُبُ
يزعمُ أن كلَّ دارٍ "رامةٌ" ... وأنّ كلَّ ذاتِ حِجلٍ[3] "زينبُ"
حلفتُ يومَ ينحرُ الناسُ بها ... ساجدةً أذقانُها والركبُ
يُعطَى المُنَى منها الذي يَستامُهُ ... طُلًى[4] تطيحُ وجُنوبٌ[5] تجبُ
مثلَ التلاعِ[6] بازِلًا[7] وحِقّةٌ[8] ... قامَ عليهنّ الربيعُ المخصِبُ
والمُشرِفاتِ من "مِنًى" كأنّها ... على ظُهورِ الهَضَباتِ حَدَبُ
وبالمُلبِّينَ سعَوا فنَفَضُوا ... ذنوبَهم وجمَّروا وحصَبوا

(١) في الأصل "المزاح يغرب" وهو تحريف . (٢) في الأصل "تجذب" وهو تحريف .
(٣) الحجل : الخلخال . (٤) الطلى : الأعناق . (٥) تجب : تسقط . (٦) التلاع جمع تلعة وهي ما ارتفع من الأرض . (٧) البازل : اجمل المسن . (٨) الحقّة : الناقة الداخلة في الرابعة من عمرها .

وماحَوَى ـ وأىُّ فضلٍ ما حوى ـ ذاك العتيـقُ البـارزُ المحجَّبُ
لو نُسبَ المجـدُ لَمَا كان الى غير بنى "عبدِ العزيزِ" يُنسَبُ
مِن أرضِهم طينتُـهُ وفيهِـمُ رواقُـهُ و بيتُـهُ المطنَّبُ
أقسمَ : لا فارقهم، وأقسموا ما دام خُلْدًا مِن "أبانَ" منكبُ
حىّ على رغم البـدورِ غُرَرًا تقـدحُ فى فحم الدجى فتثقُبُ
وردْ نفـوسا حُرّةً وأيديا تُحيلُ فى المحلِ عليها السُّحُبُ
تبادروا الجودَ فلاطوا(١) حوضَهُ، لهم ليـالى وِردِه والقـربُ
وآنتظموا سودَدهم نظْـمَ القنا لكن صدورٌ ليس فيها أكعبُ
داسُوا بأعقابِهمُ هامَ العـلا وآقتعَـدوا ظهورَهـا وآعتقبوا
شُمّ الأنوفِ والسيوفِ، قَصُرتْ دروعُهم، وهى سِباغٌ تُسحَبُ
يَمشُونَ رَجْلى(٢) فيُخالُ أنهـم من شَـارةٍ(٣) ومن شَطَاطٍ(٤) رَكِبوا
توارثوا الملكَ فـلا خلافـةٌ إلا لهـم سريرُها والمـوكِبُ
ومنهُـمُ فى حربِهـا وسلمِها رمحٌ يَخُطُّ ولسانٌ يخطبُ
حُلِىُّ كلِّ دولةٍ عاطلةٍ وبِشْرُ كلِّ نعـمةٍ تُقَطِّبُ
إذا الخطوبُ حُسِمتْ بخَـدعةٍ أو رَدعةٍ لانوا لها وصَعُبوا
إن كتبوا، قلتَ : آصطلاما(٥) طعنوا أو طعنوا، قلتَ : بلاغًا كتبوا
ترى الجبالَ فى الحُبَى إن جَلَسوا والأسدَ هِيجَ شَرُّها إن وَثبـوا
لهـم قُدامَى الفخرِ، ما تنقُـلُه لك الرواةُ وتريك الكتبُ
وخيرُ ما آستطرفْتُـهُ حديثُهـم إذا الكرامُ زانهـم ما أعقبـوا

(١) لاطوا : طيَّنوا . (٢) رَجْلَى : على أرجلهم . (٣) من شارة : من حسن وزينة .
(٤) ومن شطاط : من طول وحسن قوام . (٥) آصطلاما : آستئصالا .

وَولَدوا "أبا الحسين" فرأى الـ ـمجدُ به كيف نَموْا وأنجبوا
برزتَ فى عِمَّيهِم واسطةً لها من الأبصار ما يُستلَبُ
بيضاءَ مما أبغضَ الغوّاصُ فى الـ ـفحص عليها أنفُسًا تُحَبُّبُ
ومَطَاتهم دونها أُمنيّةٌ رَوّاغةٌ وحِقبٌ وحِقبُ
حتى قضى الصبرُ لهم قَضاءَهُ وآستحيتِ الأيّام مما نَصَبوا
فاستخرجوها تملأ الراحةَ وا ـعينَ، فقالوا : دُرّةٌ أم كوكبُ ؟
وشَرُفَتْ فأُلقِّبتْ فخرَ العلا لو لم يقَعْ دون سناها اللقبُ
وكيف لا تطلُع بدرا فيهمُ؟ والشمسُ جدٌّ لك والنجمُ أبُ
ألقَى الكمالُ طائعا عِنانَهُ اليك يُزجى تارة ويَجذِبُ
وأقعَصَ الأقرانَ عنك قَلَمٌ(١) ممرَّنٌ وخاطرٌ مدرَّبُ
وقمتَ قُرحانا(٢) فتىً بالعلا قُيِّدَ عنك القارحُ(٣) المجرَّبُ
ورِثتَ فضلا لو قنِعتَ لكفَى لكن أَبيتَ غيرَ ما تكتسِبُ
كالليثِ لا تحلو له فريسةٌ لا يتّقِي(٤) فيها ولا يُخَلِّبُ(٥)
وكم سواك لم يجُزْ حسابُهُ أعدادَ ما تُملى عليه الحُسَّبُ
حويتَ إعظاما وقد مثّلتَ لى رائدَ عينٍ وقلتَ : تَكذِبُ
أَدَمِيّةٌ صيغتْ أم البدرُ هَوَى وبَشَرٌ أم مَلَكٌ مُقَرَّبُ ؟
معجِزةٌ جاء الزمانُ غلطا بها وآىٌ كلُّهنّ عَجَبُ
وكرمٌ على اللسان حاضرٌ يشِفُّ منه الكرمُ المُغيَّبُ

(١) أقعص : أمات . (٢) القُرحان فى الإبل : مالم يجرَبْ قطّ ، وفى الأصل "قرحانا" وهو تحريف . (٣) القارح المجرَّب : السنّ الذى أصابه الجرب . (٤) يتقى : يطلب النقىّ وهو مخّ العظام . (٥) يخلّب : يعمِلُ مخالبَه .

وراحةٌ مُطلَقـــةٌ طارحَهـا الـ ... عِرضُ المصونُ أن يهون النشبُ

سحرتَنى ودارُ عِزّى "بابل" ... وقُـــدتنى وأمُّ رأسى[1] تصعُبُ

وملّكتنى لك نَشوانَ الهـــوى ... خلا أنّ غِنـاؤهنّ مُطـــرِبُ

ملأتَ بالبِشـــرِ وِطابَ[2] أمَلى ... وبعضُهـــم بكيئةٌ[3] لا تُحـــلَبُ

حتى رَقَى الحـاوِى فأصغيتُ له ... وكدتُ معْ شدّةِ زُهدى أرغبُ

وقلت عاش "لزهيرٍ"[4] "هَرِمٌ"[5] ... وقام فى أهل "الزُّبَيرِ" "مُصعَبٌ"[6]

أرضيتنى عن الزمان بعـــد ما ... حرَّقَ أضلاعى عليـه الغضبُ

وعاد بَرْدا وســـلاما بك لى ... ما توقِد الدنيـا وما تَحتطِبُ

أغنيتنى قبـــلَ اللُّهـا مودّةً ... والوِدّ عنـدى خيرُ رِفدٍ يوهَبُ

وقرّبتنى منـــك أُولَى نظـــرةٍ ... حتى كأنّا لم نزل نصـــطحبُ

فِراســـةٌ أيقظك المجـــدُ لهـا ... وفطنـــةٌ على سواك تعـــزبُ

وهمّـــةٌ إذا ركبتَ ظهـــرَها ... أدركتَ من أخرَى العلا ما تطلُبُ

فاسمع أُقرِّطك شُـــنوفا دُرُّهـا ... لغـــير آذانكُمُ لا يُثقَبُ

من المصـــوناتِ التى تَعنّستْ[7] ... خلف الخدورِ وهى بِكرٌ تُخطَبُ

تنـافسَ الملوكُ فى مُهـــورها ... واقترَعوا فى حُبِّـــها واحتربوا[8]

عنـدهُم الرغبـــةُ والوِدّ لهـا ... وعنـــدها المـــلالُ والتجنُّبُ

(١) أم الرأس : الدماغ أو الجلدة الرقيقة التى عليه . (٢) الوطاب جمع وطب وهو السِّقاءُ .

(٣) البكيئة : الناقة أو الشاة قلّ لبنها . (٤) زهير بن أبى سلمى الشاعر . (٥) هرم بن سنان من أجواد العرب وقد اختصه زهير بمدائحه . (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه حوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته صفية بنت عبد المطلب ومصعب ابنه . (٧) تعنّست : صارت عانسا وهى التى طال مكثها بعد إدراكها ولم تتزوج قط حتى خرجت من عداد الأبكار . (٨) احتربوا : أوقدوا نار الحرب .

وزادها نزاهةً وورَعًا منّى أبٌ على البناتِ حَدِبُ
ليس عليه للتمنّى طاعةٌ ولا له فى الشهواتِ أربُ
لا يمدح الناسَ ولكن مدحُكم يلزَمُ فى دِينِ العلا ويجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الرئيس الأجلّ عميد الكتّاب أبى سعد بن عبد الرحيم، يتذلّه ببعض المعاتبة، ويهنّئه بالمهرجان الواقع فى السنة المذكورة

أتْ والأمانى بها تقرُبُ وملّتْ وأحسَبها تعتِبُ
ومال بها الغدرُ غدرُ الطبا عِ عنّى والكاشحُ المُجانبُ
وغيرانُ يُذْعِره اسمى بكم ويؤنسه حولَه المِقنبُ
يكون لغيرى جَناحَ البعو ضِ لينا ولى قَرْمُه(١) المصعَبُ
ومنتحِلٌ فى الهوى يدّعى مقامى وشاهدُه يكذِبُ
تبدّل بى ساء ذاك البديلُ كما بِيعَ فى الأخبثِ الأطيبُ
فيا عَجَبى من مُريقِ دمى عنادا وقلبى به معجَبُ
ومستهزئٌ ضاحكٌ من بكاى يجدُّ بقلبى كما يلعبُ
أهيفاء، أىُّ هوى قد علمـ ـت يُقصى وأىّ أخٍ يُقصَبُ(٢)؟
ولما انطوى العامُ نفسى تَرُدُّ عنك وحافزُها يَطلُبُ
صددتِ كما انصرفتْ بالصدى(٣) غرائبُ(٤) أوجهها تُضرَبُ
أقول: غدًا، نظرا للوفاء وغدركُمُ من غدٍ أقربُ
وكيف اللقاءُ وقد سُدّتِ الـ ـمطالعُ يا ذلك الكوكبُ؟
وأين النجاءُ وما الحظُّ فيه، ومنك ـ وأنتِ المنى ـ المهربُ؟

(١) القرم المصعب: الفحل الذى ترك فلم يُركب حتى صار صعبا. (٢) يُقصب: يُقطَع.
(٣) الصدى: الظمأ. (٤) الغرائب: الإبل الغريبة التى تضرب لصرفها عن الماء.

* * *

سلِ الهاجعين على "ذى الطُّلوح"[1] وطَـرقى لهـم حارسٌ يرقُبُ
أشمْتُم يمينا سنا بارقٍ يشوقُ على أنه خُلَّبُ ؟
تألَّق مستشرفا لا يُسَلُّ حتى يُرَى سيفُه يُقْرَبُ[2]
يُبينُ ويُخفى رءوسَ الهضابِ فتنصُلُ منه كما تُخضَبُ
يَمُرُّ فيُرغِبُ[3] فى أضلُعى صُدوعا برَجعتِها تُشْعَبُ
وهل عنده خبرٌ إن سألـ تُ: ما "البانتان" وما "زينبُ" ؟
وهل ربعُ "غُرَّبَ" فى البالياـ تِ أم هل على عهدنا "غُرَّبُ" ؟
سقَى بالحمى الأعينَ النابلا تِ من دم أحشاىَ ما تشربُ
وحيَّا الحيا أوجها لا تَغُشُّ، لُجينُ الجمالِ بها مُذهَبُ
وفى السالحاتِ بذاك "الوُميـ ـل" عفراءُ تاهَ بها الربربُ
من الذاهباتِ بحبِّ القلو بِ لا تُقتضَى وَدَّ ما تَسلُبُ
وما نُطفةٌ حصَّنتها السماءُ بأرعنَ مَرقاهُ مستصعَبُ
مصفَّقةٌ[4] حلَبتْ عفوَها[5] بها المزنُ أوّلَ ما تُحلَبُ
الى أن تبقَّت لُبانَاتُها وكادت بما لُطفتْ تَنضُبُ
تراوحُها وتغادى الشَّمالُ تُرقرقُ فيها وتُستعذَبُ
ولا نحلةٌ[6] بات يَعسوبُها على الحسْنِ من حذَرٍ يلسِبُ
يَغارُ فيمنعها أن تُشا[7] رَ، ما منع الشائرَ المِشغَبُ[8]

(١) ذى الطلوح : اسم موضع . (٢) يقرب : يدخل فى القراب وهو غمد السيف .
(٣) يرغب : يوسع . (٤) مصفقة : مصفاة . (٥) العفو : أول ما يحلب .
(٦) اليعسوب : ذكر النحل . (٧) أن تُشار : أن يستخرج عسلها . (٨) المشغب : المهيج .

تُجاذبُ فيها أكفُّ الجُنا ... ةِ غِنًى[1] مثلها مثلُه تَكسِبُ
ولا مِسكةٌ طاف عطَّارُها ... "بدارِينَ"[2] يخجلُ ما يجلبُ
يبقِّرُ عنها بطونَ الظِّباءِ ... من الألف واحدةٌ تُنجِبُ
فجاءت لضوعتها سَورةٌ ... تكاد العِيابُ بها تُثقبُ
بأطيبَ من فم ذات الوشاح ... سُحورا، بلى! فمُها أطيبُ
تقول العواذلُ: دعْ ذِكرها ... ففي الذِّكر قادحةٌ تُلهِبُ
وهَبْها كعاريةٍ تُستَرَدُّ لا بدَّ أو ثَلَّةٍ[3] تعزُبُ
فقلتُ: إذن كبِدى فلذةٌ ... من الصخر أو كبِدى أصلبُ
تُزَمُّ الحمولُ فلا أستكينُ ... وتشدو الحمامُ فلا أَطرَبُ
عَذيرَى من زمنٍ لا يَسُرُّ ... بنعماءَ إلا بها يَنكُبُ
إذا قَسَمَ الحظَّ بين الرجال ... فحظِّى من شرِّ ما يُنصِبُ
تَعاوَى عليّ تصاريفُه ... تُذأبُ حولى وتستكلبُ
فأدفعهنّ بصبرى الجميلِ ... اذا ظَلَع المتنُ والمنكبُ
سأركبُ عزمِى، حتى يطيرَ ... عن الضيم عنقاءُ بِى مُغرِبُ[4]
وإلا فعندَ عميدِ "الكفا ... ةِ" حِمًى مانعٌ وذَرًى مُعشِبُ
ورائعةٌ من أمانى العُفا ... ةِ لا هىَ تَظمَى ولا تَسغَبُ
لها ما يُوَسِّعُ من ذَرعها ... بساطَ الرجاء وما يُرحِبُ
كريمٌ، وشائجُ[5] أعراقِه ... إلى العِيصِ[6] من مجده تَضرِبُ

(١) فى الأصل "غنى" وهو تحريف. (٢) دارين: بلدة مشهورة بالطيب. (٣) الثلة: جماعة الغنم أو الكثيرة منها. (٤) يقال: عَنقاءُ مُغرِبٌ وعنقاء مُغرِبَةٌ والعنقاءُ المغرِبُ وعنقاءُ مُغرِب وهو طائر معروف الاسم لا الجسم وفى المثل "حَلَّقتْ به عَنقاءُ مغربٌ". (٥) الوشائج جمع واشجة وهى الرحم المشتبكة. (٦) العيص: هو من أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر.

توسَّعَ فى نسبٍ، كالهـلال ... إلى الشمس، أعرقَ ما يُنسَبُ
بُنـاةُ العـلا آلُ "عبـد الرحيـ ... ـم" يُعـرَفُ بانيهمُ ما الأبُ
ميامينُ، أندية المكرماتِ ... لهـم تُجتبى (١) وبهـم تُعصَبُ
إذا ذَكَروا العـارَ لم يأمنوا ... وإن ركبوا السيفَ لم يَرهَبوا
وجـوهٌ ميسَّـرةٌ للنـجا ... ـحِ باسمـةٌ والـثرى يَقطُبُ
وأيـدٍ تخفُّ إلى الأعطياتِ ... إذا حُسِبَ الفقـرُ لا تُحسَبُ
تراحُ عِشارُهمُ (٢) للشـفارِ ... فتُعبَطُ (٣) من قبـلِ تُستحلَبُ
ولولا القِرَى ورشادُ الضـيو ... فِ لم يغدُ عبدٌ لهـم يَحطِبُ (٤)
مضَوا تضمنُ المجـدَ أحداثُهم ... وذكرهُـمُ خالدٌ طيِّبُ
وقام "أبو سـعدهم" (٥) ذائدا ... بميراثه وبمـا يكسِبُ
فتـاهم بما عُدَّ من سِـنِّه ... وشـيخٌ وأحلامهم تعـزُبُ
كفته بديهـةُ حـدثانِه ... قـديمَ الرجالِ وما جرّبوا
وغَلَّس حـتى انتهى واحـدا، ... له المجلسُ : الصـدرُ والموكبُ
كثيرَ الغَناءِ قليـلَ العنـاءِ ... فما يستـريح وما يتعَبُ
وما يَغـمزُ الخطبُ فى عُوده ... إذا انقلب الزمـنُ القُلَّبُ
أبى جودُه، فيـومَ الخصـام ... يَحُجُّ، ويومَ النـدى يَغلبُ
يَرى النفسَ تلك التى لا تُذَلُّ ... والمـالَ ذاك الذى يُوهَبُ
أصاخ بكم لِيَ حـظِّى الأصـ ... ـمُّ واعتذر الزمـنُ المذنبُ

(١) تجتبى : تصطفى، وفى الأصل "تجتنى" وهو تحريف . (٢) العشار : النوق .
(٣) فتعبط : فتُنحر . (٤) يريد : لولا ما يوقدونه للقرى من النار التى يُرشَد بها الضيوفُ الى أحيائهم ما احتطب لهم عبد . (٥) فى الأصل : "زايدا" وهو تحريف .

وذلّلتُمُ لي ظهورَ الرجا ... ءِ ما شئتُ أركبُ أو أجتنبُ
وكنتم مآلي ومالي فلم ... تُ أرهبُ شيئاً ولا أرغبُ
وردَّ الودادُ إليكم قيا ... دَ قلبي فما عنكمُ مذهبُ
وحلّأتُ[1] عن حوض شعري الملو ... كَ وهو لكم مُعذِقٌ مُعذَبُ
صوارمُه دونكم تُلتقَى ... وأذيالُه حولكم تُسحَبُ
أحنُّ لكم حَنّةَ العاشقين ... فأمدحكم مثلَ ما أنسِبُ
على مللٍ فيكمُ لا تزال ... بجنبي قوارفُه تَنْدُبُ
متى آتِ لم أكُ مستكرِهاً ... وأدّى فما أنا مستقرَبُ
وكم ماطرٍ فيهمُ بالوفاءِ ... إذا رمتُ أنصافَه[2] يحلِبُ
يُديرُ كئوسَ الهوى بيننا ... فيسقي الغرامَ ولا يشرَبُ
ومن حاسدٍ لي، أرسالُه ... بما ساءني عندكم تُجذَبُ
إذا خافني دبَّ في دوركم ... بعيبي كما دبَّت العقربُ
فلا وشقاوتِه ما يَشُقُّ ... على البدر أن تَنبَحَ الأكلُبُ
ولو كنتُ أُعلي عليكم رضاىَ ... لما سرّكم أنني أغضبُ
ولكن فؤادُكم رقُّه ... فما يستبيع ولا يَهرُبُ
يُريه الهوى أنّ إمساكه ... بكم من تثقّلِه أصوبُ
وأنّ الحفاظَ وحبَّ الوفاءِ ... على طبعِ طابعِه أغلبُ
فلا تنزعكم يدٌ تستمي ... حُ مِنّي ولا قاهرٌ يغصبُ[3]

---

(١) حلّأت : منعتُ ، ومعذَب : مزوع ما فيه من قذًى . (٢) أنصافه : أى لصف ما يحلبه فى قربه ، ومنه : قربة نَصِىّ أى بلغ فيها الماءُ أو غيرُه نصفَه . (٣) فى الأصل " يغضب " ولا يتفق والمعنى .

ولا أعدَمَنْ منكُمُ أُسـرةً بأيسـر عُتبَى لها تعـتِبُ
وغُـرٍّ مفـوَّفةٍ كالبرو دِ أو هى من حَوكِها أغشبُ
تجـارِى بروجَ العلا أو تعود وشرقُ النجوم لها مَغـرِبُ
يُذِلُّ النـوالُ لكم صعـبَها فكلُّ شـوامسها[1] تُركَبُ
بكم هـامَ ريقُها[2] فى الشـبابِ وهـذا لكم عمرُها الأشيبُ
على كلِّ يومٍ جديدِ السـعو دِ ومن حُسنِها سِمةٌ تغرُبُ
فإن جاءكم أعجمىُّ اللسـا نِ فهْى لسانٌ له مُعـرِبُ
فتبقونَ وهى بواقٍ قعـودٌ ما[3] اختلفَ الصـبحُ والغيهبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد، وقد كرّر الرغبةَ اليه فى ذلك، وثقّل بجماعةٍ من الأصدقاء سامهم تنجُّز مديحه، وذلك فى شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وأربعمائة

طَرقتْ على خطَرِ السُّرَى المركوبِ والليـلُ بين شَبيبةٍ ومَشيبِ
وعلى الرحائل ساجدون دُحًا[4] بهم سُكْرانِ : سُكْرُ هوًى وسُكْرُ لُغوبِ
دعَموا الخـدودَ بأذرعٍ مضعوفةٍ وتواقعـوا لمناكبٍ وجُنوبِ
وتعـلَّلوا طرَبا إلى أوطانهـم بحنينِ كلِّ منـدَّبٍ[5] مجلوبِ
فكأنَّ صَحْبى ناختهم قَرقَفٌ[6] أو فزَّ بينهـمُ عِيابُ الطِّيبِ
فعجبتُ للزَّورِ القـريبِ دنا به قَـدرٌ وليس مَزارُه بقـريبِ

---

(١) الشوامس جمع شامس وهو الفرس يمنع ظهره. (٢) الريق : أول العمر. (٣) هذا الشطر دخل على أوله "الخرم" وهو ذهاب "الفاء" من "فعولن". (٤) دُحًا بهم : رُمًى بهم. (٥) المندَّب : الذى به آثار الجروح. (٦) قرقف : من أسماء الخمر، وفزّ : سال وندِىَ.

يَسرِى وحيدا "بالعراق" وأهلُه ... ما بين قُنَّة "لَعلَع" و"عَسيب"

وأبى سَلامةَ إنما جَلبَ الكرى ... منها عدوًّا فى ثياب حبيب

لو حُكِّمتْ يقظَى لما زارت بلا ... عِدَةٍ ولا وصلتْ بغير رقيب

يا أخت "فِهرٍ" والمحبة بيننا ... نسبٌ، وإن نادالك غيرُ نسيب

لولاك لم أشِم الخلابَ ولا صبتْ ... نفسى لأحلام الكرى المكذوب

ولكان لى مندوحةٌ "بالحَزْن"[1] فى ... أخويك من رشأٍ له وقضيب

ناهضتُ حبَّك والنحولُ يخوننى ... وكتمتُ سرَّك والدموعُ تَشِى بى

وحَملتُ حتى قيلَ : مات إباؤه ... وجزعتُ حتى قيلَ : غير لبيب

فاذا وذلك[2] ليس عندك نافعا ... لما مالِت وقلَّ منك نصيبى

تتجرّمين الذنب تجزينى به ... والشيبُ والإقلالُ كلُّ ذنوبى

ثِنتان لو خُيِّرتُ فى كلتيهما ... عُمَر الربا مالى وعُمْر مَشيبى[3]

ولقد حَبستُ عن اللئام مَطامعى ... وأطلتُ فى دار الهوان مَغيبى

وعرفتُ والأرزاقُ مطمحُ ناظرى ... أَنِفًا من المتمنِّن الموهوب

مالى أذلُّ وسيف نصرى فى فمى ... والصونُ بين مآزرى وجيوبى

وعلىّ دون الحاسدين ونَبلِهم ... دِرعان من فِطَنى ومن تجريبى

---

(١) الحزن : اسم موضع .

(٢) يريد "فاذا هذا وذلك" كقول عبد الرحمن بن عبد الله أو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمّار المشهور بالقسّ وهو صاحب سلّامة المغنية

باتت تعلّلنا وتحسب أننا ... فى ذاك أيقاظ ونحن نيامُ

حتى اذا سطع الضياء لناظر ... فاذا وذلك بيننا أحلامُ

وكقول أبى كبير الهذلىّ

فاذا وذلك ليس إلا ذكرُه ... وإذا مضَى شىء كأنْ لم يُفعَلِ

(٣) كذا بالأصل رسما وشكلا ولعله :

ثِنتان لو خُيِّرت فى كلتيهما ... عُمَرَ الرُّبَا مالى وعَنَّ مشيبى

وحمـايةُ الأحرارِ تحفظُ جانبي ... والفضلُ يمنع سارحي وعزيبي

(٤١) وإذا فزعتُ لجأتُ من أسدٍ إلى ... أسدٍ تأشَّبَ فى القنا المخضوبِ

ونزلتُ فى غُرفِ العلا متظلِّلا ... بالعزّ تحت رواقها المضروبِ

وعلقتُ منها ذمَّةً ومودّةً ... أن فات "حمّادٌ" بجبلِ "شبيبِ"

الماجد آبن الماجدين وربما ... تجدُ النجيبَ وليس بآبن نجيبِ

وآبن القرى وآبن الصوارم والقنا ... والخيلُ تخبطُ أرجلا بسبيبِ

والواهبِ ما لا يُجاد بمثلِه ... والسالبي ما ليس بالمسلوبِ

والراكبين الى ذوى حاجاتهم ... ظَهرا من الأخطار غير ركوبِ

جادوا فقال المالُ : سُحْبُ مواهبٍ ... وسطَوْا فقال الموتُ : أُسدُ حروبِ

وتنابعوا فى المجدِ يتنظمونه ، ... والرمحُ أُنبوبٌ على أنبوبِ

كانوا الأسنةَ فى "مَعَدٍّ" كلِّها ... والناسُ بين معاقدٍ وكُعوبِ

إن فوخروا شهدت لهم أيّامهم ... فيها بكلِّ معلَّمٍ مكتوبِ

يتوارثون مكارما مُضَريّةً ... إرثَ النبوّةِ فى بنى "يعقوبِ"

دَرَجوا عليها آخذين بحكمها ... لم يُفسدوا حسناتِها بعيوبِ

وجرى أبو الخملاتِ بطلبُ شأوَهم ... أكرِمْ به من لاحقٍ وطلوبِ

قالوا : الهمامُ ، فأفرجَتْ أبطالُهم ... لك عن طريق الضيغمِ المرهوبِ

لقبٌ يصدّق فيك معناه آسمَه ... ومن الرجالِ مُموَّهُ التلقيبِ

لك يا "شبيبُ" صباحَها ورواحَها ... عَقرُ الكماةِ بها وعَقرُ النيبِ

وعلى سلاحك أو سماحك أُركزتْ ... رايا تُها بفِنائها المطلوبِ

أصبحتَ غرّةَ مجدِها فبياضُه ... مستخرَجٌ من اونك الغربيبِ

وعلامةُ العربيّ دُهمةُ وجهه ... ومن الوجوه البيضِ غيرُ حسيبِ

والبدرُ أشرفُ طالعٍ فى أفقه ... وبياضُه المرموقُ فوق شُحوبِ
لله بيتُك أمنُه وجِفانُه ... والحق بين مَخافةٍ وجُدوبِ
ومكرَّماتُ النسلِ تُهوِن (١) فى القِرى ... بالمصطفى منها وبالمجنوبِ
وإذا الوَقودُ خَبَا جعلتَ لحومَها ... حطباً لنارِ الطارق المجلوبِ
من كلِّ مُشرِفةٍ تحدّث هامةً (٢) ... ورديفةٍ عن "صخرةٍ" (٣) و"عسيبِ" (٤)
الكُور (٥) فى وضح الصباح لظهرِها ... والسيفُ فى الظلماء للعُرقوبِ
حُدِّثتُ والخبرُ الجليُّ مصدَّقٌ ... عن سيبك المتدفِّقِ المسكوبِ
وشمائلٍ لك فى الندَى مطبوعةٍ ... كالتبر ليس صفاؤه بمشوبِ
وبما عَرفتَ فضائلى ووصفْتَها ... ورغِبتَ فى ودّى وفى تقريبى
فاستاق منك غريبَ أشعارى الى ... متوحِّدٍ فى المكرماتِ غريبِ
فبعثتُها لك فاتحا ما بيننا ... بابَ الوصال ونُهزةَ الترغيبِ
من كلِّ ساريةٍ بذكرك، صيتُها ... فى الأرض بين فدافدٍ وسُهوبِ
تزدادُ صبرا فى الزمان وقوةً ... أبدا على الإدلاج (٦) والتأويبِ (٧)
وهى التى شَجِيَتِ الملوكَ وخودِعوا ... منها عن المنفوسِ والمرغوبِ
فاستقربوها مغرَمينَ بها وما ... تزدادُ غير تمنُّعٍ ونُكوبِ
وتفرّدتْ فى ذا الزمانِ بمعجزٍ ... لم تُؤتَ من ردٍّ ومن تكذيبِ
فاعرف لها حقَّ الزياره بغتةً ... وتلقَّها بالأهلِ والترحيبِ

---

(١) تهون : تهين . (٢) يريد : من كلّ مشرفةٍ هامةً ورديفةٍ أى تابعة لها تحدّث عن صخرةٍ وعسيب كنايةً عما لهذه النوق من الضخامة والارتفاع حتى صارت تحكى الجبال . (٣) صخرة : جبل .
(٤) عسيب : جبل باليمن وقد تقدّم . (٥) الكور : الرحل . (٦) الإدلاج : السير بالليل .
(٧) التأويب : السير جميع النهار .

وآكرِمْ عليها تجتلبْ أخواتِهـا إن الصـلاةَ تتمُّ بالتعقيبِ
طلبتك تأملُ أن تنالَ بك الغنى فائنْ وفَيْتَ لها فغيرُ عجيبِ

* * *

قال وكتب بها الى الصاحب عميد الحضرة ذى الرتبتين أبى طاهر بن حمّاد ، وقد بلّغه جميلُ ذكرِه به ، وتشوّقُه اليه ، وآستحسانُه لشعرِه ، وكان قد واصلَه بهدايا يريدُ بها مفاتحتَهُ ، وسفَرَ فى ذلك أبو الحسَن المختار بن عُبَيد الله الذهبىّ لأجل ما كان بينهما من المودّة والصحبة بمكاتبةٍ جامعاً بين الحقّين

نظرةٌ منك ويومٌ "بالجريبِ"(١) حَسْبُ نفسى من زمانٍ وحبيبِ (٤٢)
فمَنِ الواقفُ بى بينكما جمعَ الفُوقَ(٢) على سهمٍ مُصيبِ ؟
وقفةٌ لا أشتكى من بعدِها غُلَّةَ الصدرِ ولا ذلَّ الغريبِ
يا آبنةَ "الجمرةِ"(٣) من "ذى يَزَنٍ" فى الصميمِ العِدِّ والبيتِ الرحيبِ
ما لكم — لا أجدبَ اللهُ بكم — يرتعى جارُكُمُ غيرَ الخصيبِ ؟
الجَدَى يمنعُه ذو جِدَّةٍ(٤) والجنابُ الرحبُ ينبو بالجُنوبِ
ورواحٌ دون أضيافِكُمُ تأخذُ السالمَ فيكم بالمريبِ
أتّقيكم والهوى يقدمُ بى وأغضُّ الصوتَ والدمعُ يَشِى بى
ومن الشِّقوةِ فى زورتِكم أنّ عينَ الرمحِ من عينِ الرقيبِ
لا يكن آخرَ عهدى بكمُ — يا وُلاةَ القلبِ — ليلاتُ القليبِ(٥)
يا لمَن ينكُص عن غِزلانكم وهو وثّابٌ على الليثِ الغضوبِ

---

(١) الجريب : اسم واد . (٢) الفوق : موضع الوتر من السهم . (٣) يريد بالجمرة : إحدى جمرات العرب وهى القبيلة لا تنضمّ الى أحد . (٤) الجدة : اليسار والسعة . (٥) القليب : اسم ماء بنجد .

ومتى العـزُّ؟ وفى أبيـاتكم أعينٌ تقهرُ سلطانَ القلوبِ
يا صَبا "نجدٍ" ويا بانَ "الغضا" أرفقا بى بالثنىِّ والهبـوبِ
وأسلما، لا مثلَ ما طاحَ دمى منكما بين نسيمٍ وقضيبِ
قَسمَ البينُ فما عـدَل بى غدرةَ الوافى وتبعيـدَ القـريبِ
وقضى الدهرُ فمالتْ صِبغـةً عُدَّ ذنبُ الدهرِ فيها من ذنوبى
وفؤادى يشتكى جَورَ النـوى وعِذارى يشـتكى جَورَ المشيبِ
كم أُدارى عَنَتَ الأيّام فى غَبْنِ حظّى وأُطاطِى للخطـوبِ ؟
وأرُدّ الحـزمَ فى أخوصِـه وهو هافٍ يتـعزّى للوثوبِ
قاعدا والجَـدُّ قد رحّلَ بى والمعـالى يتقاضَيْن ركوبى
جِلسـةَ الأعزلِ يأوى يدَهُ وسـلاحى بين كُورِى وجَنيبى
أمدحُ المثرين ظنًّا بهِمُ ربّما يُقـمَر بالظنّ الكذوبِ
كلُّ وغدِ الكفِّ منبوذِ الحيا طيِّبِ المحضرِ مسـبوبِ المغيبِ
يمنـح الرِّفـدَ وتَبقَى وفـدَه لِقَـةُ البخلِ بإدلالِ الوهـوبِ
يطلبُ المدحَ لِأن يفضحَهُ وهو قبلَ المدحِ مستورُ العيوبِ
قلتُ للآمالِ فيـه ـ كَذَبَتْ أُمُّهُ ـ : إن كنتِ آمالى نخيبى
جَابُ الأرضِ عريضٌ دونه وسُرَى العيسِ وإدمانُ اللّغوبِ
وغـلامٌ آخـذٌ ما طلبتْ نفسُه أو فائتٌ كلَّ طلوبِ
يقْـمحُ(١) الضـيمَ ولو أبصرهُ ليـلةَ العِشرِ على الماءِ الشّروبِ
ما أذلَّ الخصبَ فى دارِ الأذى وألذَّ العـزَّ فى دارِ الجُـدوبِ
يا بنى كلِّ نعـيمٍ ضاحكٍ فى حِمى وجهٍ من اللؤمِ قَطوبِ

(١) يقال : قمح البعيرُ اذا رفع رأسـه عن الشرب كارها له .

قـــد ملأنا كم على شـــارتكم (١) ويضيق الصدرُ فى البيت الرحيب
وعسى الدنيـــا التى أدّتـــكمُ تصـــطفينا من بنيها بنجيب
ماجدِ الشيمةِ ســـهلٍ ليـــلُه للقِرَى، صبٌّ إلى الحمدِ طَروب
يكسِبُ المـــالَ لأن يُتلفـــهُ والعلا فى يدِ متلافٍ كَسوب
تَخبُث الأيدى وفى راحتِـــه من نداه أرجُ المشـــتا المَطيب
كابن "حمّـــادٍ" ولا مثـــلَ له هل ترَى للبدر فرداً من ضريب
جاذبَ الرُّوّاضَ عن مِقـــوده مرِسٌ (٢) تُنكِرُه كفُّ الجَذيب
ودعا النـــاسَ الى تســـويده واسعُ الجمـــرةِ وهّاجُ الثُّقـــوب
أين يا سائقَها؟ أين بها؟ جمجمِ (٣) الآمال فى غير عزيب
جَمَعَ "الصاحبُ" من أطرافها وفى حيْرَى (٤) الطُّرقِ عَمياءِ النُّكوب
ضمَّـــها بالرأى حـــتى ٱلتأمتْ شُلَّتاها (٥) من شُـــذوذٍ وشـــذوب
ويد — لا تربتْ تلك يدًا — ربقـــةِ (٦) الجانى وفكِّ المستنيب (٧)
ســـنّتِ الدولةُ منـــه صارما شِرقَ الصفحةِ طعّانَ الغُروب
طَبعَ الأقبـــالُ من جوهرِه زُبْرةً تقدحُ نيرانَ الحروب
لو أطاعتـــه يدٌ حامـــلةٌ لم تُكذِّبْ صَبتاهُ عن ضَـــريب
جرّبوه ماضـــيا حيثُ مضى صادعَ الموحى ومحتـــومَ الغيوب
قَلِقًا يَنفِى الكرى عن وجهـــه علمُه أنّ المعالى فى الهبوب
أَلمعيًّا ســـوّدته نفسُـــه والمساعى قبلَ تسويد الشعوب

(١) الشارة : الحسن والزينة ، وفى الأصل : "شاربكم" وهو تحريف . (٢) المرس : ذو المراس والشدة . (٣) جمجم : أنخ . (٤) الوفى : ما شرف من الأرض . (٥) الشلة : البعد تطلبه . (٦) الربقة : العروة فى الحبل يشد به البهم . (٧) فى الأصل المستنيب .

قدَّمتْـــهُ صـاعدا عن قومِهِ مَصْعَدَ اللَّهـذَمِ[1] قُدَّامَ الكعوبِ
هَبَهبـوا منـــه بليثٍ فى الوغى قَرِمِ[2] الأظفارِ مشـتاقِ النّيوبِ
خيرِ من خَبَّتْ له أو وَخَـدتْ للجـدَى ذاتُ سَـنامٍ وسَبيبِ[3]
يأخذُ الحاجاتِ من حيثُ غلتْ غيرَ معذولٍ على حبِّ العُصوبِ
تحسَبُ الغـابةَ مما آجـنَتْهُ حومـةً بين عَقـيرٍ وتريبِ
ماضـيا لم يثنِـهِ عن قصـدِهِ هجمةُ الليلِ ولا طولُ الدؤوبِ
جَمَعَ الجـودَ الى اليأسِ كما شعشعَتْ نارٌ بماءٍ فى قضيبِ
راحةٌ لم يَعـلَقِ البخـلُ بها وفـؤادٌ لم يُسـفَّهْ بالوجيبِ
ولسانٌ يخصِمُ السـيفَ به يترك الفـارسَ عبـدا للخطيبِ
مَنْ رسولٌ سَـعِدتْ رحلتُـهُ — يومَ أدعوهُ بأبيكَ — مجيبى ؟
ناصحُ الجيبِ بمـا حمَّلتُـهُ حيثُ يَخشَى مُرسِلٌ غِشَّ الجيوبِ
لم أكلِّفْهُ سُرى اليـدِ ولم أتعسَّـفْه بأخطارِ الشُّهوبِ
عيسُـهُ مألومةٌ[4] يركب منها مضضُنا ظهرَ مِذلالٍ رَكوبِ[5]
تقسِـمُ الماءَ ببأعٍ مطـلَقٍ وفقارٍ[6] مُرسَـلِ الحبلِ[7] سَروبِ
صـعبةُ الخلقـةِ سهلٌ أرضها فهو بين اللبنِ منها والصَّليبِ
سار يا ليستْ عليـه خيفـةٌ ما وقاه اللهُ سَـوْراتِ الجَنوبِ
قل لنوتيِّـك : شَرِّعْ آمنـا حَدَثَ التيّارِ والمـوجِ العصيبِ
رِدْ بها "ميسانَ" واحبسها على الـ ـمَعقلِ الممنوعِ والوادى العشيبِ

(١) اللهذم : القاطع من الاسنة . (٢) القَرِمُ . ذو الشوق وأصله من القَرْم وهو شدّة الشهوة الى الطعام وكثر حتى قيل فى الشوق . (٣) فى الأصل "حنت" . (٤) مألومة : مستديرة ويريد بها السفينة . (٥) كذا بالأصل ولعله قد زِدَ هذا الشطر من "فاعلن" الى "فاعلاتن" وفى النسخة المطبوعة "يركبها" . (٦) الفقار : ما انتضد من عظام الظهر . (٧) فى الاصل "الخيل" وهو تحريف .

فاذا ضـاقت فعـلّقها "أبَا" طاهرٍ" تعلّق بفزاج الـكروب
والى ذى الرتبتيْن آبتـدرتْ فُرَص المجـدِ وحاجاتُ الأريب
قل له عَنّى : حيّتـك العُـلا بوكيفٍ من حَيَا الشكرِ صَبيب
وسَقَى عِرضَك ـ ما آستسقيته ـ بارقٌ من مِدَحى غـيرُ خَلوب
ترفُلُ الأحسـابُ فى روضـنِه مَرفَلَ الغـادةِ فى البُرْدِ القشيب
خيرُ ما آستثمرَ من غَرس الندَى وآجتنَى من غُصُنِ الجودِ الرطيب
وبذلتَ الوفْـرَ حتى آبتعتَـهُ هَمّ آدابك من حُسنٍ وطِيب
جاءنى أنّـك مشـعوفٌ به شَعَفَ العذرىّ بالخشف(١) الربيب
راغباً أن تصْطَفَى من جِدّه والفكاهاتِ بمـدحٍ أو نسيب
وتُحَلّى منـه عِقـدا ، باقيـا فخـرُهُ فى كلّ جِيـدٍ وترِيب
قلتُ : فضلٌ عَجَبٌ من دهرنا وهـو من فاعله غيرُ عجيب
ما تبالى حين تَستامُ العلا أخطيبُ الشمسِ أم أنتَ خطيبى
أنَا من يُعطيك مجـدا حاضرا ويُبَقّى لك مجـدا فى العَقيب
لا كقولٍ يطرد "السافى"(٢) به جذوةً تخمـدُ من قبـلِ اللهيب
كم يُمَنّينى عـلى سلطانِهـا نفْسَ مَرجُوٍّ ومَخشِىٍّ مَهيب
وآبتغَى بالمـالِ أن يشرِيَنى فترفّعْتُ فطارتْ عفّـتى بى
لكن آشتقتُ وقـد سُمّيتَ لى بسماتِ الفضلِ والجودِ الغريب
فاسـترعْ خيرَ هَـدِىٍّ(٣) وأَثِبْ خيرَ ما جادت به نفسُ مُثيب
واذا صرتَ نصـيبى منهُـمُ فقد آستوفيتُ من دهرى نصيبى

(١) الخشف مثلثة : ولد الظبى . (٢) لعله آسم شخص يعنيه . (٣) الهدىّ : العروس .

* * *

وقال وقد اتفق بُعدُ وزير الوزراء عميد الدولة أبي سعد ونزوله "أوانا"[1]، مستوحشا من سبب خافه ببغداد، وظهور التأسُّف ممن فيها على بُعده، وتلوُّح قُرب عَوده، فكتب اليه يبشّره بذلك، ويذكُر صحّةَ تفاؤله بالسلامة فى مثله، وأنفذها الى "أوانا" فى النّيروز

ترقّ، وتقسو "بالغوير" قلوبُ ... وتسألُ سكّانَ "الغضا"[2] وتُجيبُ

وتهفو على "ذات التقا" بحلومنا ... وجوهٌ تُريحُ الوجدَ[3] وهو عزيبُ

وقفنا ومنّا رابطٌ جأشَ قلبِه ... بريءٌ ومحمولُ العزاءِ مريبُ

تجاذَبُنا أيدى الحميّةِ والهوى ... وأبَى على الأشواقِ ثمّ نُجيبُ

تغالطُ ألحاظَ المها عن قلوبنا ... و"بالرمل"[4] قارىُّ السهامِ مُصيبُ

اذا أخفقَ القنّاصُ راح بكلّ ما ... يَرَى مُطعِمٌ للصيد منه كسوبُ

قضَى من دماءٍ ما استحلّ وحلّقتْ ... به نيّةٌ[5] عمّا أشاطَ[6] شَعوبُ

فما هو بعد "النّعف"[7] إلا عُلالةٌ ... أحاديثُ نفسٍ تفترى وتحوبُ

تَسرُّك منها والدجَى فى قميصه ... زخارفُ يحلو زُورُها ويطيبُ

فتطرَبُ والشادى بها سامرُ المنى ... وتشربُ ما يَسقِى وجفنُك كُوبُ

حمى الله عينا من قذاها على اخمى ... تجِفُّ[8] ضروعُ المزنِ وهى حَلوبُ

---

(١) أوانا : اسم بلدة. (٢) هذا البيت ورد فى الأصل هكذا رسما وشكلا :

"ترقّ وتقسو بالغُوير قلوبُ * ويُسألُ سكانَ الغضا ويُجيبُ"

ولمّا لم نوفّق الى معنى نطمئنّ اليه اضطررنا الى تصحيفه. (٣) فى الأصل "غريب" وهو تحريف.

(٤) القارىّ : نسبة الى قبيلة اسمها "القارة" وهم رماة ومنه المثل "أصيد من القارة من راماها".

(٥) عما أشاط : عما عرّضه للقتل. (٦) شعوب : منشعبة. (٧) النعف : اسم بلدة.

(٨) فى الأصل "تخفّ" وهو تحريف.

اذا قلتُ : أفنى البرق جَمَّةَ مائها ... مراها مرورُ البرقِ وهي جَنوبُ

بكت وغديرُ الحيِّ طامٍ فأصبحت ... عليـــه المطايا الحائماتُ تَلُوبُ[1]

وما خلتُ قبلي أنَّ عينا رَكِيَّةً ... ولا أنّ بلح الماقِبَيْنِ[2] شَروبُ !

وليلةَ "ذاتِ ابانٍ" ساهرتُ طالعا ... من النجم لم يُكتَبْ عليـه غروبُ

أسائلُ عن نومي وضـوءِ صباحها ... وأعيا ، فأيّ الغائبين يؤوبُ ؟

سَرتْ تخبط الوادي الىّ وصُحبتي : ... طريحٌ عـــلى أقتابِهِ وكَئيبُ

أناخوا الى تعريسةٍ[3] قلَّ عُمرُها ... فما هي إلا خَفقةٌ وهبـــوبُ

فللريحِ منهـــم أعينٌ ومسامعٌ ... وللترب منهـــم أذرعٌ وجُنوبُ

فزارت فحيَّت ممسكا بفـــؤادِهِ ... له نازعٌ من شوقه وجَـــذيبُ

فيا لك باقي ليـــلةٍ لو تخلَّصتْ ... من الغِشِّ يُقذى صفوها ويشوبُ

ولكن نهاني الخوفُ : قم أنت مدركٌ ، ... وصاحَ الظلامُ : الصبحُ منك قريبُ

ولم أدرِ أنَّ القربَ عينٌ حفيظةٌ ... عليّ ولا أن الوصـالَ رقيبُ

يخوفني عضَّ الزمانِ ، ومنكبي ... رَديدٌ على حملِ الزمانِ جليبُ

تعـــودتُهُ لا خاضـــعا لخطوبه ... وكيف وكلُّ العيش فيـه خطوبُ ؟

وكم غمـزةٍ في جانبي لم أقل لها : ... أَلِمتِ ، وجُرحي ـــ لو شكوتُ ـــ رغيبُ

تعـــمّق فيهـا مُخلِبـا ومُنيبـا[4] ... وأقلعَ والنبـــعُ[5] الأصمُّ صليبُ

وهل أتغطّى منـــه خوفا وموئل ... جنـــابٌ منيعٌ للوزير رحيبُ ؟

ودونيَ منه إن مشى نحويَ الأذى ... طِـــرابٌ تدمّى الناعلاتِ وأُوبُ

---

(١) تلوب : تحوم حول الماء من العطش ، ومنه : إبل لُوَّب . (٢) الماق : مجرى الدمع من العين أو طرفها من جهة الأنف . (٣) التعريسة : الاستراحة فى آخر الليل . (٤) أى باحثا بمخلبه ونابه . (٥) النبع : شجر تعمل منه الرماح .

وحصداءُ[1] من نُعماه، كلُّ مسدَّدٍ ... له حَيَدٌ عن سَردها ونُكوبُ

حمانى من الأيّام أروعُ لو حمى ... شبابيَ لم يُقدِمْ عليه مَشيبُ

رعَى "شرفُ الدين" العلا برعايتى ... فما شَمَّ ريحا حول سرحيَ ذيبُ

أثرْ بُزلَها[2] يا طالبَ المجدِ والغنى ... وخاطِرْ بها فابنُ الخطارِ نجيبُ

وطرِّقْ هواديها الجبالَ وخلِّها ... تجوبُ مع الظلماءِ حيث تجوبُ

تقدَّمْ بها فالسعدُ بالمرءِ مقبِلٌ ... ولا تهيَبْ فالشقاءُ هَيوبُ

أقِمْ بنى "عبد الرحيم" صدورَها ... اذا حطَّ منها أو أمالَ لُغوبُ

وغنِّ بهم أسماعَها إن حدوتَها ... تحِنّ اذا حنَّت لتطرَبَ نِيبُ

ففى العيس قلبٌ مثلُ قلبك ماجدٌ ... وسمعٌ الى ذكرِ الكرام طروبُ

تيمَّمْ أعالى "دجلةٍ" فانتحِ "شامةً"[3] ... بحيثُ تُبَلُّ العيشَ وهو جديبُ

وناصِ بها فرعَ "الدُّجَيلِ"[4] فعندَه ... مَرادٌ يعمُّ الوافدين عَشيبُ

وقلْ "لعميد الدولة": اسمعْ فإنها ... مَلاحمُ إن فتَّشتَها وخُطوبُ

لحظتَ ذَرا أعجازها من صدورها ... وبعضُ ظنونِ الألمعىِّ غيوبُ

وداويتَها بالرأى حتى كفيتَها ... وما كلُّ آراءِ الرجالِ طبيبُ

عجِلتَ لها مستأنيا ما وراءها ... وللأمرِ بادٍ ظاهرٌ وعَقيبُ

خلَصتَ خلوصَ التبرِ منها سبكتَها، ... عليك وميضٌ صادعٌ ولهيبُ

وقالوا خطاءٌ: مسرعا متعجلا، ... وقد يتأنّى فى الأمور طَبوبُ

وأهونَ بالتقريرِ فيها كأنه ... بجِدّ الخطوبِ المثقلاتِ لَعوبُ

وما علموا أنَّ السهامَ مَوارقٌ ... ولا أنّ خَطواتِ الأسودِ وُثوبُ

(١) الحصداء: الدرع المحكمة. (٢) البزل جمع بازل وهو الجمل المسنّ. (٣) دجلة وشامة: اسما نهر وجبل. (٤) يقال: ناصاه: أخذ كل منهما بناصية صاحبه والدجيل: شعب فى بغداد.

سهرتَ ونامَ الغمرُ عما رأيتَهُ ... ففزتَ، وطرفُ الألمعيِّ رَقوبُ

كأنَّ لك اليومَ المنعَّمَ صبحةً[1] ... ويومُ الحريصِ المستغرِ عصيبُ

وقالوا: طَوَى "بغدادَ" بغضاً وساوةٌ ... و"بغدادُ" مغنًى للحياةِ خصيبُ

وظُنُّوك إذ فارقتها أنَّ قلبَها ... على قلةِ الإعراضِ عنك يَطيبُ

وقد تظعنُ الأشخاصُ والحبُّ قاطنٌ ... ويكثرُ هجرُ البيتِ وهو حبيبُ

وما المِلكُ إلا جَنَّةٌ عمَّ نورها ... ومذ غبتَ عنها سُهمةٌ وشحوبُ

فكيف غدت شلاءَ[2]! لا بدمِ العدا ... ولا بعطارِ الغانياتِ خضيبُ!

بكى وحشةً وهو المغيضُ دموعَهُ ... وأنَّ لحَرِّ الجُرحِ وهو ضريبُ

وكنتَ له وجهاً ضحوكاً فبشرُهُ ... عُبوسٌ — وقد فارقتَه — وقُطوبُ

يُوَرِّي[3] حياءً والندامةُ غُصَّةٌ ... لها خَدشةٌ في صدرِه ونُدوبُ

الى ماجدٍ في صدرِه قمرُ الدجى ... اذا تمَّ، راضٍ والهزبرُ غَضوبُ

تُقبِّلُ منه راحةٌ تقتلُ الصدَى ... تَعلَّمَ منها المزنُ كيف يصوبُ

رسَتْ في الندَى حتى استقرَّت عروقُها ... من البحرِ، والعرقُ الكريمُ لَصوبُ[4]

يدٌ، تعجبُ الأقلامَ من أُنسِ سيفِه ... بها، وهو فيما بينهنَّ غريبُ

اذا اختصموا، قالت: تأخَّرْ، فإنما ... لنا السبقُ، فاتبعنا وأنت جنيبُ

فيأبَى له الحدُّ المصمِّمُ أنه ... يؤخَّرُ والأقلامُ عنه تنوبُ

وتجري هَناتٌ بينهنَّ وبينه ... يُحكِّمُ فيها فارسٌ وخطيبُ

فيجعلُ للأقلامِ فيها نصيبَها ... بحقٍّ، وللسيفِ الحسامِ نصيبُ

وقد زعموا أنَّ الحجا متكهِّلٌ ... وأنَّ رجالاتِ السيادةِ شِيبُ

---

(١) الصبحة: نوم الغداة. (٢) شلاء: متعطِّلة الكفّ. (٣) يورِّي: يتقد.
(٤) اللصوب: الناشب اللاصق.

فلله منـــك المنتهى فى آقتبـالِهِ ... ومَنْ رَبَّ أمرَ النـاس وهو ربيبُ

ومَنْ بسقتْ أغصانُه فتفرّعتْ ... على الشـــجرِ العادىّ[1] وهو قضيبُ

ولا تُبلِ أثوابَ الوزارةِ بعـــد ما ... كستك بهـا الأيّام وهى سليبُ

تَقمَّصَها قومٌ وما خُلِقتْ لهـــم ... فهانوا، ومن بعض الجَمـالِ عيوبُ

ألنتك فصـار الرقّ فى يدِ مالكٍ ... وقـــد دنّســـتها بِذلةٌ وغُصوبُ

وسـالَمَ معناها بســـوددِك آسمَها ... وبينهـــما فى آخرين حروبُ

تَنـافَى بيوتُ معشـرٍ وبيوتُهـا ... وأنت لهـا فى جانبيك نسـيبُ

فما بيت "إسماعيلَ" عنها بنازحٍ ... ولا أنّ بهـا "عبدُ الرحيم" غريبُ

فلو هبَّ مَيْتٌ من كراه فقام أو ... تطلّعَ مرموسُ[2] الجبين تريبُ[3]

لَقرّتْ عيونٌ أو لسُرّتْ مَضـاجِعٌ ... بأنّـــك مـــبراتٌ لهـا وعقيبُ

إذنْ لرأت منك الذى الشمسُ لا تَرَى ... بأنجمها فى الأفق حين تغيبُ

نَشرتَ لهـــم فخرا يعيشُ حديثُـهُ ... ويخلُقُ[4] عمرُ الدهر وهو قشـيبُ

لئن عَمَّ شرٌّ أو أُسِرّتْ ضَـــغائنٌ ... ببـغيٍ، فإنّ الله عنك حسيبُ

وقـد علمتْ نجوى رُقاك عقاربٌ ... لهـا نحـــوكم تحت الظلام دبيبُ

ولم تك إلا هفـوةً وآستقالهـا الـ ... ـزمانُ وذنبا وهو منـــه يتوبُ

ولا بدَّ للإقبال من يومِ عَودةٍ ... تدافعُ عنـــه العينُ حين تصيبُ

وكم رافعٍ لى بالعـــداوةِ صـــوتَهُ ... يُهِيبُ فى إبعـــادِهِ ويُهيبُ!

قوبأً على ظلمى بسيفِ عدوّكم ... وعهـــدى به بالأمس وهو يخيبُ

يظُنّ ـ وحاشاكم ـ عُراى تقطّعتْ ... وأنّى أخيـــذٌ[5] والزمان طليبُ

---

(١) العادىّ : القديم . (٢) المرموس : المدفون فى الرمس . (٣) التريب : المعفّر بالتراب . (٤) يخلق : يبلى . (٥) الأخيذ : الأسير .

وأنّ قنانى بعدكم ستليمُها ... ضُروسٌ له مذروبةٌ ونُيوبُ
ولم يدرِ أنّ "الشامَ" لو حالَ دونكم ... وزيلتُه(١) عنكم لكنتُ أصيبُ
فقلتُ: لفيكَ الترب أو فوقَ الحصَى ... تغيبُ أُسودُ الغابِ ثمّ تؤوبُ
غداً تُطلِعُ الرايات ـ والنصرُ تحتها ـ ... كتيباً(٢) يولّيه النجاحَ كتيبُ
(٤٦) تَرَى المجدَ فى أطرافها خافقَ الحشا ... سروراً بما ضمّت وأنتَ كثيبُ
و"بغدادُ" طلقٌ وجهُها متبسّمٌ ... ولُلكِ من بعدِ الخمودِ شُبوبُ
بشائرُ لى فى مثلهنّ مواقفٌ ... أصدّق فيها والزمانُ كذوبُ
بحربةٌ فيكم كأنّ عيونَها ... لها خلفَ أستارِ الغيوبِ ثُقوبُ
تمرّ لكم طيرى يميناً بزجرها ... على مَشهدٍ منى وحينٍ أغيبُ
نشدتكمُ بالله كيف رأيتمُ ... (٣)مَناجحَها، والعائفات(٤) تخيبُ
فقولوا: نعمْ وُفّقتَ، وارعوا ذِمامَها ... غداً، وغدٌ للناظرين قريبُ
بكم يابنى "عبد الكريم"(٥) انجلَى القذَى ... وأصبحَ وعرُ الجودِ وهو لحيبُ(٦)
اذا أجدبتْ أرضى وسُدّتْ مَواردى ... فعندكمُ لى روضةٌ وقليبُ
ولما رأيتُ الحبّ فى الهزلِ(٧) سُنّةً ... عشقتكمُ، والعاشقون ضُروبُ
فمَن يُعطِ منكم طالباً فوق حقّهِ ... ففى دَينِ لازمٌ ووُجوبُ
فلا قَلصتْ عنى سحائبُ ظلّكم ... فمنها مُرِدٌّ(٨) تارة وسَكوبُ

---

(١) فى الأصل: زلّيته ولم نعثر على هذه الكلمة فى كتب اللغة ولعلها محرفة عن "زيلته".
(٢) الكتيب: الفرقة من الجيش. (٣) العائفات: الزاجرات للطير. (٤) فى الأصل: "تجيب" ولعله تحريف. (٥) كذا بالأصل ولعله "عبد الرحيم" كما يعيّنه قوله قبل ذلك فى نفس هذه القصيدة * أتم يابنى "عبد الرحيم" صدورها *
وقد ورد ذكره لهذا الاسم فى عدة قصائد. (٦) اللحيب: الواضح. (٧) الهزل: الافتقار والضيق. (٨) المرِدّ: السحاب الذى يرمى بالرذاذ وهو المطر الضعيف.

ولا عـدِمتكم نعمةٌ خُلقتْ لكم ودنيا لكم فيها الحياة تطيبُ
يزورُكم النَّيروز مقتبلَ الصِّبا وقد دبَّ فى رأس الزمان مشيبُ
تصوّح أغصانُ الأعادى وغصنكم من السعد ريَّانُ النباتِ رطيبُ
دعاءٌ حيالى فيه ألفُ مؤمِّنٍ[1] نَوافقُ منهم ألسنٌ وقلوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى أبى الحملات شبيب بن حمّاد بن مَزْيَد ، يعاتبه على تأخير رسمه ، وتغافلِه عن مقابلة قصائدَ أنفذها الى حضرته ، وذلك فى شعبان سنة عشرين وأربعمائة

ألا مَن مبلغٌ "أسدا" رسولا متى شهِدَ النَّدىّ فما أغيبُ
وعوفٌ منهمُ أربى ، "فعوفٌ" عيونُ "خُزَيمةٍ"[2] ، وهم القلوبُ
أفرسانَ الصباح اذا اقشعرّتْ من الفزع السنابك والسبيبُ
وضاق مخارجَ الأنفاسِ حتّى تُفرَّجَ عن سيوفكم الكروبُ
ويا أيدى الحيا والعامُ جدبٌ ووجهُ الأرض مغبرٌّ قطوبُ
مجازرُ تُفهق[3] الجفناتُ منها ونارُ قِرًى شرارتُها لهيبُ
اذا جَمدَ الضيوفُ تكفّلتهم لها فِئَةٌ وأسنمةٌ تذوبُ
ويا أقمارَ "عدنانٍ" وجوها يشفُّ على وَضاءتها الشحوبُ
أصيخوا لى فلى معكم حديثٌ عجيبٌ يوم أنشوه[4] غريبُ
متى أنصفتُمُ فالحقّ فيه عليكم واضحٌ لى والوجوبُ
وإن أعرضتُمُ ورضيتموه فإنّ المجدَ منعِضٌ غضوبُ

(١) فى الأصل "معين" . (٢) السنبك : طرف الحافر . (٣) تُفهق : تُملأ .
(٤) أنشوه : أشيعه وأحدث به .

حديثٌ لو تلوه على "زهيرٍ" غدا من مدحه "هَرِمًا" يتوبُ
بأىّ حكومةٍ وبأىّ عـــدلٍ أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ ؟
وكم أعراضكم تزكو بمـدحى وتنجحُ والمنى فيكم تخيبُ !
تردُّونَ الغُصـوبَ بكلّ أرضٍ وتوجَـدُ فى بيوتكم الغُصوبُ !
وتحمون البلادَ وفى ذَراكم حريمُ الشّـــعرِ منتهَكٌ سليبُ !
وعنـــدكُمُ لكلِّ طريدِ قومٍ جِوارٌ مانعٌ وقِـــرًى رحيبُ !
وأبكارٌ وعُونٌ من ثنائى عجائفُ، عيشُها فيكم جديبُ !
محبَّبـــةٌ اذا رُوِيَتْ فإنّا طلبتُ مهورَهنَّ فلا حبيبُ
اذا أحسنتُ فى قولٍ أُساءُ الـ ـفعالَ كأنّ إحسانى ذنوبُ
أجرُّ المَطْلَ عامًا بعـــد عامٍ مَواعـــدَ برقُها أبدًا خـلوبُ
ويا للنّـاسِ أَسلُبُ كلَّ حَيٍّ كرائمَهُ ويَسلُبنى "شَبيبُ" !
أمدُّ اليـــه أرشيةَ(١) المعالى فيعطِشُنى وراحتُـــه القَليبُ
وأُلبسُـــه ثيابَ المدحِ فخرا فيُمسِكُ لا يُجيبُ ولا يُهيبُ
ويسمحُ خاطرى فيـــه ابتداءً ويمنعُ وهـــو بذّالٌ وهوبُ
ولم نَعرِفْ غلاما "مَزْيَدِيًّا" بناديه السماحُ فـــلا يُجيبُ
ولو ناديتُ من كَثَبٍ "عليًّا" تدفّق ذلك الغيثُ السَّكوبُ
وَمنَّ على عوائده القُـــدامَى مُضِىَّ الريح جدَّ به الهُبوبُ
ولو "حمّـادُ"(٢) يرقو لى صداه لَأُكرِمَ ذلك الجســدُ التريبُ
أُصـولكُمُ وأجدرُ إذ شهدتم مقـامَ علائهـــم ألّا يغيبوا
فما لك يا "شبيبُ" خَلاكَ ذمٌّ تَجِفُّ وعندك الضَّرعُ الحلوبُ ؟

(١) فى الأصل "أرسنة" . (٢) يرقو : يصيح .

obeikandl.com

وما خُـريدةٍ خفيتْ لديكم ... تكادُ عـلى طُفولتها تشيبُ
محلَّلة النكاحِ بلا صَـداقٍ ... وذلك عنـدكم إثمٌ وحُوبُ
يَطيبُ الشيءُ مرتخصا مباحا ... ومُرتخَصُ المدائحِ لا يطيبُ
فأين حياءُ وجهِك يوم تُحدَى ... بها فى وصفك الإبلُ النُّغوبُ ؟
وأين حياء وجهك فى البوادى ... اذا غنَّى بها الشادى الطروبُ ؟
وكيف تقول: هذا وصفُ مجدى ... فلا أُجدِى عليـه ولا أُثيبُ ؟
وكم نَشَزتْ[1] على قومٍ سواكم ... فلم يعلَقْ بها الرجلُ الطَّلوبُ
وراودنى ملوكُ النـاس عنها ... وكلٌّ باذلٌ فيهـا خطيبُ
فلم يُكشَفْ لها وجهٌ مباحٌ ... ولم يُعرَفْ لها ظهرٌ ركوبُ
فلا يَغُرُرْكَ منهـا مَسُّ صِـلٍّ ... يلين وتحت هَـدْأته وُثوبُ
أخافُ بأن يعاجِلَنى فيطغَى ... فتُصـبح[2] بالذى تُثنِى تَعيبُ
وتَشرُدَ عنكُمُ متظلِّماتٍ ... وتبغون الإياب فلا تؤوبُ

* * *

وقال وكتب بها الى عميد الرؤساء أبى طالب بن أيّوب، وقد استقرت له وزارةُ الإمام القادر بالله رضوان الله عليه مكانَ أبى الحسن بن حاجب النعمان، يذكر ذلك ويهنّئه بالنَّيروز الواقع فى شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

جاء بهـا ــ والخيرُ مجلوبُ ــ ... طيفٌ على الوَحـدةِ مصحوبُ
طوى الفـلا يركب أشواقَه ... والشـوقُ فى الأخطار مركوبُ
سـاعةَ لا مَسرَى عـلى شقّةٍ ... تَعيا بهـا الـرُّزْلُ المصـاعيبُ
يرغبُ فى الظلمـاءِ مستأنسـا ... وجانبُ الظلمـاءِ مرهـوبُ

(١) نشزت : امتنعت ، وفى الأصل "نشرت" وهو تحريف (٢) أى فتصبح قصائده

أحسنَ بى حتى تخيلتُه ... أصدقَ شيءٍ وهو مكذوبُ
أنى تسمّيتَ لنا "باللوى" ... "وصارةٌ" دارك "فاللوبُ" (١)
وبيننا عَمياءُ من أرضكم ... دليلُها أبلَهُ مسلوبُ
لا يهتدى الذئبُ الى رزقِه ... فيها ولو شَمَّ بها الذيبُ
فزرتَ شُعْثًا طاف ساقى الكرى ... عليهمُ والطاسُ والكوبُ
فما تدلّى النجمُ حتى آلتوى ... مماكسٌ (٢) منهم ومِشْرِيبُ
بِتُّ ورحلى بك رَيحانةٌ ... نمَّ عليها الحسنُ والطيبُ
كأنما ذيلُ الصَّبا فوقها ... بالقَطرِ أو ذيلُكِ مسحوبُ
يا آبنةَ قومٍ وجدوا ثأرَهم ... عندى بها والثأرُ مطلوبُ
لولاكِ — والأيام دوالٌ — ما ... آستعبدَ الفُرسَ الأعاريبُ
أراجعٌ لى بضمانِ المنى ... "ملحوبُ" أو ما ضمّ "ملحوبُ"؟ (٣)
وصالحاتٍ من ليالى الحِمى ... ما شابَها إثم ولا حُوبُ
لهوىَ نُسكٌ ووجوهُ الدمى ... تحت دجاها لى محاريبُ
وذاهلٍ عابَ حنينى لها ... ولم يعِبْ أنْ حنّتِ النيبُ
قال: سَفاهٌ ذكرُ ما قد مضى ... وظَنَّ أنَّ اللومَ تأديبُ
مالكَ؟ لا أحببتَ إلا وِمن ... فوقك سوطُ العذلِ مصبوبُ
إنْ أَبْكِ أمرا بعد ما فاتنى ... فقد بكى قبلِىَ "يعقوبُ"
وأنكرَ الصبوةَ من شائبٍ ... حتى كأنْ ما صبتِ الشّيبُ!
وهل عَدَتنى شيبةٌ فى الحشا ... إذ مَفرِقى أسودُ غِربيبُ

(١) اللوب وما قبلها: أسماء مواضع. (٢) الماكس: المشاكس. (٣) ملحوب: اسم موضع.

لا لاقطٌ فيها ولا خاضبٌ والشَّيبُ ملقوطٌ ومخضوبُ
يَغلبُ فيها الحبُّ أمرَ النُّهى والحزمُ بالأهواءِ مغلوبُ
أَمَا تقنَّعتَ بها رِبَّةً لابسُها عُريانُ مسلوبُ؟
تلاقتِ الأوجهُ مَقتاً لها عنِّى فمُزورٌّ(١) ومقطوبُ
ناصعةٌ فى العينِ لكنّها تُبغَضُ، والناصعُ محبوبُ
فقد أراها وضيا وجهِها لى شَرَكٌ فى البيضِ منصوبُ
أيامَ فى قوسِ الصِّبا مَنزَعٌ ونَبلُهُ المكنونُ مَنكوبُ
وقد أزورُ الحىَّ مُستَقبِلاً، لى منهُ تأهيلٌ وترحيبُ
وأَغشِمُ(٢) البيتَ بلا آذنٍ وهو على الأقمارِ مضروبُ
وأَشهَدُ النادى، فمستعبَدُ الـ ـسمعِ بآياتى ومخلوبُ
ومُوصَدُ الأبوابِ ناديتُهُ حتى بدا لى وهو محجوبُ
خادعتُ من سلطانِه صخرةً فانبجَستْ(٣) لى وهْى شُؤبوبُ
ورحتُ عنه والذى يَملكُ الـ ـمملوكُ والغاصبُ مغصوبُ
فاليومَ إنْ صرتُ الى ما ترَى فهْى لليالى والأعاجيبُ
آنسنى بالعُدمِ توفيرُه عِرضى وأنَّ المالَ موهوبُ

(١) المزور: المائل بجنبه، والمقطوب الذى به عبوس. (٢) أغشم البيت: أدخله غصبا، وفى الأصل "أعشم" وهو تحريف، وقد شككنا فى صحة هذه الكلمة حتى أكدها قوله فى هذه القصيدة

ما هجمتْ غَشْمًا ولا منه تدرّجٌ فيها وترتيبُ

وقوله فى قصيدة أخرى

تَعلَقُ بالآذانِ موصولةً غَشْمًا بلا إذنٍ ولا حاجبِ

(٣) انبجست: تفجرت.

جَرَّبْتُ قـــومًا فتجنَّبْتُهـــم ... ورُسُـــلُ العـــقلِ التجاريبُ

وزادنى خُـــبرًا بمن أتَّـــقِى ... أنّى بمـــن آمنُ منكوبُ

قل لأخى الحِرص : أسترِحْ بِمَا ... حَظُّـــكَ إدلاجٌ وتأويبُ

اذا الحظوظ انصرفتْ جانبًا ... لم يُغنِ تصـــعيدٌ وتصـــويبُ

مالكَ تحتَ الهُونِ مسترزقًا؟ ... وإنما رزقُـــك مكتوبُ

لا تذهبنَّ اليـــومَ فى ذِلةٍ ... فاليومُ من عُمـــرك محســـوبُ

وإن جهدتَ النفسَ فى مكسَبٍ ... فالمجدَ، إنَّ المجدَ مكسوبُ

جَدَّ ابنُ "أيّوبَ" ولو قد ونى ... كفاهُ ما شَـــيَّدَ "أيّوبُ"

رأى رُوَيدَ السير عجـــزا به ... فســـيرُهُ حُضْرٌ وتقـــريبُ

سما الى المجد، فقال العـــدا : ... له طـــريقٌ فيـــه ملحوبُ

ساد طـــريرَ الماءِ[1] حتى انتهى ... والشَّـــيبُ فى فوديه أُلهوبُ

والرمحُ لا يُذْرَعُ[2] إلا إذا ... تكامَلَتْ فيـــه الأنابيبُ

أضحى وزيرُ الدِّين ذا مَغرَمٍ : ... وزارةُ الدنيا وتعـــذيبُ

رتبـــةُ عِزٍّ، نخـــرُها عاجلٌ ... وأجرُها ذُخـــرٌ وتعـــقيبُ

ما هجمتْ غَشْمًا ولا ضـــرَّه ... تـــدرّجٌ فيها وتـــرتيبُ

وزارةٌ ما زال من قومـــه ... مُعـــرَّقٌ[3] فيها ومنســـوبُ

أبناءُ "عبّاسٍ" و"أيوبَ" مـــذ ... تفـــرَّعوا ربٌّ ومربوبُ

خـــلائفُ الله وأنصـــارُهـــم ... فصاحبٌ طابَ ومصـــحوبُ

(١) طرير الماء : غضاضته . (٢) يذرع : يقاس بالذراع . (٣) المعرق : العريق .

لا ودُّهم غِلٌّ ولا حبُّهم ... يوما بغدرِ الكفِّ مقضوبُ

جارُهمُ يؤكل فى جَورهم ... ومالُهمْ بالإفكِ منهوبُ

وما على مُقْصِ سواكُمْ اذا ... أدناكمُ فى الرأى تثريبُ

لا تلكم العاداتُ منكم ولا ... أُسلوبكم تلك الأساليبُ

باسم عميدِ الرؤساءِ الذى ... ما زاد فى معناه تلقيبُ

رُدَّ عليها بعدَ ما أُيِّمتْ ... أبناؤها الغُرُّ المناجيبُ

اكيفَ الذى(١) آستكفَوْك وآحملْ لهم ... ما تحملُ الصُّمُّ الأهاضيبُ

مُلملمَ الجنبِ أمينَ القُوى ... وكلُّهم أدبرُ(٢) مجلوبُ

وقُدْ أعاديك بأرسانهم(٣) ... قَسْرًا فركوبٌ ومجنوبُ

وآرتعْ من الدولة فى ظُلةٍ ... رواقها بالعزِّ مطنوبُ

محميَّةِ الروضةِ مرقيةٍ ... والروضُ بالرُّعيانِ(٤) مسلوبُ

أفيائُها(٥) فيحٌ(٦) وماءُ الحيا ... فى ظلِّها السابغ مسكوبُ

وآصحبْ من النَّيروزِ يومًا يفى ... بالعزِّ إن خان الأصاحيبُ

يكُرُّ بالإقبالِ ما خولفتْ ... صدورُ دهرٍ وأعاقيبُ

(١) الذى بمعنى الذين وهو فى الجمع كالواحد .

(٢) الأدبر : البعير تصيبه القرحة .

(٣) الأرسان : الحبال .

(٤) الرعيان جمع راع وهو معروف .

(٥) الأفياء جمع فىء وهو الظل .

(٦) فيح : فساح .

يغشاكُمُ يخـــدمُ إقبالَكم ما حنَّ للفُـــرجَةِ مكروبُ
لا تستجيرون "بعمرو"(١) ولا واعدّكُم بالعُمرِ "عُرقوبُ"(٢)

* * *

وقال وكتب بها الى بعض أصـدقائه من الكتّاب ، وهو المهذب أبو المنصور الحسن بن علىّ بن المزوع ، وكان غائبا فقدم يغبط له بالورود ، ويحثّـه على التزام حاجةٍ له كان ابتداء الشروع فيها بعد عتابه إياه على تفريطه فيها

من ناظرٌ لى بين "سَايِح"(٣) و"قُبّا" كيف أضاء البرقُ أم كيف خَبَا ؟
نبّهنى وميضُـــه ولم تَـــنَمْ عيـــنى ولكن رَدَّ عقلا عَزَبا
قرّتْ له بنـاتُ قلبى خافقـا(٤) وآستبردتْه أضالعى ملتهبا

---

(١) يريد الإشارة الى عمرو الملقّب "جسّاس" وقصته أنه طعن "كُلَيباً" أخا "المهلهل" التغلبىّ صاحب حرب البسوس فألقـاه على الأرض فقال له "كُلَيب" : يا "عمـرو" أغثنى بشربة ماء فأجهز عليه وفى ذلك يقول الشاعر

المستجير بعمرو عنـد كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفى مجمع الأمثال للميدانى

المستغيث بعمرو عند كربتـه كالمستغيث من الرمضاء بالنار

والمشهور "المستجير" الخ

وقد سار هـذا البيت مثلا يضرب لمن يستجير فيزيده المستجار بلّية على بليّته . (٢) عُرقوب رجل من العمالقة وقصته أن أخًا له أتاه يسأله فقال له عرقوب : اذا أطلعت هـذه النخلة فلك طلعها فلما أطلعت أتاه للعِدَة فقال : دعها حتى تصير بلحا ، فلما أبلحت قال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطبا ، فلما أرطبت قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت عمد اليها عرقوب فى الليل فجدّها ولم يعط أخاه شيئا فصار مثلا فى الخلف . وقال الاشجعىّ

وعَدتَ وكان الخلفُ منك سجيةً مواعيـدَ عرقوب أخاه بيَثْرِبَ

و"يَثْرِب" بالثاء والراء المفتوحة موضع باليمامة وبعضهم يقولها "يثرب" بالثاء وكسر الراء وهو خطأ .

(٣) سلع وقباء وبقصر موضعان . (٤) بنات قلبى : خواطرى وهواجسى .

كأنه يحلو ثنايا "بالغضا" رُوقًا[1] ويبلُّ لَمًى أو شَنَبا

يا لبعيدٍ من "مِنًى"، دَنَا به يوهمني الصدقَ بريقٌ كذَبا

ولنَسيمٍ سَحَرٍ "بحاجرٍ" رَدَّتْ به عهدَ الصِّبَا ريحُ الصَّبا

أليلةً، ما فتح العطَّارُ عن أعبقَ منه نَفَسًا وأطيبا

سل مَن يدُلُّ الناشدين "بالغضا" على الطريد ويرد السَّلَبا؟

أراجعٌ لي؟ والمُنى هَلْهَلَةٌ[2] فطالعُ نجمُ زمانٍ غَرَبا

وطوفةٌ بين القِبابِ "بِمِنًى" لا خائفًا عينا ولا مرتقبا

مستقبلًا بهاتُها وهاهُنا مقترعًا عليّ أو مجتذبا

ألقَى الوصالَ مسفرًا لي وجهُهُ والغدرُ لي مع قبحه مستقبا

هنالك مَنْ باعَ الهوانَ حِلمُهُ بالخُرْقِ[3] عدَّ الحازمَ المجرَّبا

ولائمٍ ملتفتٍ عن صَبْوتي يُنكرها، ولو أحبَّ الصَّبا

اذا نَسبتُ بهوى ساءه مُصَرِّحًا ولو كَنَيْتُ غَضِبا

---

(١) روق جمع أروق وهو الذي تطول ثنايا العُلا مُشَفَّرُ . (٢) في النسخة المطبوعة "تعلّة" وفي الأصل "طلهلة" ولم نوفق الى معنًى لها يتّفق والسياق إلا على وجه بعيد، فمن معانيها "الدانى والانتظار" و"تخفيف الثوب وسحف نسجه" و"ترقيق الشعر"؛ واذا صحّ ظننا فلعل الشاعر يريد الإشارة الى تكرار المنى بكلمة "هَلْ" الاستفهامية في كلامه كما خطر بباله هاتف من خواطر التمنّي بالتساؤل طلبًا لما يحسبه عزيزًا عليه أو حنينًا الى ما هو حبيبٌ الى نفسه كقول من يقول متمنيا

* هل مشرقٌ نجمُ سعدي بعدما أفلا *
* هل بلغ عزمي أوجَ العلا *
* هل راجعٌ عهدُ الصِّبا *
* هل أرى ليلَ وبَيْنَ بالغضا *

وما إلى ذلك وهو كثير، و"الطَّلْهَلَةُ" في هذا المقام أشبهُ بقولهم "العنعنة" وهي تكرار كلمة "عَنْ" عند ما يُراد بها التكثير من أسماء القبائل على صحّة الإسناد، والله أعلم . (٣) الخُرْق : الخُرْق .

وما عليه أن غَرِمتُ "بابلا" "بحاجرٍ" و"فاطما" "بزينبا"

يلومنى لا مات إلا لأنما أو عاش عاش بالهوى معذَّبا

قال : عشقتَ أشيباً، يعذُلها منقصةٌ، نعم! عشقتُ أشيبا

هل شَعَرٌ بُدِّلتُهُ بِشَعَرٍ مُبَدِّلى من أربٍ لى أربا؟

أبَى الوفاءُ والهوى، وبالغٌ مَعذرةً من سِيمَ غدراً فأبى

ما أنا من صِبغةِ أيّامكُمُ ولا الذى إن قَلَّبوه انقلبا

ولا ابنُ وجهين ألَمَّ حاضِرا من الصديقِ وألومُ الغُيَّبا

قلبىَ للإخوانِ شطُّوا أو دنَوا وللهوى ساعفَ دهرٌ أو نبا

مَن عاذرى من مُتلافٍ كلّما أذنَبَ يوما وعَذَرتُ أذنبا

يَضحكُ فى وجهىَ ملءَ فِيهِ وإن أغِبْ وذُكِرَ اسمِى قَطَّبا

يطيرُ لى حَمامةً فإن رأى خَصاصةً دبَّ ورأى عقربا

ما أكثرَ الناسَ وما أقلَّهم وما أقلَّ فى القليلِ النُّجَبا

ليتَهُمُ — إذ لم يكونوا خُلِقوا مهذَّبين — صَحِبوا "المهذَّبا"

فعلَّمتْهم نفسُهُ كيف العلا ووِدُّهُ كيف الصديقُ المجتبَى

وورَدوا من خُلُقِه وبِيدِه أبردَ ما بلَّ الصدَى وأعذبا

مثل "أبى منصورَ" فلْتَلَذَّ لى الـ ـدنيا ولا سَرَّ سواه ابنٌ أبا

أتركُهُ لى غنيمةً باردةً يا دهرُ واذهبْ بِنِيك سَلَبا

اللهُ جارٌ لفتًى أجارنى على زمانٍ لم أفُتْهُ هَرَبا

وفرَّجتْ عنّى يَدَا إسعادِهِ حوادثا ضغطْنَنِى ونُوَبا

لما رأى الأبَّدَ فى صروفِها نارا تَشُبُّ ورآنى حطَبا

قام لها يَصْلَى بها وناشنى فلم أذق حَدًّا لها ولا شَبا

وصان وجهي لاقيا بوجهه ... ذلّ السؤالِ وكفاني الطلبا
عِفتُ فلم أشربْ سوى أخلاقه ... اذا كؤوسُ الشّرب دارتْ نخبا
وصحّ لي جوهرةً من معدنٍ ... أملسَ لا يُنبتُ إلاّ الذهبا
من معشرٍ تُمْنَى العلا اليهمُ ... هم أهلُها والناسُ منها غُرَبا (١)
كما اقترحتَ، حربُهم وسلمُهم ... شدّوا (٢) رباطَ الخيلِ أو شدّوا الحُبا
ساسوا بعدْون الملوكَ وآحتبوا ... وسْطَ النّدِيّ يصفون العَرَبا
يرضيك من حديثهم شاهدُهم ... وفي القديم ما سألتَ الكُتُبا
اذا رجال طأطأ اللؤمُ بهم ... قَعْصاً (٣) فشمّوا بالأنوف الرُّكَبا
طالوا ينالون تعالبَ (٤) القنا ... تحسَبُ ما شيهم بُسُوقاً ركبا
وحدّثتْ فروعُهم عن أصلهم ... تحدُّثَ الناجمِ عما غَرَبا
لبّيك مشكوراً كما لبّيتني ... وقد دعوتُ قُدُفاً لا كَثَبا
وكنتَ لي باباً الى مطالبي ... ـ لولا تعودُ الحظّ بي ـ وسببا
تعجّبَ الناسُ وقد وَلِيتَها ... أكرومةً، فقلتُ: لا لا عجبا
عينيَ منّي ويدي فهل تُرَى ... يفوتني ـ ما سَلِما ـ ما طَلَبا؟
وكيف لا تحفِزُه لأربي ... مودّةٌ تمّت فعادت نسبا؟
ومِقةٌ لو خصّصتْ لابنِ أبي ... منّيَ هزّ عِطفَه وطربا
وإن يكن هوًى فيها ناسياً ... وعاجَ عن طريقها وجَنَبا

(١) في الأصل "منهم". (٢) في الأصل "سلّوا" ولعلها محرّفة عن "شلّوا" بمعنى: أرسلوا من قولهم: "شلّت العين دمعها" بمعنى أرسلته ودفعته، أو عن "حلّوا" اذا كان المراد "بالرّباط" ما تُربط به الدابّة، أو عن "شدّوا" اذا كان يراد "بشدّ الرّباط" إعدادُ الخيل وتربيتُها لجهاد العدوّ في الحرب وهو ما رجّحناه؛ وفي القرآن الكريم (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ). (٣) القعص: داء في الصدر كأنه يكسر العنق. (٤) التعالب جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في جُبّ السنان؛ وفي الأصل "تعالب" وهو تحريف.

وقَـدَحتْ فى أملى عنـدهمُ ... قادحـــةٌ لم يك فيهـا مذنبـا

فقد قبلتُ العـــذرَ أو قتلتُـــه ... علمـا وقـــد عاتبتُـــه فأعتبَا

وٱستقبل الرأىَ وأعطَى ذِفَةً ... تصفحُ للآنف عمّـا ذهبـا

فاشكر لهـا وكالةً منّى على ... نفسِى وٱقض دَيْنهـا إذ وجبا

من لك مثـلى بأخٍ مسـامحٍ ... ترضيه بالعـــذرِ اذا ما غضبا؟

وٱحذر على مجدك أُخرَى تتّقِى (١) ... عَظـــم الوفاءِ وتجـــرُّ الرِّيبَـا

شَمِّرْ عن الساقين فى ٱستدراكها ... وٱمحُ بوَادى شرِّها معتقِبـا

ولا يزالُ أمَـــلى يقنَعُ لى ... بدون ما ستّ (٢) خَصاصى نَشَـبا

ذاك ودعنى شاكيا وسائلا ... وخذْ حـــديثى غَزَلا منسَّـــبا

كان جناحُ الشوق أمسِ طائرى ... منسِرًا (٣) فى كبِدى مخلِّبـا

وأكَلَ البينُ سمينَ جلَدِى ... حتى غدا سَنَامُ صدرى ذَنَبـا

بانَ بك العيشُ الذى يسرُّنى ... وعاد لمـا عدتَ لى مقـــتربا

قال البشير: قادمًا، فقلتُ: مَنْ؟ ... قال: "أبو منصورَ"، قلتُ: مرحبا

وقمتُ لا أملكُ ما يَسَـــعُهُ ... غـــيرَ نعمْتَ من جَزاءٍ وحبـا

أرشفُ من فيه مكانَ آسمك، لا ... أحسَـــبنى أرشفُ إلا الضَّربا (٤)

عَطْفٌ من الأيّام لى ونظـــرٌ ... جاء وما كنتُ له محتسِـــبا

لكنّنى بالبعـــدِ فى أثنـــائه (٥) ... أُصبحُ أو أُمسِى مَروعا متعَبا

اذا آطمأنَّتْ أضلُعى تذكّرتْ ... نواك فاهتزَّتْ جوًى لا طرَبا

فادفعْ به صدرَك ـــ ما آستطعتَهُ ـــ ... يوما ترد شمـلَ أُنسى شُـــعَبا

---

(١) تتقى: تُخرج النُّقَى وهو مخّ العظم. (٢) الخصاص: الفقر. (٣) منسرًا: باحثا بمنسره وهو منقاره. (٤) الضرب: الشهد. (٥) فى الأصل "أبياته".

راخِ يديكَ فى امتدادِ حبلِهِ وطاوِلِ الوقتَ به أن يُجذَبا
وخَفْ على قلبى غدًا من وقفةٍ يكونُ لى فيها انوداعُ العطَبا
ولا تدَعْنى أسأل الرُّكبانَ عن قلبٍ دوٍ(١) وأستطِبُّ الكتُبا
لا أقفرتْ منكَ ربوعٌ عمُرتْ أُنسا ولا أيبسَ عيشٌ رَطُبا
ولا برحتَ مالكا مقتسِرا نواصِىَ الإقبالِ أو مغتصِبا
حتَّى تكونَ باديا وحاضرا بينَ النجوم بانِيًا مطنِّبا

* * *

وقال يمدح عميدَ الرؤساء أبا طالب بن أيوبَ فى النّيروز

(٥١) أَبلِغْ بها أُمنيَّةَ الطالبِ فالرزقُ بين الرِّدفِ والغاربِ
ولا تُذمِّمْ(٢) لوجاها(٣) فما الـ ـراحةُ يومًا فى مَطَا(٤) اللاغبِ
ليلتُها فى الذائبِ المتوقِ بُغامُها(٥) فى السارحِ العازبِ
حُداؤها فى الرَّكبِ أحظَى لها من نَعقةِ الراعى أو الراكبِ
فاوتَ بين الطيرِ حالاتُها من باطشٍ أو فَرِقٍ هائبِ
فالحسفُ للجائمِ فى وكرِهِ والحصبُ للقاطعِ والكاسبِ
أفلحَ من داوسَ طُرقَ العلا موفِّقا للسَّنَنِ اللاحبِ
تُعجِبُه الفضلةُ فى ماله ما لم تَشُبْها مِنّةُ الواهبِ
ذلك فى المولَى، غدًا فى العدا مَثلبةٌ، فاسددْ فمَ الثالبِ
خوفى من العائبِ لى نجوةٌ من الأذى تُشكَرُ للعائبِ
والناسُ أصحابِىَ ما لم تَمِلْ وسوقُ أثقالى على صاحبِ

---

(١) دوٍ : مريض . (٢) تذمِّم : تَلُم . (٣) الوجى : الحفا . (٤) المطا : الظهر .
(٥) البغام : الصياح بأرخم ما يكون فى صوت الناقة .

أكون ما استغنيتُ عن رفدهم ... جامدةَ بين العينِ والحاجب
فإن عَرَتْ أو حدثتْ حاجةٌ ... فالحبلُ مَلْقِيٌّ على الغاربِ
وكم أخٍ غيَّرَهُ يومُه الـ ... ـمُقبلُ عن أمسٍ به الذاهبِ
كنتُ وإياه زمانَ الصدَى ... كالماء والقهوةِ (١) للشاربِ
ومَدَّ باعيه (٢) فخلَّى يدى ... نهباً لكفِّ القابضِ الجاذبِ
مرَّ فلم يعطف لحُبِّ الصِّبا الـ ... ـجانى ولا حقِّ العلا الواجبِ
كأنَّ ما أحكمتُ من ودِّه ... أبرمتُهُ (٣) للمحلِ (٤) القاضبِ
لله للمنصوبِ فيكم على ... ديونِه يا شيعةَ الغاصبِ
قد قلتُ للخابط (٥) خلفَ المُنَى ... مباعداً: قاربْ بها قاربِ
احبس مطاياك فما فى السرى ... إلا جنونُ الطمعِ الكاذبِ
لا تطلبنَّ الرزقَ من معدِنٍ ... ينبوعه غيرُ "أبى طالبِ"
فالبحرُ مَن خلَّفَهُ خلْفَهُ ... لم يقتنع بالوشلِ الناضبِ
خاطَرَ فى المجدِ ففازَ فتًى ... لم يخشَ منه قَمْرةَ الغالبِ
وكاثَرَ الناسَ بإحسانِهِ ... فلم يحزْهُ عددُ الحاسبِ
إذا اجتبى (٦) ينسبُ علياءه ... دار عليه قُطْبُ الناسبِ
ضمَّ إلى ما كسبتْ نفسُهُ ... سالقةً فى عرقِهِ الضاربِ
فظلَّ لا يَشْرُفُ من جانبٍ ... إلا دعاهُ الفخرُ من جانبِ
من معشرٍ تضحكُ أيمانُهم ... إن آدَ (٧) عامُ السنةِ (٨) الشاحبِ

(١) القهوة : الخمرة .
(٢) فى الأصل "باعاه" .
(٣) المحل : المنحت .
(٤) القاضب : القاطع .
(٥) الخابط : الذى يسير على غير هدى .
(٦) فى الأصل "اجتبى" وهو تحريف .
(٧) فى الأصل "آ" فرجحنا كلمة "آد" بمعنى : اشتد .
(٨) السنة : الجدب .

تُحلَبُ أموالهُمُ ثَـرَّةً (١) والضرعُ مبسوسٌ (٢) على الحالبِ
لهـم نَدِيٌّ شَرِقٌ (٣) منهُمُ بكلِّ مخطـوبٍ له خاطبِ
لانائمُ السامرِ فى الليـلةِ الـ ـطُّولَى ولا مستقـرُّ (٤) الآدبِ
هم وَزَرُوا الدولاتِ واستنصحوا رَعْياً على العاطفِ والسـاربِ
وهـم سـيوفُ الخلفاءِ التى تُعـلِّمُ الضربَ يدَ الضـاربِ
غاروا نجومًا ووفَتْ بابنهـم (٥) شـهادةُ الطالعِ للغـاربِ
حَـذَا وزادته قُوَى نفسـهِ والمجـدُ للوروثِ والكاسبِ
زيادةَ البـدرِ بشَعشاعـهِ على ضـياءِ الكوكبِ الثاقبِ
ليتَ عيونا لهـمُ فى الثرى مغضوضةً (٦) بالقـدَرِ اللازبِ
تراك فى رتبتهـم جالسـا تأمُرُ فى العـارضِ والراتبِ
حتى يُقِـرَّ اللهُ منها الذى أُقـذِىَ بالرامسِ والتـاربِ
قد عَرَفَ "القائمُ بالأمرِ" مذ سَلَّكَ أنَّ القطعَ (٧) للقاضبِ
ظَهَـرتَ (٨) بالعـفَّةِ سلطانُهُ هـذا وما الزاهـدُ كالراغبِ
وصـنتَ ما حَسَّنَ من ذكرِهِ عن دنَسِ القـادحِ والقاصبِ (٩)
فلا تَزَلْ عندك من طَوْلِهِ ما عنـده من رأيك الصائبِ
ولا خَلَا دَسْـتُك من مركبٍ غاشٍ ومن راجٍ ومن هائبِ
ودام لى منـك ربيعى الذى يُرضِى رياضِى بالحَيَا الساكبِ

---

(١) ثرة : غزيرة . (٢) المبسوس : الذى لا يدرّ . (٣) فى الأصل "شرف" وهو تحريف . (٤) المستقر : الداعى بعضا دون بعض ، وفى الأصل "مستفر" . (٥) فى الأصل "باتهم" وهو تحريف . (٦) اللازب : اللازم . (٧) القاضب : السيف القاطع . (٨) ظهرت : أعنت . (٩) القاصب : الجزّار ، وقد كنى به عمن يقطع لحوم الناس ذما .

(٥٢)

وجُنَّتِي الحصداءُ(١) إن صاح بى دهرِىَ : لاسَلِمَ ! فقم حاربِ

مالىَ فى فقـرى الى ناصرٍ سـواك مَنْ أحمِى به جانبى

فى وذلك استبليتُ ثوبَ الصِّبا وفيـه أنضـو بُردةَ الشـائبِ

قلـبى لك المأمونُ تقليبُـهُ ما قام "ريّانُ"(٢) على "مأربِ"

أبيضُ ثوبِ الودّ صافٍ على لونَيْـهِ من راضٍ ومن عائبِ

وكُلَّمـا أنسـيتُمُ صُحبـتى ذكّرتيكُمْ زمنُ "الصاحبِ"(٣)

وخُـرَّدًا أرسـلتُها شُرَّدًا(٤) من حابلٍ منكم ومن حائبِ

كلّ فتـاةٍ مَعَ تعنيسها تفضَحُ حُسنَ الغادةِ الكاعبِ

ضوافيًا من فوقِ أعراضِكم للمُسـدِلِ المُرخِى وللساحبِ

سارتْ مع الشمس وعمّت مع الـ ـغيث فمن ذالكِ(٥) ومن هاضبِ(٦)

تعلّقَ بالآذان موصـولةً غَشْيًا بلا إذنٍ ولا حاجبِ

تنصُبُ أعلامًا لكم ، سَيْرُها فى الأرضِ ، فالشُّكْرُ يَدُ الناصبِ

كرّرتِ الأعيادُ أعدادُها(٧) والمهـرجاناتُ على الحاسبِ

حتى لقد خافت بما أكثرتْ ملالةَ القـارئ والكاتبِ

* * *

وقال يمدح كمال الملك ويهنئه بالنيروز

لكِ الغـرامُ وللواشى بكِ التعبُ وكلُّ عذلٍ اذا جَـدَّ الهوى لَعِبُ

أما كفاه انصرافُ العين مُعرِضـةً عنـه ، وسمعٌ بوقْرِ الشوق محتجِبُ

---

(١) الحصداء : الدرع المحكمة الضيقة الحلق . (٢) ريّان ومأرب : جبل وبلد .

(٣) الحابل : الصائد ، نصبه الحبالة . (٤) الحائب : القاتل ، ويريد بهذا البيت أنه يشرد قصائده فى كل واد خوفا من حابل يقيّدها أو حائب يقتلها . (٥) الذاكى : المتقد . (٦) هاضب : ماطر وفى الأصل : هاصب . (٧) الضمير فى أعدادها يعود الى القصائد .

وأنّ قلبا وأحشاء مُدغدَغةً ... اذا آستقامتْ حُمول الحيّ تضطربُ

لاموا عليكِ فما حلُّوا وما عقَدوا ... عندى، وعابوا فما شقُّوا ولا شعَبوا

فكلُّ نارِ هوًى فى الصدر كامنةٍ ... فاللّوم يُسعرها والعذلُ يحتطبُ

آهًا لوحشة ما بينى وبينكُمُ ... اذا خلَتْ من دِلاءِ الحيرةِ القُلُبُ

وعَطّلت القُورُ (١) والأجراعُ (٢) نوقُكُمُ (٣) ... طُروحَ عينى وحالت بيننا الكثُبُ

مَن أشتكى الشوقَ إذ هَزّت وسادتَهُ ... مدامعٌ تتّحى أو أضلعٌ تجبُ

فما أسفتُ لشىءٍ فاتَ أسفى ... من أن أعيشَ وجيرانٌ "الغضا" غيَبُ

قد كنتُ أسرقُ دمعى فى محاجره ... تطيّرًا بالبكى فاليومَ أنتحبُ

لا يُبعدِ اللهُ قلبًا ظلّ عندكُمُ ... لم يُغنِهِ عنه نِشدانٌ ولا طلبُ

سلبتموهُ فلم تُفنُوا برجعتِهِ ... وربّما ردَّ بعدَ الغارة السلَبُ

فأين إذمامُكم (٤) قبلَ الفراق له ... ألّا يضامَ ولا تمشى له الرِّيَبُ ؟

أسيرةٌ لكُمُ فى الغدرِ حادثةٌ ... تَخُصُّ، أم رجعتْ عن دينها العربُ ؟

يا أهلَ ودّى، وما أهلًا دعوتُكُمُ ... بالحقّ لكنها العاداتُ والدُّرَبُ

كُنّا بها نتسمّى قبلَ غدركُمُ ... فاليومَ كلُّ آسمٍ ودَّ ببذنا لقبُ

أشبهتم الدهرَ فى تلوين صبغتِهِ ... فكلُّكم حائلُ الألوانِ منقلبُ

كنتم علىَّ مع الأيّام إخوتَها ... وليس إلا عُقوقى بينكم نسبُ

صبرًا وإن كان ملبوسا على جزَعٍ ... ظُلمتُ، والصابرُ المظلومُ محتسِبُ

لعلَّ عازبَ هذا الحظِّ يرجعُ لى ... يومًا وقاعدَ هذا الجَدِّ بى يثبُ

---

(١) عطّلت : شقّت . (٢) القور جمع قارة وهى الجبل المنقطع عن الجبال أو الأرض ذات الصخور. (٣) الأجراع جمع جَرَع وهو الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل وقيل فى الرملة السهلة .
(٤) الإذمام : أخذ الذمّة .

ولَيتَ أنَّ "كمالَ المُلكِ" خالصةٌ ... آراؤه لى ورأىُ الناسِ مؤتَشِبُ(١)

بل ليتَ أنَّ قضاياه مواهبُهُ ... فكان إنصافُه فى عَرضِ ما يَهَبُ

فتًى قَنِعتُ به من بين مَنْ حَمَلَتْ ... خُوصُ(٢) الركابِ فسارت تُنقِلُ الرُّكُبُ(٣)

أحببتُه حُبَّ عينى أختَها ويدى ... يدى، ولى فى مَزيدٍ منهما أربُ

وكان لى حيثُ لاجفنٌ لناظرِهِ ... حفظًا وصَوناً ولا تحمى الظُّبا القُرُبُ(٤)

عَطفًا لحقٍّ وإسبالًا على ذممى ... كأنّه وهو مولًى فى الحقوقِ أبُ

يرعَى شواردَ فيه لم تَسِرْ معَها ... ريحٌ ولا طمعتْ فى شأوها السحُبُ

فغالبتنى على ذاك المكانِ يدٌ ... للدهرِ، كان لها ـ مذ ملَّنى ـ الغلَبُ

مَلالةٌ لم تَطِرْ فيها مُطاوَلةٌ ... وبِغضةٌ كالتجنّى ما لها سببُ

قَسَا فأصبَح للواشين بى أُذُناً ... تَليقُ ما آختلقوا عنّى وما آجتلبوا

لو قيل: إنّى سرقتُ السمعَ أو صرفوا ... انّى تبديلَ دينِ اللهِ أو نَسَبوا

لَمَا آمترَى أنَّ رُسْلَ اللهِ بى جُبِهوا ... بالردِّ أو حُرِّفَتْ عن أمرِىَ الكتُبُ

فقل له ـ طيَّب اللهُ الوفاءَ له ... والحقُّ يَسفِرُ والبهتانُ يَنتقِبُ ـ :

يا ناقدَ الناسِ كشْفا عن جواهرهم ... متى تَغيَّرَ عن أعراقِه الذهبُ ؟

وكيف أفسدَ سوءُ الحظِّ خُبرَك بى ... حتّى بدا لك أنّ الدرّ مَخشَلَبُ(٥) !

أغَيْرَ أنَّ قَراشًا طار ينأم بى(٦) ؟ ... لو شئتَ كان بنارِ الردِّ يلتهبُ

أبعد أن رضتنى عشرينَ أوصَعِدتْ ... لا الجرىُ تُنكره منّى ولا الجَنَبُ(٧)

يُروَى لك الخُرْقُ(٨) عن حزمى فتقبلُه ... صفحًا ويجذبُك الواشى فتنجذبُ !

---

(١) مؤتشب : غير صريح . (٢) خوص جمع خوصاء وهى التى غارت عينها . (٣) الركب جمع ركاب . (٤) القرب جمع قراب وهو غمد السيف . (٥) المخشلب : الخرز لا قيمة له .
(٦) ينأم بى : يهمس بى . (٧) الجنب : شبه الظلع . (٨) الخُرق : الحُمق .

حاشاكُمُ أن تكونوا عَونَ حادثةٍ ... أو ترتمينى على أيديكم النُّوَبُ
أذنبَ الحبُّ والإخلاصُ عندكُمُ؟ ... فإنّ ذنبى الى أيّامِىَ الأدبُ
أمَا وقَومِكَ ، والمجدُ التليدُ لهم ... ـ اذا حلفتُ بهم ـ والدينُ والحسبُ
ما خلتُ ـ والدهر لا تفنَى عجائبُهُ ـ ... أنّ العلا نافقٌ فى سُوقها الكذبُ
ولا عجبت لدهرى كيف يظلمنى ... وإنما ظلمكم أنتم هو العجبُ!
يامَن به صحَّ سُقمُ العيشِ واجتمعتْ ... على توحّدِهِ الأحزابُ والشُّعَبُ
ومَن كَفَى المُلكَ ما لم يكفِ صارمُهُ ... وردَّ عنه الذى ما ردَّه اليَلَبُ[1]
ومَن توسَّط أفقَ المجد فاعتدلتْ ... به البدورُ ولبَّت أمرَهُ الشهُبُ
على بساطِكَ تُقضَى كلُّ مُبهِمةٍ ... يعنو بها الخطْبُ أو تعيا بها الخطَبُ
وهالةُ البدرِ دستٌ أنت راكبه ... وتارةً هو غابُ الضيغم الأشِبُ
بِشرٌ وقورٌ، وجِدٌّ ضاحكٌ، ورِضًا ... لولا الطلاقةُ خِلْنا أنه غضبُ
جَرَى بك الخُلُقُ الفضفاضُ وانقبضتْ ... بك المهابةُ فالسَّلسالُ واللهبُ
وأفقرتك العطايا ، والثناءُ غنًى ... وأنصبتك العلا ، والراحةُ النَّصَبُ
مَن عندَهُ نَشَبٌ لا مجدَ يعضُدُهُ ... فإنّ عندك مجدا ما له نشبُ
حَلَلْتُ باسمك عَقْدَ الرزق فاندفعتْ ... عُراه تُفصَمُ لى عفوا وتنقضبُ
وكنتَ واسطةَ العِقد الذى انتظمتْ ... عنه السلوكُ ولم تُحدَسْ به الثُّقَبُ
أنتم رفادةُ ظهرى إن وَهَى جَلَدِى ... ودَرَّةُ العيشِ لى والضَّرعُ معتصَبُ
ومشربى العِدُّ والغدرانُ غائرةٌ ... منكم لِىَ الحوضُ أو منكم لِىَ القَرَبُ
قدَّمتمونى فلى رهنُ السباقِ، ومَنْ ... يلزَّنى[2] بعدُ : مجنوبٌ ومعتقبُ

(١) اليلب : الدرع أو جاود تلبس مثل الدرع . (٢) يلزّنى : يلزمنى ويلصق بى .

عِزّى بنفسى ولكن زادنى شرفا ... أنى اليكم اذا باهلتُ أنتسبُ[1]

والناسُ غيرُكُم مَن لا يجاوزنى ... أبيائه عَمَدٌ تُبنَى ولا طُنُبُ

اذا صفوتم فلا وِرْدى ولا صَدَرى ... منهم وإن أملحوا يوما وإن عذُبوا

لى منكم الجبهةُ الغـرّاء والعُنُقُ ال ... سُلْعاءُ والناس بعدُ الرُّسغُ والذنَبُ

فلا تَسُئنى الليالى فيكُمُ بيدٍ ... إلا التَّبابُ[2] لها والشلُّ والعطبُ

ولا تُصيبكم عيونُ الدهر إن لها ... الى الكمال لحظًا سهمُها غَرِبُ[3]

وإن أتى رائدُ النيروزِ مجتديًا ... أيمانكم فالروابى الخُضْرُ والعُشُبُ

فمن جباهكُمُ نورُ الربيع لنا ... ومن أكفّكُمُ الأنواءُ تنسكبُ

يومٌ يكُرُّ به إقبالُ جَدّكُمُ ... غدًا على ملككم ما كرّت الحِقَبُ

تجلُونَ من حسنه حظَّ العيونِ فلا ... بأشعارفيكم حظوظُ السمع والطربُ

فما بقيتم فأيّامى بعزّكُمُ ... كما أُحبُّ وأحوالى كما تجبُ

* * *

وقال وكتب بها الى الوزير زعيم الدين فى المهرجان

اذا فاتها روض الحمى وجَنوبُهُ ... كفاها النسيمُ البابلىُّ وطيبُهُ

وكم حُبَّ من وادٍ الى العيش مجدبٍ ... وأُبغِضَ مَثْرًى[4] آخرٍ وخصيبُهُ

وما الجانبُ المسكونُ إلا وفاقُهُ ... هَوَى النفسِ، لا خضراؤه وعَشيبُهُ

فدعها تَلُسّ[5] العيشَ طوعَ قلوبها ... فأمرعُ ما ترعاه ما تستطيبُهُ

---

(١) باهلت : حابجت مفتخرا . (٢) التباب : الهلاك . (٣) يقال : سهمٌ غَرِبٌ : لا يُدرَى رامِيه . (٤) المثرى : ذو الثراء . (٥) تلسّ : تكيف الكلأ بمقدم فمها .

وإن التماد البرض(١) فى عزّ قومها ... لأنقع من جمّ(٢) يذلّ غريبه

وأشبعها ألّا تكون طرائدا ... اذا شلّ(٣) من سرح المسيم(٤) عزيبه

وأن كان حيّا بالحمى - إن توقّرت ... من الوجد - مبرى(٥) دائها وطبيبه

وكلّ هلالٍ "ذو الأراك" حجابه ... يسرّ البدور الطالعات مغيبه

تحول الرماح "العامريّة" دونه ... فيقنط راجيه ويعيا طالبه

وأتعب من حاولت يا قلب وصله ... حبيبٌ سنان السمهريّ رقيبه

يصيب بعيدا سهمه كلّ من رمى ... وترميه أيد حوله لا تصيبه

يلوم على "نجد" ضنينٌ بدمعه ... اذا فارق الأحباب جفّت غروبه

وهل طائلٌ فى أن يكثّر عذله ... اذا قلّ من إصغاء سمعى نصيبه؟

وما التنسّى إلا من فؤادى فؤاده ... لأهل "الغضا" أو من حبيبى حبيبه

سأرعى الذى بينى وبين ملوّنٍ ... شربتُ على صفوى له ما يشوبه

خذينى بغير الغدر خُلقاً وإن جنى ... علىّ الوفاءُ : قرفه ونُدوبه

فذلك طينُ الأرض لم تبن فطرتى ... عليها وما ماءٌ سقانى قليبه

خُلقتُ يدًا دون الصديق وجُنّةً ... يردّ بها عن صدره ما ينوبه

ركودى الى الجوّ العريض ركوده ... اذا رام أمرا أو هبوبى هبوبه

وأصفح عنه عاذرا متأوّلا ... وإن كثرت زلّاته وذنوبه

ويقنعنى منه طهارةُ وجهه ... فلا أسأل التفتيش كيف مغيبه

ومن طال عن خُبر الأخلّاء بحثه ... ليلوهم لم يخل مما يريبه

دعينى يكن خصمى زمانى وحده ... وتكفيك لى أحداثه وخطوبه

(١) التماد البرض : الماء القليل المزر . (٢) الجم : الماء الكثير . (٣) شل : طرد .
(٤) المسيم : الذى يُرعى السوام وهي الإبل من قولهم : أسامها أى أرعاها . (٥) مبرى : مبرئ .

هو الطَّرْفُ غرَّتْ رِحلتى (١) خطواتُهُ ... وزُمَّتْ (٢) فكان الليثَ صعباً ركوبُهُ

أصافحُ من كفَّيه صِلَّ خديعةٍ ... لغـير التحايا أهـلُهُ ورحيبُهُ

ولولا رجالٌ هم أساةُ جروحِـهِ ... جَـرَتْ بدمى أظفارُهُ ونُيـوبُهُ

لتسقِ بنى "عبـد الرحيم" أكفُّهم ... فأَروَى الحيـا وكَّافُـهُ وصيبُهُ

وما السيلُ ذو الدَّفَّاع (٣) يرغُو جُفاؤه (٤) ... بأمرعَ من وادٍ نداهم يَصـوبُهُ

هم القاتلونَ الأزْمَ (٥) والعـامُ مسنتٌ (٦) ... يقطِّبُ فى وجهِ المُسيم جـدوبُهُ

وهم إن شكا الفضلُ الغريبُ انفرادَه ... قبائلُه دون الورى وشُعوبُهُ

ملوكٌ على الأيَّام بيتُ عـلائهم ... تُناط بأعناق النجوم طُنـوبُهُ

رَبَا الملكُ طفلاً ناشئا فى حجورهم ... وأشيبُ هـذا الدهر بعـدُ ربيبُهُ

لهم تاجُهُ المعصـوبُ أيَّامَ تاجِـهِ ... وفيهـم أخيرا سيـفُهُ وقضيبُهُ

مواريثُ فيهـم نصُّها إن مضى أبٌ ... يَسُـدُّ الذى سدَّ ابنُـهُ وينوبُهُ

وأمواتُهـم فيهم كأحياءِ غـيرهم ... اذا ظلَعَ المركوبُ (٧) جاء جَنيبُـهُ

اذا ما "زعيم الدين" حدَّثَ عنهُمُ ... توارَدَ شُبَّانُ الفخارِ وشيبُـهُ

هو البُلجةُ البيضاءُ فى وجـه عزِّهم ... اذا شان عِزَّ القـوم بابنٍ شحوبُهُ

يَرَى نصرَهم ماسار من حسن ذكرهم ... فتنشرُهُ أفعـالُهُ وتُطيبُـهُ

فتًى كُملتْ فيـه أداةُ اكتهالِهِ ... وغصنُ الصِّبا لم يَعْسُ بعـدُ رطيبُهُ

تمـلَّ أعباءَ الرياسـة ناهضا ... فما لان من عرض الرجال صليبُهُ

ومن عجبٍ أن البِكارَ (٨) جليـدةٌ ... وقد عُقِـرَتْ بُزْلُ الطريق ونيبُـهُ (٩)

---

(١) يقال: رَحَل البعير رحلةً أى وَضع عليه أداة رَحْلِه. (٢) زمّت: شُدّت. (٣) الدفّاع: الموج.
(٤) الجفاء: الزَّبَد. (٥) الأزم: الضيق. (٦) مسنت: مجدب. (٧) فى الأصل: "نجيبه" وهو خطأ. (٨) البكار: الفتيّات من الإبل. (٩) النيب: جمع ناب وهى الناقة المسنة.

وكم سابقٍ فيهم ولم يَخْفَ رُسْغُهُ ... ولا آبتلَّ فى شَوطِ الرِّهانِ سبيبُهُ
ومِن منجبٍ فيه أبوه وأمُّهُ ... وما وَلَدُ الإنسانِ إلا نَجيبُهُ
لهم يومَ يحتدُّ الجلادُ كميُّهُ ... ويومَ الترامى بالكلام خطيبُهُ
فلا محفِلٌ إلا وفيهم صدورُه ... ولا مجفَلٌ إلا وفيهم قلوبُهُ
"أبا حسنٍ" باهِلْ بهنَّ فضائلا ... لحاسدها حَرُّ الجوى ولهيبُهُ
يَعيبُك مَثْنىً على الغيظ صدرُهُ ... خوافِقُهُ تَزوِى (١) به ووجيبُهُ
وكيف يَنالُ العيبُ أطرافَ ماجدٍ ... محاسنُ أبناءِ الزمانِ عيوبُهُ
وقال: وهلْ فى الناس من هو فوقه؟ ... فقلتُ: نعم! إن كان فيهم ضريبُهُ
كريمٌ اذا ما ظلَّ يَقسِم مالَهُ ... فأنزرُهُ مستقسِماً ما يُصيبُهُ
يحبُّ ثراءَ المالِ حبًّا لبذله ... وليس كَسوبَ المالِ إلا وَهوبُهُ
أطالتْ يدى بالنصر فى نَيلِ مطلبٍ ... فأصبح لى أقصاه وهو قريبُهُ
وأمكنتنى من ظَهر حظّى وعُرفِه ... فأسمحَ لى بعد الشِّماسِ رَكوبُهُ
وأغنيتنى عن كلِّ مرعًى أرودُه ... وفجٍّ على تيهِ الطريق أجوبُهُ
وكم جَمَدَ الرزقُ ابطيءُ على يدى ... فسلسلتَ من كفَّيْك ماءً يُذيبُهُ
ولا خَلَفٌ (٢) إلا من عِصابِك (٣) دَرُّهُ ... ولا جَفْرٌ (٤) إلا من ندالك ذَنوبُهُ
اذا روَّعتْ سَرحى من الدهر رَوْعَةٌ ... زأرتَ فلم يعسِلْ (٥) من الخوف ذيبُهُ
فقد صار يحبونى الذى ما سألتُهُ ... ويخطبُ منّى المدحَ مَن لا أجيبُهُ
فلا يَحْبُ من نُعماك بدرٌ أضاءَ لى ... زمانى ولا نجمٌ هدانى ثُقوبُهُ

(١) تزوى به: تذهب به. (٢) الخلف: الضرع. (٣) العِصابُ: شدُّ خِفْى الناقة بحبل لتدرّ. ومنه: "مثلى لا يدرّ على العِصاب". (٤) الجفر: البئر لم تُطوَ وهو مذكّر. (٥) فلم يعسِلْ: فلم يضطرب فى عَدْوه.

ولا تتغيّر من وفائك عادةٌ ... يَرَى المجدُ فى أثنائها ما يعيبُهُ
ولا برحتْ تطرو(١) اليك شوارِدٌ ... يَبِين لها وعرُ الفلا ومُهوبُهُ
مُطبَّقةٌ ما طبَّق الأفقُ ، سيرُها ... بوصفك مسرى ليلِها ودؤوبُهُ
من الكلِم السهلِ الممنّع مرامُهُ ... على الناس والنَّزرِ الكثيرِ عجيبُهُ
تَرقرَقَ حُسنا فامترَى كلُّ سامع ... به وهو مخلوبُ الفؤاد طروبُهُ
أُسربِلُ منه المهرجانَ مُفاضةً ... يُصان بها عُريانُه وسليبُهُ
ينوبان من ناديك أمنعَ جانبٍ ... وأنضرَ رَبعٍ : غضُّهُ(٢) وقشيبُهُ
مدى الدهر ما هبَّ النسيمُ لناشقٍ ... ودبَّ على وجه الصعيد دبيبُهُ
على شَرْطِ(٣) عزٍّ لا تحولُ رسومُهُ ... وسَرحِ نعيمٍ لا تُراعُ سُروبُهُ

* * *

وقال يمدح الوزير عميدَ الدولة أبا سعد بن عبد الرحيم ، وأنفذها اليه وهو معتزلُ النظرِ لهفوةٍ جرَتْ بينه وبين الأتراك اقتضت تغيبَهُ ، ويُعرِّضُ بذكر الساعى به عند شاهانشاه جلالِ الدولة رحمه الله ، وذلك فى المهرجان الواقع فى شوّال من سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة

يا قلبُ من أين على فَترةٍ ... رُدَّ عليك الولَهُ العازبُ ؟
أبعدَ أن مات شبابُ الهوى ... شاورَك المحتنكُ الشائبُ
وبعدَ خمسين قضَتْ ما قضتْ ... وفضلةٍ أغفلها الحاسبُ
هبَّتْ بأشواقك "نجديةٌ" ... مطيعةٌ ، أنت لها واجبُ ؟
ما أنت يا تائب وأهلَ الحمى ... وإنما هم أمسُكَ الذاهبُ

---

(١) تطرو : تأتى من مكان بعيد ، وفى الأصل "تطر" . (٢) غض وقشيب مرفوعان على أنهما بدل متقارع والقطع فى البدل جائز كما فى النعت . (٣) كذا بالأصل ولعله "صَرْح" .

لم تذكر الغائبَ من عهدهم ... إلا لأنْ يأكلَك الغائبُ
قد وعظَتْ واعظةٌ من حجا ... بوعظها ما زَهَدَ الراغبُ
فاردُدْ على الريح أحاديثَها ... ففى صِباها ناقلٌ كاذبُ
جاءت وقد أفرقتَ تهدى الصِّبا[1] ... لا سَلِمَ المجلوبُ والجالبُ
ودون "نجدٍ" وظِباءِ الحمى ... أن يُقرَعَ المَنسِمُ والغاربُ
والفيلقُ الشهباءُ من "عامرٍ" ... والطاعنُ الغيرانُ والضاربُ
والشمسُ أدنى من "تميميَّةٍ" ... طالعُها من "رامةٍ" غاربُ
لو سَبقَتْ بالغدرِ فى قومها ... لَمَا وَفَى فى قوسه "حاجبُ"[2]
مكنونةٌ بيضاءُ لم يُعدِها ... فى البدو لونُ العرَبِ الشاحبُ
إن وُصفت تمَّها وصفُها ... أو نُسبتْ أعجبها الناسبُ
فلا تَغُرَّنَّك نفَّاحةٌ ... منها ولا بارقةٌ خالبُ
يا راكبَ الأخطارِ تهوى به ... انزِلْ، كُفيتَ السيرَ يا راكبُ
مالَك ـ والراحةُ قد أمكنَتْ ـ ... تشقَى بما أنتَ له طالبُ!
قد آن أن يُعفَى الكليلُ المطَا ... وأن يُراحَ النَّصِبُ اللاغبُ
إن المقيمَ اليومَ فى غِبطةٍ ... يحسدها السارحُ والسارِبُ
قد أربعَ الوادى "ببغداد" وآبَ ... تلّ الثرى وآنسع الجانبُ
أظلَّها من سُحْبِ أيدى بنى ... "عبدالرحيم" الهاطلُ الهاضبُ[3]
ورجَعَتْ طالعةً شمسُهم ... فيها وعاد الكوكبُ الثاقبُ
الى "عميد الدولة" آسترجع الـ ... ـنافرُ أنسا وأوَى الهاربُ

(١) أفرقت : بان الشيب فى مفرقك . (٢) حاجب : هو حاجب آبن زرارة وقد تقدّمت الإشارة اليه فى صحيفة (٥٩) . (٣) الهاضب : المائر ، وفى الأصل "القاضب" .

عَمَّ وسَوَّى عادلا جُـــودهُ حتى آستوى المحرومُ والكاسبُ
طَبَّقَ فى التـــدبير أغراضَـــهُ سهما فسهـــما رأيُه الصائبُ
وأدب الأيّامَ بالحـلم، والـ ـجهـلُ على أخلاقها غالبُ
والمُلكُ سَرحٌ نام رُعيانُه وهبَّ يطغَى ذئبُـــهُ السارِبُ
كانت جحيما ترتمى بالأذى، فى جانبيها الشررُ اللاهبُ
فأخمـــدَتْ هيبتُهُ كلَّ ما هبَّ عليها المُوقِـــدُ الحاطبُ
صَبَّ عليها الدَّمَ لمّا غدتْ بالماءِ لا يُطفئُها الساكبُ
فهامـــةٌ ساقطـــةٌ فوقهـــا حَصْدًا وجنبٌ حولها واجبُ
عشواءُ خطبٍ لم يكن ينجـلى حتى يؤوبَ القـــمرُ الغـائبُ
يا "شَرَفَ الدين" تمدَّحْ بها فالعُجبُ فى أمثالها واجبُ
ما زال تنـــكيلُك بالمجـرِم الـ ـمُصِرِّ حتى خافـــك التـائبُ
صَـــدْعٌ من الدنيـا تداركتَهُ لولاك ما كان له شاعبُ
جاذبه النـــاسُ يرومـــونَهُ دهرا فـلم يعـــلَقْ به جاذبُ
لا العاجـــز الوانى تأتَّى له منهـــم ولا المجتهـــدُ الدائبُ
سَلَلتَ بالعـادة فى جســـمه رأيًا هو الصَّمصامةُ القاضبُ
قـــد ظهَرتْ رايةُ أيّامكم وطبَّـق الأرضَ بهـا الجائبُ
وجَمَـــعَ الألسنَ تفضـــيلُكم فآصـــطلحَ المـادحُ والثالبُ
لا يَصلحُ الأمرُ على غـــيركم لا عارض منـــه ولا راتبُ
ولا تـــدرُّ المـالَ أخـــلافُهُ وغـــيرُ أيديكم له حالبُ
وزارة مجلسُـــها مَنصِبٌ له آصـــطفاك الله والنـاصبُ
أنتَ لهـا ـ فآشدد يمينا بها ـ الأخُ وآبنُ العمِّ والصـاحبُ

فإن تعزّلتَ وفارقتَها ... أو نابَ فى تدبيرها نائبُ
كان فراقًا لك تسديدُهُ ... وللأعادى سمّهُ الخائبُ
بُعدتَ للحصّ الذى رِشْتَهُ ... وانقبضَ السائمُ والسارِبُ
فاعطِفْ على الدنيا وما قد جرَى ... به عليه القدرُ اللازِبُ
فاللّيثُ لا يغمز فى زأره ... وإن ألحّ النابح الواثبُ
فى جِلده ذمّى وفى عظمه ... مُظَفَّرٌ(١) فى عزّكم خالبُ(٢)
مَشَى بها الماشى الى حتفه ... يا بؤسَ ما أعقبَهُ العاقبُ
يا بسطا من كفّه مُزنةً ... يَبسمُ منها البلدُ القاطبُ
ومَن حَمَى الأرضَ فما فوقَها ... للخوف مسلوبٌ ولا سالبُ
والمصطفى المحبوب من ماله ... يَخيطُ فيه العائثُ الناهب
أغنيتنى عن كلّ غرّارةٍ ... سحابُها المصعِقُ والحاصبُ
وكلُّ مبذولِ الحمى بابُهُ ... واللؤمُ عن أمواله حاجبُ
لا يخلُقُ الخَجْلةَ فى وجهه ... لا مادحٌ أثنَى ولا عائبُ
وصُنتَ وجهى بعد ما شفّنى ... من مائه المتلَفُ والنضبُ
وخاطَبْتنى منك نُعمى بها ... شَجّرنى(٣) فى بيتك الناسبُ
وحُطْتنى أمنًا وقد ثارَ لى ... بالشرّ صِلُّ الرملة الواقبُ
كلبٌ أتى الليثَ فأغراه بى ... وقال وهو الفاجرُ الكاذبُ
وغُدّ دعىّ ليس من شكله ... ما هو كاسٍ باسمه كاسبُ
أعداه من سِهمنةٍ آبائِه ... عِرقٌ الى اللؤم به ضاربُ

(١) مظفّر: غارزٌ أظافره . (٢) الخالب : الجارح بمخلبه . (٣) شجرنى : جعلنى من شجرتكم أى من ذوى قرباكم .

ولم يكن لو أنه كاتبٌ يُراعُ منـــه الشاعرُ الكاتبُ

وعند شعرى — لو هجا مثلَهُ — لعرضِـه القـاصمُ(١) والقـاصبُ(٢)

فابقَ لأن تُرغِمَ لى أنفَـهُ أنفٌ لعـمرى أجدعٌ تاربُ

وألبس من الدولة فَضفاضـةً يَسحَبُ من أذيالهـا الساحبُ

وأقسِمْ ليـــوم المهرجان الحيا وَفْـدًا، فنـعمَ الوافـدُ الآئبُ

يومٌ لآبائـك فى حفظـــه عهـدٌ يُراعَى حقُّـهُ الواجبُ

وأصبـحْ بفخرٍ طـــيرُه أيْمن(٣) وفى عداك البـــارح الناعبُ

ما غَرَّدتْ ورقاءُ أو دافعتْ فتخاءُ(٤) عن أفراخها خاضبُ(٥)

وأسمعْ اذا شُدَّت لهـا حَبوتى أفصـحَ ما فاهَ به خاطبُ

مرصودةً بأسمـك من خيرِ ما لاثَ على مَفـرِقه عاصبُ

عنـدك منهـا غَرِدٌ مطربٌ وعند من عاديتَـه نادبُ

من معـدِن الجِدّ ولكن تُرى رقَّتُهـا أنّى بهـا لاعبُ

لا رَبَّ "غُمْدَانَ"(٦) وعَى مثلَها سمعًا ولا مَن دارُه "مأربُ"(٧)

وأمضِ مع العـادةِ فى مَهرها على طـريقِ نهجُهُ لاحبُ

فمـا تَطيبُ الأرضُ موهوبةً عنـــدىَ لولا أنك الواهبُ

---

(١) القاصم : الكاسر . (٢) القاصب : القاطع . (٣) البارح من الطير : ما يمرّ الى الميامن وهو الذى يتشاءم به . (٤) الفتخاء : العقاب الزانة الجناح . (٥) خاضب : محمرة الأظفار . (٦) غُمْدَان : قصر باليمن بناه "يَشْرُحُ" بأربعة وجوه أحمر وأبيض وأصفر وأخضر .

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بالمهرجان، وكتب بها اليه وهو مقيم بعكبراء وقد شارف العَوْدَ الى النظر بالوزارة بعد اعتزاله منها مُدَيْدَةً، وتقرر ذلك له، يتشوقه ويذكر الحالَ، وذلك فى سنة ستّ وعشرين وأربعمائة

عزفتُ فما أدرى الفتى كيف يرغبُ ... وعفتُ فما أشكو القذى كيف يُشربُ

وروّضنى لليأس هجرُ مَطامعى ... فبُغض عندى الوفر وهو محبَّبُ

رأيتُ الغنى ما ندَّ عنّى ففاتنى ... فكيف يخافُ الفوتَ من ليس يطلبُ

وأرضَى عن الأقدارِ كيف تصرَّفت ... وغيرِىَ بالأقدارِ يَرضَى ويغضَبُ

أأشرِى بعرضى رِفدَ قومٍ معوضةً ... وأُشعِرُ نفسى أنّ ذلك مكسَبُ؟

فلا جرَّ رزقٌ(١) غِبطةً وهو يُجتَدَى ... ولا سَدَّ مالٌ خَلّةً(٢) وهو يُوهَبُ

هنيئا لربِّ الرائحاتِ خلاصُهُ ... إذا ضاقنى مما يعُقّ(٣) ويَجلبُ

ومن قَوِدِها لى فى الصِّلاب ثنيةٌ(٤) ... وبزلاءُ(٥) تعصى فى القيادِ وتُصحِبُ(٦)

تركتُ لمعطى النائلِ الغمرِ نيلَهُ ... وإنى الى تَرْكِ البخيلِ لأقربُ

فلا المدحُ فى المُسنِى الجوادِ أكُدُّه ... ولا التَّحزُّ(٧) المنّاعُ ذمّى يَرهَبُ

ويظلمنى المولَى وفى فىَّ ناصرٌ ... وكفّى، فلا أشكو ولا أتعتَّبُ

اذا ذهبتْ بى رغبةٌ عن تلاده ... طريقًا فما لى عنه بالودّ مذهبُ

له خِصبُهُ دونى ولى نَوطةٌ(٨) به ... وعَونٌ على أيّامه وهو مُجدِبُ

---

(١) فى الأصل "رزقا". (٢) الخلة: الفقر. (٣) مما يعق: مما يذبحه.
(٤) الثنية: الناقة الطاعنة فى السادسة. (٥) البزلاء: الناقة الطاعنة فى التاسعة وليس بعد ذلك اسم لسن. (٦) تُصحِبُ: تنقاد ذليلة بعد صعوبة. (٧) المسنى الذى يجعل الجائزة سنية والتحز: البخيل الضيق الخلق. (٨) نوطة: تعلق.

وللحبِّ منّى — ما أمِنتُ خيانةً — مَحَـلَّةُ قلبٍ قلّما يتقلَّبُ
أُجِرُّ الهوى — ما لان — فَضْلَةَ مِقودى ويَعصِفُنى حينا فآبَى وأجذبُ
وما كلّما فارقتُ أشربُ دمعتى ولا كلّما غنّى الحَمامُ أُطَرَّبُ
وكم أَلِفتْنى ظبيةٌ وهى قَـدَّةٌ فملتُ ولم أعطِفْ وقد عنّ ربرب
أحبُّ الوفاءَ تُحِسا ومغزلا وأصحَبُـهُ فيما أجِـدُّ وألعبُ
وأُعطى يدى ما خانتنى متفضلا وأمنعها ما خلت أنّى أرغبُ
فلو لقِيتْ أيّامُ دهرى خلائقى لكانت عـلى جَهْلاتِهـا تتأدّبُ
ولو أنها للسِّلم جانحةٌ معى لكانتْ على الشحناء بى تتحبّبُ
وكنتُ لها عُذرا الى كلّ ماجدٍ يَرَى أنها فى حربِ مثلى تُذنِبُ
ولكنّها عَجماءُ، سيّانِ عندها شدا جاملٌ[1] أو قال هُجْـرا مؤنّبُ
تثبّطُ بأحبابى الذين أودُّهم وتدنو بجارٍ لا أُحبُّ فتقصبُ
ولو أنها تأوى لصوتى لقرّبتْ بعيـدا وشطّت بالذين تُقرّبُ
كواكبُ آمالى وأقمارُ مَطلبى نأتنى، وفى الأحبابِ بدرٌ وكوكب
تَطلّعُ حينا من بُروج سُعودِها عـلىّ ويطويها البعادُ فتغـرُبُ
اذا قلتُ: هذا العامُ حسبُ، وبعده الـ ـثَّواءُ، أتى فى الأمر ما ليس يُحسَبُ
فكم يَحمِلُ الثقلَ الضعيفُ وكم تَرَى يُقِلُّ[2] وسُوقَ[3] البعـد جنبٌ منكّبُ!
وكم تكتسى فى ظلّ قـومٍ أعزةٍ قوادمُ ريشى ثم تعـرَى فتُسلَبُ!
ويأخذُ منّى الحاضرون بحلمهم فواضـلَ ما يُعطى السماحُ المغيَّبُ!
أيدرى الوزيرُ مَن كُنِّى عنه أو عُنِى؟ نعم هـو يدرى ما أُعمّى وأُعرِبُ

(١) الجامل: ذو الجَمَل ويريد به "الحادى". (٢) وسوق جمع وسق وهو الحمل، وفى الأصل "وشوق". (٣) منكّب: مقترح.

وإنى بحبـــلٍ غيرِ أطنابِ بيتـه ... على بيتِ شِـــعرٍ ناصحٍ لا أطنّبُ
سِماتُ بنى "عبد الرحيم" سلائطٌ(١) ... على وجهِ أشعارى تُنيرُ وتَشقُبُ
لهم جُمَّتا فكرى مُطيـلا ومُقصرا ... وصـفوتُهُ صِرفًا وبالماء تُقطَبُ(٢)
فلو قلتُ : إنى فى مديح ســواهُمُ ... صدقتُ، لقال الشعرُ فى السرِّ: تكذبُ
هُمُ أمكنونى من ظهورِ مآربى ... فأركبُ منهـا ما أشاء وأجنُبُ
ألَمَّ بهـــم ما لا يُـلَمُّ بشاعبٍ ... وأرأبُ فيهم صدعَ ما ليس يُرأبُ
وأستعتب الأيّامَ وهى مُصِـــرّةٌ(٣) ... بهيبتهـــم حـــتى تـــفىءَ فتُعتِبُ
هُـــمُ رحمِى والأقربون معقّةٌ(٤) ... وفيـــهم أبِى البرُّ الرؤوفُ ولا أبُ
ودولتهم — لا عُطِّلتْ — لِى مَواسِمٌ ... وأيامهـــم سُـوقٌ بفضـلى تُجلَبُ
ذُخِرتُ لهم كنزا مواريثَ قومهـم ... فمن رامنى من غيرهم فهـو يَغصِبُ
فلا أسمعَتْ "ذُبيانُ" بعدى وبعدَهم ... بنى "منذرٍ" عذرا به العفوُ يُوجَبُ
ولا فرِحتْ أقيالُ آلِ "أميّـــةٍ" ... بمـا سَيَّرتْ فيها "تميمٌ" "وتَغلِبُ"
أيا راكبَ العشواءِ يطرَحُ صـدرَها ... خِطارا على الشِّقِّ الذى هو أتعبُ
تَرى ظلَّها فى الشمس تحسَبُ أنه ... لأُخرَى سواها لاحقًا أو ستَقرُبُ
تغارُ اذا ما أبصرتْ ظلَّ سُنبُكٍ ... على الأرض جَلَّ سابقا وهى تَعقُبُ
كأنّ بفاجِ الأرض نَقْدٌ(٥) لركضِها ... تُغـــير عليـه كيفَ شاءت وتَنهبُ
تَنُصُّ مقاضاتين(٦) للسير(٧) تلفظُ الـ ... ـمُحالَ وتُوعِى الحقَّ نصحًا فتوعبُ
وكالئـةٍ ترعَى الشخوصَ كأنّهـا ... أخو ليلةٍ(٨) — بات الربيئةَ — يرقُبُ

(١) سلائط جمع سليطة وهى الزيت أو الدهن يناربه . (٢) تقطب : تُمزَج . (٣) يقال : أصرّ الفرس بأذنه أى سوّاها ونصبها للاستماع . (٤) معقة : عقوق . (٥) فى الأصل "نقلٌ" ولعله تحريف . (٦) فى الأصل : "مقاضاتين" . (٧) فى الأصل "للسر" . (٨) الربيئة : المتطلع يرقب العدو .

اذا اقتضيتَ فى ذمّة النجم حاجةً ... فتلك لديها دعوةٌ لا تخيَّبُ
تحمَّلْ سلامى واحتقبْ لِىَ حاجةً ... تُضيءُ لك المسرَى وطُرْقُك غَيْهَبُ
الى "شرف الدين" انتزعْها إهابَها ... ودعْها على نارِ السِّياط تَلَهَّبُ
الى مَلِكٍ لا يسلُكُ النومُ جفنَهُ ... وفى المُلْكِ صدْعٌ بالسهاد يُشَعَّبُ
ولا تبلُغ الأثقالُ غايةَ جَهدِه ... اذا ظلَّت البُزْلُ المصاعيبُ تشغَبُ
تفحَّصَ فى الآراءِ حتى أرينَهُ ... على غير فحصٍ ـ أىّ أمريْه أصوبُ
وأتعبَه التدبيرُ حتى أراحه ... وقد تستريح النفسُ من حيث تتعبُ
فكن مُبلِغًا عنّى، وحظُّك عندَه ... اذا أنت باسمى فُهتَ أهلٌ ومرحبُ
وقل يا عميد الدولة اعطفْ وإن جَنتْ ... فما زَلّةٌ إلا وعفوُك أرحبُ
تَلافَ عصاها أن تُشَقَّ فإنها ... بسوء القضايا تُلتَحَى وتُشذَّبُ
ودارِكْ ذَماها(١) وهو بعدُ، فربّما ... تخور القُوَى أنْ ينفعَ المتطبِّبُ
يقرِّبك الإقبالُ حينا فتؤنس الـ ... ـحياة ويُقصيك الشقاءُ فتُعطَبُ
ومن أعجب الأشياء تعليلُها بمَنْ ... تَرَى عجزَه من حظِّه يتعجَّبُ
فإن يبلغوا بالداء لا يحسمونه ... وعندهُمُ منك الدواءُ المجرَّبُ
اذا طُلِّقتْ منك الوزارةُ أصبحتْ ... مُجاذَّةً(٢) من حُسنها تُتسلَّبُ
تغوثُ(٣) بالأسحار تدعُو صَباحَها ... وتبكى زمانَ الوصل منك وتندُبُ
تَخالُ بها ربعا مُحِيلًا تساقطتْ ... تحاجلُ فيه الشاحجاتُ(٤) وتنعَبُ
بنيتَ بها بكرَ الصِّبا فمَن الذى ... يُصفّى هواها وهى شمطاءُ تَيِّبُ
وأبرحُ من تعنيسها وهى أيِّمٌ(٥) ... اذا غبتَ ـ من يُسمَى لها وهى تُخطَبُ

(١) يريد ذماءها وهو بقيّة النفس . (٢) مجذّذة : مقطّعة . (٣) تغوث : تستغيث .
(٤) الشاحجات : الأغربة التى فى صوتها غلظ . (٥) الأيّم : التى ليس لها زوج .

وهذا أوانُ الشدِّ فانهضْ بحمِلها ... وثِبْ واثقاً، إنَّ العلاءَ تَوثُّبُ
فما كلُّ ما آستوضحتَ فيها هدايةٌ ... وليس ضلالاً كلُّ ما تتنكَّبُ
قد آشتاقك المُلْكُ الذى أنت أنسهُ ... وأُوحِشَ صدرٌ منه وآرتاعَ موكبُ
وقد أعجفَ(١) الرُّوَّادُ وآعتصروا الحيا ... من الصخر اذ أمست سماؤك تُحجَبُ
وقُصَّ جَناحُ الشِّعرِ لا الطبعُ جاريا ... يَرِقُّ ولا مستولَدُ الفكرِ يُنجِبُ
فنحن كأنَّا لم نصِفْ مَلِكا ولم ... نقم قطّ ما بين السِّماطين(٢) نخطُبُ
وكائنْ لنا من موقفٍ متشهِّرٍ ... لديك يطيبُ القولُ فيه ويعذُبُ
تميزُ به عُتْقَ(٣) القوافى ومُجْنِها(٤) ... وتعلمُ ما ذا يُحتَبَى ويُحبَّبُ
ووجهك بسَّامٌ الى المدح مقبِلٌ ... عليه ووجهُ الدهر جهمٌ(٥) مقطَّبُ
وكم ثَمَّ من مسترزقٍ حلَفتْ له ... لُهَاك — وبَرَّتْ — أنه لا يُخيَّبُ
وعيشٍ بيابسٍ بالسماح بللتَهُ ... ووجهُك فيه من بنانك أرطَبُ
رعَى اللهُ منك البحرَ لم أرَ بعده ... بلَى ربَّما أقعمتَ والبحرُ ينضُبُ
ومَطرَحَ آمالى الذى كلُّ ضيِّقٍ ... عليه فسيحٌ عنده لِىَ مَرغَبُ
ومالى اذا أعسرتُ من كلِّ وجهةٍ ... وجاهى الذى من بعضه المالَ أكسِبُ
تأجَّنُ(٦) غُدرانى وماؤك سَلسَلٌ ... وتُخبُثُ أوطانى وتُربُك طيِّبُ
وَجودُك لى سِيَّان ما كنتَ حاضرا ... قريباً، وما يناَى وما يتقرَّبُ
فلولا مضيضُ الشوقِ لم أشتكِ غُصَّةً ... ولا أجحفَ التَّرادُ بى والتقلُّبُ
ولكنَّك العينُ التى كلُّ غبطةٍ ... اذا هى لم تُوجَدْ عناءٌ معذِّبُ

(١) يقال : أعجف القوم : هزلت مواشيهم وصارت عجافا . (٢) السماط : الصفّ ، يقال : قام القوم حوله سماطين أى صفّين . (٣) العُتْق جمع عتيق وهو النجيب من الخيل . (٤) المجن جمع مجين وهو غير العتيق أو الذى ولدته بذرونة من حصان عربىّ . (٥) الجهم : المكفهرّ الوجه . (٦) تأجن : تصير آجنة متغيرة طعم الماء ولونه .

فـلا حَوَّلتُ عـنى ظِلالَك خُطّـةٌ تَحُـلُّ ولا محـذورةٌ تَتَرَقَّبُ
وعشتَ لمثـلى واحدا فى زمانه وللنـاس بعـدى يطلبون وتُطلَبُ
أجازى نداك الغَمـرَ نَشْرا (١) مخلّدا كلانا مطيـلٌ فى معانيـه مُطنِبُ
بكلّ مطـاعٍ أمرُها مستجيبةٍ لدعوتهـا الأسماعُ تُرجَى وتُوهَبُ
تولَّجُ (٢) لا تخشَى تلوُّنَ آذنٍ، لهـا الخلواتُ والرواقُ المحجَّبُ
يُقِرُّ لها بالفضـلِ من لم تُقِلّ (٣) له ويُعظِمُها العيَّـابُ والمتعصِّبُ
لهـا كلُّ صوتٍ، كلُّ راويه مُبلِغٌ فصيحٌ، ومَن غنّى به فهو مُطرِبُ
تَصفَّتْ فقد كادت مع التبر تُقتَنَى ورقّتْ فقد كادتْ مع الماء تُشرَبُ
مصدَّقةٌ فى المـدح أسرفَ أو غَلَا ومأمونةٌ ما تسـتزيدُ وتعتِبُ
نزورك، يوما فى نَدِيّك نُجتَلَى ويوما مع السُّفّار تُقـرَا ونُكتَبُ
تسوقُ التهـانى خلفَها وأمامَها تُصعِّدُ فى الدنيـا بكم وتُصَوِّبُ
تذكّركم من حقّها إن نسيتُمُ بما تقيم الأعيـادُ حظًّا وتُنصِبُ
تَرفَّعُ عن تيـه المصيبِ وعُجبِـهِ ولكن بكم فخـرا تتيـهُ وتَعجَبُ

* * *

وقال يمدحه ويهنئه بمهرجان الواقع فى سنة سبع وعشرين وأربعمائة

سَل الركبَ إن أعطاكَ حاجتَك الرَّكبُ مَنِ الكاعبُ الحسناءُ تمنعها «كعبُ»؟ (٤)
قضى أنهـا مغلوبةٌ لِينُ عطفها وحصّنها ـ أن تُملَك ـ الأُسُدُ الغُلْبُ
حموها وذبُّوا أن تُرامَ وما حَمَوا قلوبَ الهـوى من مقلتيها ولا ذَبُّوا
وهزّوا القنا الخطّار والبيضَ دونها، فمَن طالبٌ؟ والمانع الطعنُ والضربُ

(١) فى الأصل : بترا . (٢) تولج : تدخل . (٣) فى الأصل "يقل" .
(٤) كعب : اسم قبيلة .

يخافون صوتَ العار أن يُصبحوا بها ... حديثاً وأفواه المواسم تَستَبُّ
وما العارُ إلا أنّ بين بيوتهم ... قلوبَ المحبين السلائبُ(١) والنُّهبُ
لئن أشحطوها أن تُزارَ فبيننا ... مواثيقُ، بُعدُ الدار إن رُعيتْ(٢) قربُ
وإن حُجبتْ والريح تَسفِرُ(٣) بيننا ... بنجوى فؤادَينا فما ضرّت الحُجبُ
وفي دارها "بالروضتين"(٤) لناظرٍ ... شفائفُ(٥) ضوءِ البدرِ تكفُرُه(٦) السحب
ومنها ومن أترابها في ثرى الحمى ... عبائقُ تَهديها الصَّبا لِيَ والتربُ
وقفتُ وصحبي في "اللّوى" فأملّهم ... وقوفيَ حتّى قد وقفتُ ولا صحبُ
أُذاكرُهُ مَرآةَ يومي بأهله ... فيشكو الذي أشكو ويصبو كما أصبو
ولم أحسَبِ الأطلالَ تُخضعها النّوى ... ولا أنّ جسم الربع يُنحِلُه الحبُّ
تحدَّثْ بما أبصرتَ يا بارقَ الحمى ... فإنك راوٍ لا يُظَنُّ بك الكذبُ
وقلْ عن حشًى من حَرّها وخفوقها ... تعلّمتَ ما تنزو خطارا وتشتبُّ
وعن بدَنٍ لم يبرح الشوقُ مُعرياً ... وشائظُهُ(٧) حتى التقى الجنبُ والجنبُ
فلو أنه في جفنِ ظبيةِ حابلٍ ... مكانَ القذى ما كان يَلفِظُه الهُدبُ
وهذا ضنا جسمي وقلبيَ عندها ... فكيف به لو كان في جسدي قلبُ
فُطرتُ على طينِ الوفاء وديني ... فنفسي اليه بالغريزة تنصبُّ
فكم نائمٍ عنّي وثيرٍ مِهادُهُ ... وجنبي له عن لين مَضجَعه ينبو
أصابرُ فيه الليلَ حتى أغيظَهُ ... فتحسُدَ أجفاني على السهر الشهبُ
وأعجبُ ما حدّثتُه أنّ ذقةً ... وفَتْ فارسٌ فيها وخاستْ(٨) بها العُربُ

(١) السلائب : كل ما أخذ قهرا . (٢) في الأصل : دعيت . (٣) تسفر : تكون سفيرا . (٤) الروضتين : اسم موضع . (٥) الشفائف : الستائر يُستشفّ ما وراءها . (٦) تكفره : تحجبه . (٧) وشائظ جمع وشيظة وهي قطعة عظم تكون في العظم الصميم . (٨) يقال : خاس بالعهد أي أخلفه .

عذيرى من الأيّام أونحن مرتعى ... ورنّقن لى من حيث يُستعذبُ الشُّربُ

تُثـاوبُ قومًا غَصَّها وهشيمَها ... وكلُّ نصيبى من معيشتها الجدبُ

أُخلّى عليهـم عفوَها (١) ودُرورَها ... فأرضَى بلا ذلٍّ بما كدَّه العصبُ (٢)

وأتركُها تَرْكَ المسالِم قادرا ... لأسلمَ منها وهى لى أبدا حربُ

وكم قد شكوتُ الدهرَ لو كان مُشْكِيا ... وعاتبتُ جَورَ الحظّ لو نفع العتبُ

بلى فى يدى ـ لا أكفُرُ اللهَ ـ جانبٌ ... من العزّ لى فيه الوسيعةُ والرَّحبُ

ومنبعُ جُود لو قنعتُ كفى الغنى ... وبلّ غليلى ماؤه العَلَلُ (٣) السَّكْبُ

تعوّد جوّى غيمَهُ ونسيمَهُ ... وأرضِىَ أن تزكو عليه وأن تربو

أقِلْنى من التغرير يا طالبَ العلا ... ومن كدّىَ الآمالَ تنهضُ أو تكبو

فلولا الندَى العِذُّ "الرحيمىُّ" ما جرى ... الى أيكتى ماءٌ ولا اخضرَّ لى تربُ

هم الناس ناسى والزمانُ زمانُهم ... ربيعى وكسبى من رضاهم هو الكسبُ

تملّحتُ (٤) فيهم وانتحفتُ بريشهم ... فوكرى بهم حيث استوى الماءُ والعشبُ

وحسْبى غنًى أو سُؤددا أنّ بحرَهم ... وسيّدَهم عند الملمّات لى حَسْبُ

الى "شرف الدين" أنشطتها حبالَها ... تُعانِقُ (٥) فى نفض الطريق وتختبُّ (٦)

سلا أُلُ ماصنّى "الغضين" وداحسٌ (٧) ... وحازت كلابٌ رهنَها واعتلت كلبُ

بناتُ الفلا والريحُ كل حسيرة ... اليها الرياحُ المستقيماتُ والنُّكْبُ

---

(١) العفو : اللبن أوّل مايحلب . (٢) العصب : أن تُعصب فخذا الناقة لتدرّ ، وفى الأصل "العضب" . (٣) العلل : المتتابع ، وأصله الشرب بعد الشرب تباعا . (٤) تملّحتُ : سمنتُ وفى الأصل : تلمّحتُ . (٥) تعانق : تسير العنق وهو ضرب من السير . (٦) تختبّ : تسير الخبب . (٧) الغضين وداحس : اسما فرسين ، يضرب بأحدهما المثل يقال : "هو أشأم من داحس" .

كسير[1] العصا المقدود لو سُلكتْ بها ... ثُقوبُ الخروت[2] لم يضق دونها ثَقْبُ
تُخالُ عِنانًا فى العِنان من الطَّوَى ... وإن شُطِبتْ[3] بالسوط قلتَ هى الشَّطْبُ
تُحَطُّ اليه وهى قُبٌّ[4] من الصَّوَى ... وتُركَبُ عنه وهى مُجْفَرَةٌ[5] قُبُّ
الى مَلِكٍ لا يملكُ الخوفُ صدرَه ... خُفوقا ولا يغشَى على رأيه الخطبُ
ولا يطَّبيه[6] الشيءُ فى معجزاته ... اذا هامةُ المفتون أسكرها العُجبُ
مهيبِ الرضا مستصفَحِ السخطِ بالغٍ ... به القولُ ما لا يبلغ البائر العضبُ
مُحيطٍ بآفاق الإصابة رأيُهُ ... بديهًا، ورأىُ الناسِ مختمرٌ[7] غِبُّ
اذا رَفَعتْ للإذن[8] نَجْدًا رواقُهُ ... فللأعين الإشراقُ والآنُفِ[9] الترْبُ
مَقامٌ تُلاقى عنده النِّعمُ السُّطَا[10] ... ويجتمع الرُّغْبُ المحبَّبُ والرُّهْبُ
اذا أَمَرتْهُ مُرَّةٌ من حفيظةٍ ... تسوءُ، نهاه خُلْقُه البارِدُ العذْبُ
تصوَّرَ من حُسنٍ وحِلمٍ ونائلٍ ... فمنى اندَستِ[11] منه البدرُ والبحرُ والعضْبُ
من القوم لم تُضرَبْ عليهم إتاوةٌ ... ولم يَعتبِدْهم غيرَ خالقِهم ربُّ
صدورُ قلوبٍ فى المجالسِ والوغَى ... اذا رشَّحوا فاضوا وإن قدَحوا شبُّوا
ومدَّ "عميدُ الدولة" العرضَ راسخا ... فحُدِّثَ عن ضَربِ العلا الرجلُ[12] الضربُ
وما علمتْ أمُّ الكواكبِ قبلَه[13] ... وقبلُهمُ أن الهلالَ لها عَقْبُ

(١) السير: القِدَّة من الجلد، ويقال فى مثل مولَّد: "ليس فى عصاه سير" يضرب لمن لا يقدر على ما يريده. (٢) الخروت جمع خُرْت وهو ثقب الإبرة ويريد بها هنا الإبر نفسها. (٣) شطبت: خط فيها السوط بما يخالفه عليها من الأثر. (٤) قب جمع قباء: مملوءة الشفاه. (٥) مجفرة: عظيمة الجنبين. (٦) لا يطبه: لا يستميله. (٧) غب: متأنٍّ فيه. (٨) السجف: كل ستر مقرونين بينهما فرجة. (٩) الآنف جمع أنف وهو معلوم. (١٠) السطا جمع سطوة. (١١) العضب: السيف. (١٢) الضرب: الماضى النَّدْبُ الحقيقُ الحم. (١٣) أم الكواكب: الشمس.

وأنَّ شروقَ الشمس عنهم سينتهي ... الى مَلِكٍ فى صدره الشرقُ والغربُ
أرى المُلكَ بعد الميْل قامت قناتُه ... ولُوحِمَ منه بعد ما تصدعَ الشَّعبُ
لك البُهجة البيضاءُ إن مات فخرُهُ ... وفى يدك التفريجُ إن غَشِيَ الكربُ
وقد علمتْ أمّ الوزارة أنها ... اذا غبتَ تكلَى(١) قَصْرُها الدمعُ والندبُ
وتُطمِعُ مخدوعَ المنى فى نكاحِها ... مَطامع كدّتها وأنت لها خِطْبُ(٢)
ودبُّوا لها تحت الظلام عقاربا ... ولو حسبوا وطء الأخامص ما دبُّوا
ولمّا رأَوا عنها التفاتَك عاجلوا ... وُثوباً، وقِدْماً طاح بالقَدَمِ الوثْبُ
رَقَيْتَ بفضل الحلم شَوكَةَ سَبْهم ... فقد ماتت الأفعَى وقد برأَ اللَّسْبُ
هُمُ عقروها إذ تعاطَوا فعُذِّبوا ... ورأيُك فيهم "صالحٌ"(٣) وهُم السَّقبُ(٤) ٦١
وراموا التى يَرضَى بها الخُرقُ وحدَهُ ... خِداعا وتأباها الحزامةُ واللُّبُّ
ومن دونها أن يخطبَ الليثُ هُدنةً ... من الذئب أو يبكى من العطش الضبُّ
تُحدِّثُهم أحلامُهم أنَّ ظهرَها ... ركوبٌ ولكن يُكْذَبون اذا هَبُّوا
صِلُوها فما يشقَى من اليوم سعدُها ... عليكم ولا تَذْوَى(٥) وأنتم لها قطبُ
ولا برحتْ فيكم تَجُرُّ عزيزةً ... سرابيلَ لا يُخفِى ذلاذِلَها(٦) السَّحْبُ
ضَمِمتَ عزيبَ الملك بعد انتشارِه ... وأفرشتَه أمناً وقد ذُعِرَ السِّربُ
وما زلتَ بالتدبير تركبُ صعبَه ... الى سهله حتى استوى السهلُ والصعبُ
أَحبَّك ودًّا مَن يخافُك طاعةً ... وأعجبُ شيءٍ خيفةٌ معها حُبُّ
ولو نُشِرَتْ عنك القلوبُ لردَّها ... اسائُك هذا الحلوُ أو وجهُك الرَّطْبُ

(١) قصرها : غايتها . (٢) خطب : خاطب . (٣) صالح : اسم نبيّ من أنبياء الله صلوات الله عليهم . (٤) السقب : ولد الناقة . (٥) تذوى : تذبل . (٦) الذلاذل : أسافل القمص الطويل واحدتها : ذُلْذُل، وقيل : أثواب تلبس فوق بعضها كلّ واحد منها أقصر مما تحته لتظهر كلها للناظرين .

فما مُقلةٌ إلا وأنتَ سوادُها ... ولا كبدٌ إلا وأنت لها خِلابُ[1]

وأما القوافي فهي منذ رعيتَها ... بطائنُ وادٍ كلُّ أعوامه خِصبُ

يكائفها نبتاً ويعذُب مَشرَباً ... فآساتُها[2] خَضمٌ ورشفاتُها عَبُّ

صحائحَ مُلْسًا كالدِّهانِ وعهدُنا ... بها عند قومٍ وهي مُجفلةٌ جُربُ

وكم بَكْرةٍ منها لمدحك قُدتَها ... فقرّت ومن أخلاقها الغَشْمُ والشَّغْبُ

تغديك أيام النهالي بوفدها ... مكرَّرةً لُبْسًا وهنّ بها قُشْبُ

بشائرُ ملكٍ صدقُه فيكَ، لا يهي ... له رُكنٌ ولا يقصِّرْ له طُنْبُ[3]

وأنّ يدَ الله البسيطةَ جُنّةٌ ... تقيكم وأحزابَ السعودِ لكم حزبُ

يزورُكمُ قلبي بها مثلَ منطقٍ ... فلا الفِشُّ مخشيٌّ عليها ولا الخِبُّ[4]

وأمدحُ مَن أعطاكمُ من لسانِه ... وأرضاكمُ من قلبِه بكمُ صبُّ

فلا تعدَموا منها عرائسَ عُطَّلاً ... لها من أياديكم قلائدُ أو قُلْبُ[5]

اذا مشتِ الأقران حولَ خريدةٍ ... فوحدتُها في الحسنِ ليس لها تِربُ

أجُدُّ بها والطبعُ يُجري خلالَها ... طُلاوةَ رَقراقٍ تُرى أنها لِعْبُ

وغيرُكمُ يرتاب بي إن مدحتُه ... لعرفانه ألّا يحِلَّ لها الغصبُ

فأرفعُه بالفعلِ لو كان فاعلا ... وقد خفَضَتْهُ من تقيصتِه رُبَّ[6]

يُساءُ كأني بالثناء أسبُّه ... لعمرُ أبي إنّ النفاقَ هو السبُّ

---

(١) الخِلاب : حجاب الكبد . (٢) الآسة : آخذ الدابة النبات بجحفلتها . (٣) كذا بالأصل وفي النسخة المطبوعة :

* له ركنٌ عزٍّ أو تقصّره طنبُ *

(٤) الخَبّ بفتح الخاء وكسرها : الخداع ، وفي الأصل "الحب" وهو تحريف . (٥) القُلْبُ : السوار . (٦) ربَّ لغةٌ في ربَّ ، والبيت مكتظٌّ بكثيرٍ من النوادر النحويّة .

* * *

وقال فى سمكة

وكالرقيم يحسبه من قرأ ... ويُعرَف ممَّن إذا مَن كُتِبْ
من البَهِم لو طَلَب النطقَ ضَلّ ... وفى الأنبياء إذا ما طُلِبْ[1]
يبادر خيلَ الوغى الدُّهمَ والـ ... ـوِرادَ[2] بشهباء[3] تُجلى الشهبْ
بحيث تُرَى مخطفاتُ[4] الحديـ ... ـدِ يضعفن عن مرهفات[5] القضبْ
إذا ما تَرَدَّى[6] نجا سالماً ... ويُقعِص[7] إن قام أو إن وثبْ
يكون بدرع فيلقَ وإنْ ... تسربلَ درعين لاقَى العطبْ[8]

* * *

وقال فى سُمَارِيَة[9]

وجارية فى مجارى الحياةِ ... خلعت[10] عليها رداء الشبابِ
وحلَّيتُها حِليةَ المشـ ... ـرفيّ فوق حمائلِه والقرابِ

---

(١) يريد بالبَهِم : البهائم ؛ ونسبت بذلك لما فى صوتها من الإبهام ؛ ويستوى فيها كلّ ذات أربع قوائم من دوابّ البر والماء . ويريد بقوله "وفى الأنبياء" سورة "الأنبياء" فى القرآن الكريم وما تضمّنته حكاية عن سيدنا "يونس" عليه السلام من قوله تعالى : (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً) الآية .
(٢) الدهم : السود ، والوراد : الحمر . (٣) "بشهباء" أى "بدرع بيضاء" وهى كناية عن إهاب الدون لبياضه ولمعان ما عليه من نشور تظهر كالنجوم لناظرها . (٤) مخطفات الحديد : لعله يريد بمخطفات الحديد الشصوص جمع شِصّ وهى حديدة عقفاء يصاد بها السمك [صنارة] .
(٥) القصب : عروق الجناح وعظامها ؛ ويريد بها "الزعانف" وهى أجنحة السمك وغيرها مما يدافع بها عن نفسه . (٦) اذا ماتردّى : اذا ما سقط فى اللجّة واتخذ سبيله فى البحر سربا . (٧) يقعص : يقتل وهم أفله . (٨) يريد أن هذا الحوت يلقى كل ما يغتاله بدرعه أى بإهابه لمتانته حتى اذا لبس درعين — كناية عن إهابه وعن الشبكة التى يحيطه الصيّاد بها — فانه يلاقى الموت والهلاك .
(٩) سُمَارِيَة : نوع من السفن الصغيرة تركب فى الأنهر . (١٠) بالأصل "جعلتُ" ،

إذا غادةٌ منعتْ وظأَها تبطَّنتُ منها ذاولَ الركابِ
وخرَّقَ ما تحتـه ظهـرُها كما تخرقُ الشمسُ ثوبَ السحابِ
وأحمـدُ من جسمها أنه كريمُ العظام لئـيمُ الإهابِ (١)

* * *

وقال فى الدفاتر

وصفحةِ وجه من وجوهٍ عَلِقتُها أراعِى خدوشـا فوقها ونُدوبا
تَعرَّضُ لى والغانياتُ صوادفٌ فأذكُرُ أصـداغا لهـا وتَرِيبا
أكونُ حليما تارةً ما اجتليتُهـا وقُورًا وأحيانا أكون طَروبا
ويُعجبـنى منهنّ أنّى لا أرى حبيبـا لقلبى أو أراه قـريبا
سَبَتنى بألفاظِ الرجال وطابَ لى جَناها ولم تنطقْ ولم أَرَ طيبا
فأودعتُها ما أودع اللهُ مهجتى جلابيبَ خيطت لاتُقِلُّ جيوبا
تُقصِّر عن أقدامِها ورءوسِهـا وتملأُ أصلابا لهـا وجُنـوبا
إذا عُرِّيتْ منها وَقَتْها عيوبَها وإن أُلبِسَـتها لم توارِ عيـوبا

قافيـــة التـاء

وقال وكتب بها الى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم يمدحُه ويذكُر ظفرَه بعدوٍّ كان يناوئه ويهنّئه بمهرجان سنة إحدى عشرة وأربعمائة

ما أنكرتْ إلا البياضَ فصـدّتِ وهى التى جَنَتِ المشيبَ هى التى
غَرّاءُ يَشْـعَفُ قلبَها فى نحـرِها وجَبينِهـا ما سـاءنى فى لِمَّتى
لولا الخـلافُ وأخذُهنّ بدينـه لم تكلَف البيضـاءُ بالمُسودَّةِ

(١) إشارة الى بياضها وسواد جرمها .